وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مكتبة الفكرة الجمهورية

القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى

محمود محمد طه

أول طبعة – يناير 1971

عدد الصفحات 216 (في طبعة الورق)

صفحة الغلاف

الإهـداء

مقدمة

مواصلة المقدمة

التفسير والتأويل – أخلاق الله – التأويل – الأصول والفروع

الفصل الأول – لا إله إلا الله

المعبود بحق

الكلمة الطيبة – والكلم الطيب أيضا – الاستقامة

من مادة الفكر صنع العالم - بذرة القرآن

الفصل الثاني – مسير أم مخير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النظرة العلمية

النظرة الدينية

النفس السفلى – العقل - الضمير والسريرة

من خصائص القرآن

فهم القرآن

الإنسان مسير وليس مخيرا - الإنسان بين التسيير والحرية

القدر وسر القدر

الخلاصة؟؟

الفصل الثالث – قصة الخلق - بدء الخلق

آدم وحواء

الفصل الرابع – الجنة والجحيم

الفصل الرابع - جهنم

الفصل الخامس – الحلال والحرام

الفصل الخامس – بين الشريعة والحقيقة

الفصل السادس – أسماء الله

الفصل السادس – معرفة الله

الفصل السابع – رب واحد ودين واحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثامن - الغيب

الفصل التاسع – الساعة -الساعة ساعتان – لقاء الإنسان ربه

الفصل التاسع – الصورة البشرية صورة الإنسان

الفصل التاسع – التجلي الذاتي

الفصل التاسع – إنما نعرف الله بأفعاله – الأبد زمن له نهاية

الفصل العاشر - البعث

الفصل الحادي عشر – لا كهنوت

الفصل الثاني عشر - المعمار القرآني

الفصل الثالث عشر – لماذا .. إعجاز القرآن؟

خاتمة

الفهرست

www.alfikra.org

محمود محمد طه

القرآن

ومصطفى محمود

والفهم العصري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT
الطبعة الأولى – يناير 1971

الإهـداء

إلى الذي ظلت البشرية ..
تنتظره
وتترقب ظهوره ..
إلى الإنسان!!
ثم .. إلى الرجال والنسوان
هل تحلمون به؟؟
إنه فيكم!!
يظهره القرآن ..

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) صدق الله العظيم

مقدمة:

أخرج الدكتور مصطفى محمود كتابا أسماه: (القرآن، محاولة لفهم عصري) طبعته (دار الشروق) ببيروت في شهر مايو من عام 1970 ..

لا ريب عندي أن هذا الكتاب سيؤرخ تحولا في الفكر الإسلامي في الشرق العربي، لا لأنه كتاب جيد، ولكن لأنه كتاب جرئ .. وليست الجرأة على الخوض في أمر من أمور الدين بمحمودة على كل حال، ولكنها، إنما حمدت في هذا المقام، لأنها تمثل ثورة على الجمود الفكري، والعقم العاطفي الذي ضربه، حول الدين، من يطيب لهم أن يسموا أنفسهم رجال الدين .. فلقد جمد هؤلاء الدين، وحجروه، في عصر اتسم بالسيولة، واحتشد بالحركة، والحيوية، والتجديد .. فلم يبق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

سبيل إلى الإنعتاق من أسر جمودهم غير الثورة .. ولا تملك الثورة أن تعتدل، وإنما هو الشطط .. وكذلك كان كتاب الدكتور مصطفى محمود، شططا في طرف التفريط وشططا في طرف الإفراط .. وقولا، في أدق أمور الدين، بغير علم، وإنما هي الخواطر الفطيرة، الفجة، تسجل تسجيلا، وترسل إرسالا .. ولقد نشرت محتويات هذا الكتاب في مقالات منجمة، على مدى ثلاثة عشر أسبوعا، بمجلة (صباح الخير) الأسبوعية، مبتدئة بعدد الخميس، أول يناير، من هذا العام – عام 1970– وكان العنوان الذي جرى تحته النشر: (محاولة لتفسير عصري للقرآن) وفي أثناء ذلك النشر توجهت إليّ مجلة (الأضواء) السودانية بستة أسئلة، كان أولها: (هل يملك الدكتور مصطفى محمود مؤهلات المفسر العصري للقرآن؟؟) ولقد نشرت الإجابة بعدد السبت الموافق 1970/4/4، وكان نصها: (مؤهلات المفسر العصري للقرآن تقوم على أمرين: أن يكون المفسر ملما إلماما صالحا بحاجة العصر، وأن يكون عالما علما وافيا، ودقيقا، بحقيقة القرآن ..

فأما حاجة هذا العصر فإلى الهداية .. فإن البشرية لم تكن يوما في التيه كما هي اليوم .. وسمة هذا العصر هي القلق، والحيرة، والاضطراب .. هذا عصر الثورات: الثورة الثقافية، والثورة الجنسية، وثورة الشباب، وكلها دليل على القلق، والحيرة، والاضطراب .. هذا عصر (الهيبيز) .. جماعات من الشباب، من الجنسين، يزيد عددهم كل يوم، ويستطير شرهم كل يوم، حتى لقد عم جميع الأقطار .. يقوم مجتمعهم على الرفض، فهم قد وجدوا مجتمع الحضارة الغربية، الآلية، مجتمع إنتاج واستهلاك، فقد الإنسان المعاصر فيه روحه، وقيمته، وحريته، واستحال إلى آلة تنتج وتستهلك، فرفضوه، ورفضوا معه كل عرف، ودين .. وفزعوا إلى صور من مجتمعات الغابة، فهم يلبسون المرقعات، ويسيرون حفاة، ويرسلون شعورهم، ويبيتون على الأرصفة، والطرقات، ويستبيحون بينهم من العلائق الجنسية ما ظلت البشرية على صيانته حريصة خلال تاريخها الطويل .. هم يبحثون عن حريتهم، وعن إنسانيتهم، وعن فرديتهم، فلا يكادون يجدون غير الضياع، وغير القلق، وغير الإضطراب .. فهل عند مصطفى محمود إدراك واسع لهذه الظاهرة، واهتمام بها، وسعي لإيجاد الهداية لها من القرآن بتفسيره العصري؟؟

ثم حقيقة القرآن .. ما هي؟؟ هي العلم المطلق .. وعندما تأذن الله أن يسرع الإنسان في معرفة المطلق نزله من الإطلاق إلى القيد، فكانت، في قمة القيد، الإشارة، وفي قاعدة القيد العبارة .. فأما العبارة فهي (الكلمة العربية) .. وأما الإشارة فهي (حرف الهجاء العربي) وأما حقيقة القرآن فهي فوق الإشارة، وفوق العبارة .. ولقد قال تعالى في ذلك: (حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قرآنا، عربيا، لعلكم تعقلون * وإنه، في أم الكتاب، لدينا، لعلي حكيم) فاما قوله: (حم) فإشارة .. وأما قوله: (والكتاب المبين) فعبارة .. وكذلك قوله: (إنا جعلناه قرآنا، عربيا، لعلكم تعقلون ..) فإنه عبارة تفيد العلة وراء تقييد المطلق .. وأما قوله: (وأنه، في أم الكتاب لدينا، لعليّ حكيم ..) فإنما هو عبارة، تفيد، بقدر طاقة العبارة، عن حقيقة القرآن .. وحقيقة القرآن لا تعرف عن طريق القراءة، وإنما تعرف عن طريق الممارسة في تقليد المعصوم، عبادة وسلوكا، وهو ما سمي، في أخريات الأيام، (بالتصوف) ..

فهل عند مصطفى محمود قدم في التصوف؟؟ لا!! ولا كرامة!!

إن ما أسماه الدكتور مصطفى محمود تفسيرا عصريا للقرآن ليس بتفسير، على الإطلاق، وإنما هو خواطر .. ولو قد كان للدكتور الفاضل قدم في التصوف لمنعه الورع أن يخوض فيما خاض فيه من أمر الدين بهذه الخواطر الفطيرة .. ومهما يكن من الأمر، فإن البشرية اليوم لا تحتاج إلي تفسير القرآن، وإنما تحتاج إلي (تأويله) .. وليس ههنا مجال الخوض في هذا الأمر، وإنما موعدنا مع القراء الكرام كتاب، هو الآن تحت الإعداد، في الرد على محاولة الدكتور مصطفى محمود لما أسماه بتفسير عصري للقرآن ..) هذا ما جاء في الرد على سؤال مجلة (الأضواء) ..

كلا!! فليس للدكتور مصطفى محمود قدم في التصوف .. بل هو لم يتفق له أن مارسه .. بل هو لا يقدره حق قدره .. بل هو لا يحفظ له بعض ما ينبغي له من الحرمة .. أسمعه وهو يتحدث عن النبي في صفحة 21 فيقول: (ولو كان محمد مؤلفا لألف في هاتين السنتين كتابا كاملا. ولكنه لم يكن أكثر من مستمع أمين سمع كما تسمع أنت تلك الكلمات ذات الموسيقى العلوية في لحظة صفاء وجلاء فذهل كما تذهل وصعقت حواسه أمام هذا التركيب الفريد المضيء ..) .. فلعمري، لقد كان محمد مستمعا أمينا، ولم يكن أكثر من ذلك، إذا أردنا من قولنا هذا أن القرآن من عند الله، وليس من عند محمد .. فلم يكن لمحمد فيه غير الإستماع، والإتباع: (لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه، وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه) ولكنه، مع ذلك، لم يكن قد (سمع كما تسمع أنت) لأنه كان قد أعد إعدادا فريدا، أنفق فيه خمس عشرة سنة بغار حراء، يصوم النهار، ويقوم الليل .. يتحنث، ويتخضع ويتزلف .. حتى إذا استعد المكان منه لتلقي القرآن كان من أول ما نزل عليه زيادة في الإعداد برسم طريق الصيام، والقيام، فقال تعالى في ذلك: (يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه، أو انقص منه قليلا * أو زد عليه، ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطأ، وأقوم قيلا ..) ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول تبارك وتعالى لنبيه الكريم: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) .. فلكأنه يطلب منه الاستعداد لسماعه، ولمتابعته، حين يلقي عليه .. والاستعداد لحفظه، ولفهم ما يفهم منه .. والاستعداد للعمل بما يجب عليه العمل به منه .. والاستعداد لتبيين ما يجب عليه تبيينه منه لأمته، في التشريع، وفي التفسير .. وإنما يكون ذلك الاستعداد بصيام النهار، وبقيام الليل (إلا قليلا، نصفه أو أنقص منه قليلا، أو زد عليه ..) ويحضه على القيام بعد النوم، ويرغب فيه، وذلك بذكر فضائله: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا، وأقوم قيلا) .. (إن ناشئة الليل)، القيام بعد النوم، في الثلث الأخير من الليل .. (هي أشد وطئا) .. مواطأة القلب للسان في الإنصات للقرآن في ساعة يصفو فيها الوقت، باستعداد القلب للتلقي، وبسكون الحركة التي تشغل الأذن، وبتقييد الظلام للنظر الذي يوزع الخاطر .. (وأقوم قيلا) يعني أوضح قولا .. ولقد كانت حياة محمد سمتا عاليا من الاستعداد الدائب لتلقي المزيد من معاني القرآن: (وقل رب زدني علما) فكان صواما، قواما، ساعيا في توصيل الخير للناس وصادقا في حب الخير للناس .. وكان كلما نزل عليه القرآن استعد به لتلقي المزيد منه: (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق، وموعظة، وذكرى للمؤمنين) .. وفي موضع آخر: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك، لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا) .. ولقد جعلت هذه الحياة الثرة، الخصبة، العريضة، تجسيدا لمعاني القرآن، في الدم واللحم، فأصبحت مفتاحا لمغاليق معانيه، وهاديا في متاهات غيوبه .. وهذا هو السر في وضع محمد بيننا وبين الله في الكلمة التي هي باب الدخول في حضرة الملة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) .. وجاء العباد، من لدن أصحاب محمد، وإلى أشياخ الصوفية، يترسمون هذه الحياة .. يقلدونها في السيرة، وفي العبادة، ما أسعفهم الوسع، وما أمكنتهم الطاقة .. وهم يتلقون، من واردات الفهم عن الله من القرآن، ما قد جعلت العناية الإلهية بهم إتقانهم لتقليد حياة محمد مقدمة له، ووسيلة إليه .. فإذا جاء الدكتور مصطفى محمود، في آخر الوقت، ليقلل من كل هذه المجاهدات، فيختصرها، فيقول عن محمد: (ولكنه لم يكن أكثر من مستمع أمين، سمع كما تسمع أنت تلك الكلمات ذات الموسيقى العلوية في لحظة صفاء وجلاء، فذهل كما تذهل، وصعقت حواسه أمام هذا التركيب الفريد المضيء) فإنما يدل ذلك على أن هناك خطأ جسيما، وأساسيا، يتورط فيه الدكتور مصطفى محمود فيما يخص أمر النبي وسيكون لهذا الخطأ الجسيم سود العواقب على كل ما يكتب الدكتور عن القرآن، سواء أكتب من بعيد، أو كتب من قريب .. وأس هذا الخطأ الأساسي الذي يتورط فيه الدكتور إنما هو ظنه أن أسرار القرآن تنالها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

العقول، ويسبرها الفكر .. والذي عليه من أوتوا بصرا بهذا الأمر هو أن أسرار القرآن من وراء العقول ، وأنه لا يشم شميمها إلا من استطاع أن يرفع عن قلبه حجاب الفكر، وذلك بإتقان العبادة في تقليد محمد، في أسلوب عبادته، وفيما يتيسر من أسلوب عادته .. ذلك بأن العبادة وسيلة إلى الفكر، وأن الفكر وسيلة إلى رفع حجاب الفكر، حيث ينتهي الإدراك الشفعي، الذي أداته العقل، ويبدأ الإدراك الوتري، الذي أداته القلب .. ودقائق أسرار القرآن وترية .. وإنما الشفعية، والتعددية، في ظواهره، وحواشيه ..

إن غفلة الدكتور عن هذه الحقيقة هي التي ورطته في الهلكة التي تورط فيها تورطا موبقا، وذلك بإصدار كتاب يتحدث عن أدق أصول الدين بغير علم .. وهذه الغفلة ليست جديدة على الدكتور مصطفى محمود .. ولقد اتفق لي شرف التنبيه إليها منذ زمن بعيد، وذلك في مقال لي نشر في صحيفة (أنباء السودان)، العدد نمرة 188، بتاريخ السبت، 7 فبراير، عام 1959، على أثر سؤال وردني من أحد الأخوان .. وأحب، في هذا الموضع من المقدمة، أن أورد للقراء الكرام كل ما جرى يومئذ، لأنه شديد الدلالة على طبيعة ظن الدكتور مصطفى بأمر الدين، وأمر القرآن، من ثم ..

إليكم ما نشرته جريدة (أنباء السودان):-

تعالوا إلى كلمة سواء!!

الله والإنسان – الخوض في أسرار الكون

عزيزي موسى .. تحية .. وبعد فقد أرسلت إلي صحيفة (أنباء السودان) الغراء الرد على سؤالك الأول، وهأنذا أبعث بالرد على سؤالك الثاني .. يسأل السيد م. ع. أ. الأخ الكريم مصطفى أبوشرف ما هو آت: (أستاذي .. فقد التبس علي الأمر في موضوع قرأته في كتاب (الله والإنسان) للكاتب مصطفى محمود، وقد جاء في فقرة من فقراته ما يلي:- (إن الله الذي لا يحترم عقلا صنعه بيديه يعطيني العذر في ألا أعبده) .. ثم يستطرد السائل فيقول: (ويعلل الكاتب حديثه بحجة أنه أراد بهذه الجملة تحطيم الحجة التي يلجأ إليها الفقهاء للهرب من الجدل .. حجة أن الدين فوق العقل، وأن الله فوق العقل، وأن العقل عاجز، قاصر، عن فض مغاليق الوجود .. ويقول أنه أراد لفت النظر إلى ما في هذه الحجة من تناقض .. فهم، بإساءتهم إلى العقل، يسيئون إلى أشرف ما صنعه الصانع الذي يعبدونه، ويفتحون ثغرة نعتذر بها عن عبادته، ونتمسك بأقوالنا،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومعنا حجة عليهم، وليست لهم .. ثم يستطرد السائل فيقول: (إنني عندما أقرأ هذا الحديث ينتابني الذعر، وتسيطر علي الهواجس، وأرى أن الكاتب، في تعليله، وحديثه، قد فند كل الحجج، وتحدى الدين، ورجاله، لما في كلامه من حقائق .. ولكن الله، في محكم كتابه يقول: (يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) .. إن الله يأمرنا بألا نبحث في الذات، وما وراء الحياة .. وأريد أن أسأل: (هل أسرار الكون، وما وراء العقل، يمكن أن تخوض العقول للبحث فيه؟؟)

(هذا هو السؤال .. وقد أوردته برمته حتى يرى القارئ مبلغ الاضطراب الذي في عبارته .. ومهما يكن من أمر، فإن أحدا من الفقهاء، لم يقل: أن العقل لا كرامة له، وأن الله لا يحترم العقل .. بل أن الفقهاء ليقرأون حديث النبي في ذلك، وهو طويل، ويشير إلى أن أول ما خلق الله تعالى العقل، وأنه، تبارك وتعالى، قال: (ما خلقت خلقا هو أكرم علي من العقل) .. والفقهاء يعلمون أن التكليف الشرعي والإجتماعي، الذي بفضله تميز الإنسان عن الحيوان، مداره العقل .. والفقهاء يقولون مع المتنبئ:-

لولا العقول لكان أدنى ضيـ * *ـغم أدنى إلى شرف من الإنسان

فالله، إذن، يحترم العقل، ويكرمه، والفقهاء يعلمون ذلك بالبداهة .. و من هذا العلم البديهي يبدأون .. وإلا لكان اشتغالهم بالفقه لغوا باطلا .. فإذا صح هذا – وهو صحيح – فليس هناك إذن ما يبرر القولة، المتحذلقة، المتعالمة، الجوفاء: (إن الله الذي لا يحترم عقلا صنعه بيديه يعطيني العذر في ألا أعبده) ..

إن الأمور تلبست على صاحبنا فظن أن العقل لا يكون كريما على الله، محترما عنده، إلا إذا خضع الله، سبحانه وتعالى، للعقل .. يدركه، ويحيط به، ويستنفد معانيه، ويفك مغاليقه .. فهو ينكر على الفقهاء قولهم: (إن الدين فوق العقل، وأن الله فوق العقل، وأن العقل عاجز، قاصر، عن فض مغاليق الوجود ..) ويرى أن هذا القول لا يستقيم مع احترام العقل ..

إن كل ما عناه الفقهاء هو أن الله لا تحيط به العقول، وأن الدين فوق العقل بمعنى أن العقل إذا عجز عن إدراك أسرار أوامر الدين، ونواهيه، فعليه أن يطيع، وأن يصدق، وأن يؤمن بما جاء به الدين، لأن أسرار الدين هي حكمة الله، وحكمة الله كلما أدركت العقول طرفا منها، غاب عنها طرف .. ولذلك يقول، عز من قائل: (ويسألونك عن الروح، قل: الروح من أمر ربي .. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ..) ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والعقل ليس صورة ثابتة، وإنما هو نام، مطرد النمو، وما لا يدركه، اليوم، يدركه غدا .. وسبيله إلى إدراك ما لا يدرك، اليوم، التصديق، وحسن النظر، وإطالة الفكر، وارتقاب العرفان .. وهذا هو المقصود بقول الفقهاء (الدين فوق العقل) ..

إن الدين هو الانقياد، والإذعان .. فما لا تذعن له وأنت عارف به، تذعن له وأنت مؤمن به .. لأن الله أرسل رسلا قامت الحجة على صدقهم .. والتصديق بما لا يمتنع عقلا أول مراتب العلم به .. ولذلك كان الإسلام، في طرفه القريب، مجرد تصديق، مع أنه في طرفه البعيد محض علم ..

والعقل يدرك صفات الله، وأفعاله، بالتصديق به، أولا .. ثم بطول الروية، وحسن النظر، ثانيا .. ولذلك فقد دعانا تعالى للنظر في مخلوقاته: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض!!) ولكنه لا يدرك ذات الله، فيحيط بها .. وذلك لأن العقل لا يميز الأمور إلا بأضدادها .. فلا يعرف النور لولا الظلام، ولا يعرف الحلو لولا المر .. وليس لذات الله ضد .. (ولم يكن له كفؤا أحد) .. ولصفات الله ضدية، ولأفعاله ضدية، في صفات العباد، وأفعالهم .. وبذلك أصبح ممكنا أن تعرف العقول الله، سبحانه وتعالى، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله .. هذا هو السبب في أننا منهيون عن التفكير في ذات الله، مأمورون بالتفكير في مخلوقاته .. هل نحن منهيون عن التفكير فيما وراء الحياة، كما يظن السائل؟؟ كلا!! بل نحن مأمورون بالنظر في كل شيء، ما عدا ذات الله .. ولقد جاء التوحيد في الدين كوسيلة بها نوحد ذواتنا لنستطيع أن ندرك ذات الله، إدراك يقين، لا إدراك إحاطة .. فإن الإحاطة ممتنعة، لامتناع الوحدة المطلقة على أي ذات مخلوقة .. فالوحدة المطلقة هي حظ ذات الله وحده .. و لا يعرف الواحد إلا الواحد .. ولذلك قيل: (لا يعرف الله، إلا الله ..) وقال النبي، صلى الله عليه، وسلم: (لك الحمد كما أنت أهله، لا أحصي ثناءا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) ..

(هل أسرار الكون، وما وراء العقل، يمكن أن تخوض العقول للبحث فيه؟؟)

الجواب نعم!! وهذا هو المطلوب، فعلا!! غير أن العقول يجب أن تستعين على اجتلاء غوامض الوجود بالمرانة، و طول الرياضة، والصبر عن نزوات الطبع، ودواعي الجبلة .. وهذا هو غرض المنهاج الذي اختطه الدين، ورسمه بأوامره، ونواهيه .. فإن كنت لا تعرف الحكمة فيما أمرت به، ونهيت عنه، وجب عليك التصديق بذلك، ثم العمل كما أمرت، حتى يكتسب عقلك القدرة على الخوض في أسرار الكون، وحتى يأتيك موعود الله، في قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا .. وإن الله لمع المحسنين ..) ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أرجو أن يكون قد وضح أن كرامة العقل على الله لا تتنافى مع قول الفقهاء: (أن الدين فوق العقل، وأن الله فوق العقل) .. هذا وسيظل العقل كريما على الله ما عرف قدر نفسه، فلم ينف وجود كل شيء عجز عن إدراكه ..))

هذه هي نهاية المقالة التي نشرت في يوم السبت 7 فبراير من عام 1959 في الرد على سؤال أثارته عبارة وردت في كتاب الدكتور مصطفى محمود: (الله والإنسان)، ولقد كانت تلك العبارة هي قول الدكتور: (إن الله الذي لا يحترم عقلا صنعه بيديه يعطيني العذر في ألا أعبده) ..

والإعتماد على العقل في فهم أصول الدين ليس خطأ الدكتور مصطفى محمود وحده، وإنما هو خطأ شائع قامت عليه معاهد الدين جميعها في الأوقات الأخيرة، وآية ذلك إهتمام هذه المعاهد بالتحصيل النظري لقضايا الدين، وتقصيرها في التطبيق، مع أن القاعدة الدينية في فهم الأصول قول الله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله ..)، وقول المعصوم: (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم) ..

يعني من علم بما علم من الشريعة علمه الله علم ما لم يعلم من الحقيقة .. فهذا الدين دين علم، وعمل بمقتضى العلم .. والعلم الواجب فيه يبدأ بعلم ما لا تصح العبادة إلا به من أمور الشرع، ويقترن هذا العلم بالعمل إبتغاء العلم اللدني من الله فيما يخص خفايا أسرار الدين، وأصوله .. يقول تعالى في ذلك: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا .. وأن الله لمع المحسنين) ..

والعقل كريم عند الله، كل الكرامة .. سواء، أعرف واجبه، أم لم يعرفه .. وهو حين يعرف واجبه يكون في مستوى، وحين يجهل واجبه يكون في مستوى آخر .. ولذلك فقد قال العارفون: العقل عقلان .. عقل معاش، وعقل معاد .. فأما عقل المعاش فهو عقل قد إنشغل بالحياة الدنيا، ووظف نفسه لتحصيلها، ولم يرتفع إلى ما هو أعلى منها .. وهو على صاحبه حجة، وبه وجبت عليه العقوبة على التقصير عن شأو الفهم السليم .. وفي هذا العقل جاء قوله تعالى: (وقالوا: لو كنا نسمع، أو نعقل، ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم، فسحقا لأصحاب السعير) ولقد كانوا يسمعون، وكانوا يعقلون، في أمور دنياهم، ولكنهم لم يكونوا يعبرون من طرف الدنيا إلى بر الآخرة، وإنما كانوا يرتعون كما ترتع السوائم حين تجد المروج الخضر .. وعلم هذه العقول علم لا يغني غناء، ولا يفيد فائدة .. وفي هذا العلم قال تعالى: (وعد الله .. لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم، عن الآخرة، هم غافلون ..) نفى تعالى عنهم العلم، فقال: (لا يعلمون) .. ثم أثبت لهم العلم فقال: (يعلمون) ولكنه، حين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أثبته، لم يثبته حتى قال: (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم، عن الآخرة، هم غافلون ..) فلكأنه علم لا يغني غناء، ولا يفيد فائدة، وإنما هو أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، وكل (علم ظاهر)، لا يتعدى إلى الباطن مضر .. فهو، إن لم يفوت أصول الأجور، يفوت درجات القرب .. وهذا القول ينطبق حتى على العلم بظاهر القرآن .. و(علم الظاهر) هو علم العقول .. فإن كان هذا العلم في أمور الآخرة فهو مقصر، وإن كان في أمور الدنيا فهو مفرط .. وفي حالة التقصير تفوت الدرجات، وفي حالة التفريط تفوت أصول الأجور، وتحل العقوبات .. ثم ان علم العقول، إذا كان يهتدي بالإيمان، فإنما هو منزلة من المنازل في طريق السير نحو علم القلوب .. فعلم العقول إيمان، وعلم القلوب إيقان، وبين الإيمان والإيقان إختلاف درجة .. ومهما يكن من الأمر فإن العقول لا تعلم العلم النافع إلا إذا تأدبت بأدب الشريعة، ثم بأدب الحقيقة .. ففي حالة أدبها بأدب الشريعة فهي في حالة عبادة، وتلك أول منازل العبودية .. وفي حالة أدبها بأدب الحقيقة فهي في حالة عبودية .. وإنما من أجل العبودية خلق الله الخلق .. قال تعالى: (وما خلقت الجن، والإنس، إلا ليعبدون) ظاهره عبادة، وباطنه عبودية .. فمن وقف عند الظاهر، ولم يتعده، فهو في خطر من أن يكون عمله باطلا، وفارغا من المحتوى .. فإن لم يكن باطلا، وفارغا من المحتوى، فهو في الدرجات الدنيا من الثواب ..

هذه العقول المؤدبة بأدب الشريعة، وأدب الحقيقة، هي العقول المروضة على الفكر الدقيق، الذي يدق حتى يلغي وجوده، ويرفع حجابه، فيجوز صاحبه من (علم الظاهر) إلى (علم الباطن)، ومن الإدراك (الشفعي)، إلى الإدراك (الوتري)، الذي به يتم العلم بأسرار الألوهية، وبأصول الدين، ذلك العلم الذي ظهر قصور الدكتور مصطفى محمود عن شأوه أشد الظهور في كتابه هذا الذي بين أيدينا ..

ولقد يلاحظ أن اسم هذا الكتاب كان، أثناء نشره منجما في مجلة (صباح الخير)،: (محاولة لتفسير عصري للقرآن) .. فلما لقي الدكتور من المعارضة ما شككه في الثقة التي كان يأنسها من نفسه غير اسم الكتاب إلى (محاولة لفهم عصري للقرآن) وهو اسم أكثر تواضعا من سابقه، من غير أدنى ريب، بيد أنه تواضع لا تزينه فضيلة التواضع، بل إنه لتواضع يكشف عن ظاهرة مؤسفة، وهي أن الأستاذ مصطفى محمود لم يخض فيما خاض فيه من أمر أصول الدين إلا برأي فطير، وإلا بخواطر فجة ..

وإنما بوحي من اسم الكتاب الأول: (محاولة لتفسير عصري للقرآن) جاء سؤال مجلة (الأضواء)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

السودانية: (هل يملك الدكتور مصطفى محمود مؤهلات المفسر العصري للقرآن؟؟) ولقد أوردت السؤال والإجابة عليه في هذه المقدمة والذي يهمني هنا هو وعد قطعته للقراء لأحدثهم عن التأويل وذلك حين قلت: (ومهما يكن من الأمر، فإن البشرية اليوم لا تحتاج إلي تفسير القرآن، وإنما تحتاج إلى (تأويله) .. وليس ههنا مجال الخوض في هذا الأمر، وإنما موعدنا مع القراء الكرام كتاب، هو الآن تحت الإعداد، في الرد على محاولة الدكتور مصطفى محمود لما أسماه بتفسير عصري للقرآن) .. هذا هو الوعد .. ولذلك فإن حديثي التالي سيكون عن (التفسير والتأويل) .. وبإيجاز، لنفرغ للحديث عن أصل الموضوع..

التفسير والتأويل:

للقرآن تفسير، وله تأويل ..

وبين التفسير والتأويل إختلاف مقدار، لا اختلاف نوع .. فالتفسير قاعدة هرم المعاني، والتأويل قمته .. وتتفاوت المعاني، بين القاعدة والقمة، من صور الكثافة إلى صور اللطافة .. فلكأن التأويل هو الطرف اللطيف من التفسير ..

وقمة هرم المعاني عند الله، حيث لا عند، وفي ذلك قال تعالى: (عن القرآن بين القمة والقاعدة) (حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا، لعلكم تعقلون * وإنه، في أم الكتاب، لدينا، لعليّ حكيم) فإن كلمة (لدينا) هنا، ليست ظرف مكان، وإنما هي للتناهي، حيث ينتهي الزمان، والمكان، وذلك لدى عتبة الذات، التي لا يحويها الزمان، ولا المكان .. وبهذا المستوى فإن تأويل القرآن لا يعرفه، عند التناهي، إلا الله، وهذا معنى قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنه، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب)

ولقد أخطأ قوم فظنوا أن التأويل، من حيث هو، لا يعرفه إلا الله .. وذلك لا يستقيم، لأن تنزلات القرآن، من لدن الذات، عديدة، وللعارفين فيها مواضع، ولا ينقطع حظهم من المعرفة إلا عند حضرة الذات .. فإنه، في حضرة الذات، مبلغ العلم الحيرة .. وفي الحيرة خير كثير .. لأن بها يعرف العقل قدر نفسه .. و (من عرف نفسه فقد عرف ربه) كما قال المعصوم .. وقد إعتصمت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الذات العلية عن أن يعرفها أحد معرفة استقصاء، وإحاطة، لأنها قد تفردت بالوحدة المطلقة، فليست ذات تشابهها، فتعرفها، ولذلك فقد قيل:(لا يعرف الله إلا الله) .. وإنما، من ههنا، جاء قوله تبارك، وتعالى: (قل لا يعلم، من في السموات والأرض، الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون * بل ادارك علمهم في الآخرة، بل هم في شك منها، بل هم منها عمون) .. فالغيب هنا، هو الله، في إطلاق ذاته، فإنه لا يعلمه أهل السموات من الملائكة المقربين، ولا أهل الأرض من علماء الجن والإنس .. بل استغرق علم هؤلاء علم الآخرة .. بل، حتى هذه، لم يستقصوها علما، ولم يحصوها يقينا .. قال تعالى: (بل ادارك علمهم في الآخرة) يعني اجتمع، ونفد، فلم يستقص، ولم يحط .. (بل هم في شك منها) لقصور علمهم بها .. (بل هم منها عمون) .. فتلك ثلاث درجات من العلم، كلها انحصرت في حضرات التنزلات، وانحسرت عن حضرة الذات ..

وحضرات التنزلات كثيرة، لا تحصى، ولكنها جميعا تنضوي تحت ثلاث، فإن الذات العلية، تنزلت من إطلاقها، وصرافتها، إلى مرتبة الاسم – العلم – ثم إلى مرتبة الصفة – الإرادة – ثم إلى مرتبة الفعل – القدرة – .. ومن هذه الثلاث جاء خلق المخلوقات، فحضرة العلم أحاطت بالمخلوقات، وحضرة الإرادة خصصت الصورة الأولى، وحضرة القدرة أبرزتها إلى الوجود الأول، وفق تخصيص الإرادة، وإحاطة العلم، ثم باشرت إبراز تعاقب الصور في نسق حكيم، وتسلسل دقيق، تضبط منازله الإرادة الرشيدة، ويوجه خطوه العلم المحيط إلى سدة الذات العلية في علاها .. والسير إلى سدة الذات العلية، في علاها، إنما هو تطور من الكثافة، إلى اللطافة، أو قل من الجهل، إلى المعرفة .. وذلك هو مقصود الله حين قال، تعالى من قائل: (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب، وبما كنتم تدرسون) وهو مقصود المعصوم حين قال: (تخلقوا بأخلاق الله .. إن ربي على سراط مستقيم) ..

وفي هذا التطور يقول تعالى: (يأيها الإنسان!! إنك كادح إلى ربك كدحا، فملاقيه) ولا تكون ملاقاة الإنسان ربه بقطع المسافات، وإنما هي بتقريب الصفات من الصفات – بتقريب صفات العبد، من صفات الرب – وذلك هو معنى الأمر بالتخلق بأخلاق الله ..

أخلاق الله

وأخلاق الله هي القرآن .. وهذا هو معنى قولنا (أن القرآن هو كلام الله) .. هذا مجمل الأمر ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولكن أخلاق الله، لكي تفهم، ولكي تقلد، لا بد في أمرها من التفصيل، وكذلك كان التفصيل في القرآن .. فالله في ذاته الساذج لا يعرف، ولا يسمى، ولا يوصف، ولكنه بمحض فضله تنزل من صرافة ذاته، إلى منازل أسمائه، وصفاته، وأفعاله .. ثم أنزل القرآن ليحكي هذه التنزلات، لكي يعرفه عباده، فيسيروا إلى عتبة ذاته .. والتنزلات في جملتها سبع، تتكرر بغير حساب .. وهذه السبع سميت بالصفات النفسية، وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام .. هذه صفاته، تبارك، وتعالى، وهي، في نفس الوقت، صفات عباده .. فإنه قد خلقهم على صورته .. بيد أن صفاته، تبارك، وتعالى، في مطلق الكمال، وصفات عباده في طرف النقص .. ثم هو أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأوجب الواجبات، ليسير عباده إليه ليلاقوه .. ولقد أسلفنا القول بأن السير إلى الله ليس بقطع المسافات وإنما بتقريب الصفات من الصفات — تقريب صفات العبد التي هي في طرف النقص، إلى صفات الرب، التي هي في مطلق الكمال — وإنما جاء القرآن ليعرف بهذه الصفات الإلهية حتى تدركها العقول، وليختط السير الذي به يتم تأديب العقول، حتى تزيد إدراكا، كل حين، لأفعال الله، وصفاته، وأسمائه، وحتى تقوى على السير في محاكاتها، كل حين .. وإلى ذلك الإشارة بقوله: (وقل رب زدني علما) ..

وعن تنزلات القرآن هذه قال تعالى: (وقرآنا فرقناه، لتقرأه على الناس على مكث، ونزلناه تنزيلا) .. فالقرآن في مقام الجمع، والفرقان في مقام الفرق .. وقوله (فرقناه) تعني: فرقناه من بعد جمعية، فعددنا وجوهه .. وتعني أنزلناه منجما، ومفرقا .. وقوله: (ونزلناه تنزيلا) .. يعني تنزيلا من بعد تنزيل، في مراتب التنزلات السبع، التي سلفت الإشارة إليها ..

وهذه التنزلات إنما هي تنزلات الذات، من صرافتها إلى مراتب الصفات .. وهذه الصفات أعلاها صفة الحياة، وأدناها صفة الكلام، وهي مرتبة على هذا النحو: الله حي، وعالم، ومريد، وقادر، وسميع، وبصير، ومتكلم .. وهو في ذلك حي بذاته، وعالم بذاته، ومريد بذاته، وقادر بذاته، وسميع بذاته، وبصير بذاته، ومتكلم بذاته، لا يقع منه شئ من هذه الصفات بجارحة على نحو ما يقع منا نحن .. فهو تعالى، لا يتكلم بلسان، ولا يبصر بعين، ولا يسمع بأذن، وإنما يتكلم بذاته، ويبصر بذاته، ويسمع بذاته .. والقرآن العربي الذي هو بين دفتي المصحف الآن هو كلامه تعالى .. قال تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه .. ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ..

ولكن يجب أن يكون واضحا فإن هذا القرآن العربي ليس له معنى واحد، هو ما تعطيه اللفظة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العربية، وإنما معانيه لا تحصى، ولا تستنفد .. ولكل حرف منه معنى، من حيث صفة الحياة، ومن حيث صفة العلم، ومن حيث صفة الإرادة، ومن حيث صفة القدرة، ومن حيث صفة السمع، ومن حيث صفة البصر، ومن حيث صفة الكلام .. كل أولئك في آن معا .. وهذا معنى القول بأن الله لا يتكلم بجارحة، وإنما يتكلم بذاته .. والذات موصوفة بجميع هذه الصفات، وفي آن معا .. والصفة قديمة قدم الذات، وكل صفة، إنما هي قائمة بالذات، وهي، عند التناهي، ليست شيئا غير الذات .. والتناهي المقصود هنا، ليس تناهي المكان، ولا تناهي الزمان وإنما تناهي العقول في العرفان ..

والذات إنما تنزلت لنفهم عنها، وهذه العلة في التنزل هي نفسها العلة في كلام الله باللغة العربية .. وفي جعل القرآن عربيا .. قال تعالى في ذلك: (حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) .. فعلة جعله قرآنا عربيا إذن هي: (لعلكم تعقلون) .. وأما حقيقته، فإنما هي فوق اللغة العربية: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) .. و(لدينا) هنا، كما أسلفنا، ليست ظرف زمان، ولا ظرف مكان، وإنما هي للتناهي، حيث ينعدم الزمان، والمكان، وذلك حيث الذات بلا كيفية نعلمها – حيث لا حيث – وللقرآن، في كل منزلة، من منازل الذات السبع، معنى يختلف اختلاف مقدار عن سابقه .. ونحن لا نعرف إلا طرفا حتى مما يعطيه ظاهر اللفظ .. وهذا هو ظاهر القرآن، وهو منطقة الشريعة الظاهرة .. ثم تدق معاني القرآن صعدا، من مستوى ما يحوي اللفظ من معان، إلى مستوى ما يعطي اللفظ من إشارة .. (الإشارة التي هي في صور الكلمات)، إلى مستوى ما تعطي الإشارة، (الإشارة التي هي في صور الحروف)، إلى مستوى ما تنقطع العبارة، والإشارة .. وهذا هو السر في أن القرآن افتتح تسعا وعشرين سورة من سوره بأحرف الهجاء .. وما من مفسر للقرآن يحق له، كمفسر، أن يتحدث عن تفسير الحروف، لسبب واحد بسيط هو أن معانيها، خارجة عن مستوى التفسير، وداخلة في منطقة التأويل .. هي قمة هرم المعاني، في حين تكون الكلمات قاعدة هذا الهرم .. ولذلك فإن المفسرين لم يسعهم، عند الكلام عن الحروف، إلا أن يقولوا: (الله أعلم بمراده) .. يعني (ولا يعلم تأويله إلا الله) .. ومن خاض في تفسيره، في معنى الحروف، من المفسرين، لم يأت بشئ يحسن السكوت عليه .. ولولا أن المقام هنا لا يتسع لتحدثنا عن الحروف حديثا مفصلا، ولكننا إنما قصدنا بالحديث في هذا الكتاب عن التأويل أن نفي بوعدنا الذي قطعناه لقرائنا، حين قلنا في مجلة الأضواء: إن الإنسانية اليوم لا تحتاج إلى تفسير القرآن، وإنما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تحتاج إلى تأويله .. وفي النية إخراج كتيب عن القرآن بين التفسير والتأويل، وستكون الفرصة يومئذ مواتية للحديث المفصل في ذلك، إن شاء الله ..

التأويل

قلنا في صدر حديثنا هذا : (للقرآن تفسير، وله تأويل .. وبين التفسير والتأويل اختلاف مقدار لا اختلاف نوع .. فالتفسير قاعدة هرم المعاني، والتأويل قمته .. وتتفاوت المعاني، بين القاعدة والقمة، من صور الكثافة، إلى صور اللطافة .. فلكأن التأويل هو الطرف اللطيف من التفسير) .. هذا ما قلناه في صدر هذا الحديث، ونقول الآن بعد أن عددنا مراتب تنزلات الذات، وهي عينها تنزلات القرآن أن التفسير يتناول القرآن فيما تعطي ظواهر الكلمات العربية .. وهذا حظ مشترك، أو يكاد يكون مشتركا بين العارفين .. ثم تتفاوت حظوظ العارفين من القرآن في التنزلات، من منزلة صفة الكلام، إلى منزلة صفة الحياة .. والصورة العامة لهذا التفاوت ما حكته الآية: (وفوق كل ذي علم عليم)، إلى أن ينتهي العلم إلى (علام الغيوب) في معنى الآية: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب، إلا الله) .. والتفاوت بين حظوظ العارفين من القرآن، إنما مجاله التأويل، وليس مجاله التفسير، على الإطلاق .. وكلما تسامت المعاني نحو القمة، كلما قل عدد العارفين، وكلما قصر تطاول المتطاولين .. ثم يسيرون في الندرة حتى ينقطعوا .. فإن المجال مجال سير، وترق غير متناه .. والغاية عند الله، حيث لا عند .. وذلك مضمار السير السرمدي، والترقي السرمدي، في الآن، وفي الأبد، وفيما بعد الأبد، من السرمد الذي يخرج عن الزمان، أو يكاد إلى من لا يحويه الزمان، ولا المكان ..

وعندما يتناهى القرآن إلى الذات، لا يعرفه عارف، ولن يعرفه .. وما يعرفه ههنا غير الله، لأنه (لا يعرف الله إلا الله) أو ، على غرار الآية السالفة،: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب، إلا الله) وهذا هو مستوى التأويل، الذي لا يعلمه إلا الله، ويؤمن به الراسخون في العلم .. ولقد أشرنا إلى خطأ أصحاب التفسير، حين ظنوا أن التأويل، من حيث هو، لا يعلمه إلا الله، وما ينبغي أن يخوض فيه العارفون .. ومثل هذا الخطأ، قد أنى له أن يصحح، لينفتح باب التأويل أمام العباد المجودين، فإن فيه حقائق القرآن .. والتأويل ليس هواجس نفس كثيرة الخطرات، وإنما هو واردات عقل تأدب بأدب الشريعة، ثم بأدب الحقيقة، حتى باشر حق اليقين .. والتفسير مشمول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في التأويل، بمعنى أن كل تأويل يجب ألا يتجافى مع ظاهر النص، وكل ما هناك أن الكلمات تنتقل إلى دقيق المعاني، ولطيفها، بدل غليظها، وكثيفها ..

وإنما في مضمار التأويل، وفي أدنى منازله من التفسير، تجيء معرفة الحكمة، وراء النصوص، لأن النصوص، إنما هي وسيلة إلى غاية، وليست هي غاية في ذاتها .. وعلى النصوص تقوم قوانين التعامل، وتقوم قواعد الأخلاق .. والدين كله أخلاق، حتى لقد قال المعصوم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .. وقال: (حسن الخلق خلق الله الأعظم) .. وما القرآن إلا كتاب أخلاق .. والكلمة: (لا إله إلا الله) التي هي خير ما جاء به القرآن، إنما هي مطالبة بالتخلق بتوحيد القوى المودعة في البنية البشرية — العقل، والقلب، والجسد — ولقد قلنا مرارا أن التوحيد صفة الموحد (بكسر الحاء)، وليس هو صفة الموحد، وسيجيء ذكر ذلك عند الحديث في هذا الكتاب عن (لا إله إلا الله).

والقانون والأخلاق شيء واحد فليس الاختلاف بين القانون والأخلاق اختلاف نوع، وإنما هو اختلاف مقدار .. فالقانون قاعدة الأخلاق .. والقانون يتطور من قاعدة كثيفة نحو قمة لطيفة، هذه القمة هي الأخلاق .. وكل قانون لا يتطور فهو ميت .. وكل قانون ، حين يتطور، إنما يتطور باستلهام قضايا كانت قبلا في منطقة الأخلاق ليجعلها ضمن قواعده هو، وهذا العمل لا يتم إلا حين نعرف نحن دقائق معاني النصوص، ونعرف تأويل الظاهر .. وأصل التأويل هو تفسير ما يؤول إليه الشيء، أي ما يرجع إليه الشيء .. وقول الله تعالى: (وأوفوا الكيل، إذا كلتم، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ذلك خير، وأحسن تأويلا) يعني أحسن عاقبة، ومآلا، ومرجعا .. ولما كانت عاقبة الأمور جميعها إلى الله، أصبح التأويل هو معرفة الله في تنزلاته في مراتب القرب من العباد ليعرفوه، حتى إذا انتهى الأمر في عروجه إلى الذات انبهمت السبل، وظهر العجز، ووقعت الحيرة، وجاء معنى قوله تعالى: (ولا يعلم تأويله إلا الله) ..

وبمعرفتنا للتأويل نطور القاعدة، وهي الشريعة، ونطور القمة، وهي الأخلاق، ويرتقي بذلك مستوى الجماعة، ويرتقي مستوى الأفراد .. والسير إنما هو سير من المحدود إلى الإطلاق .. وليس في مثل هذا السير مجال للتوقف عن الترقي في الأطوار .. والقاعدة المثلى هي قوله، تبارك، وتعالى، عن نفسه (كل يوم هو في شأن) .. وهذه في حق العبد أن يكون في كل لحظة جديدة، جديدا في فكره، جديدا في شعوره ..

الأصول والفروع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن معرفة التأويل تجيء معرفة أصول القرآن، وفروعه، من الآيات المكية، والآيات المدنية، وكيف أن آيات الأصول هي المقصودة بالأصالة، وآيات الفروع هي المقصودة بالحوالة .. ومعنى هذا أن الناس، لما لم يستطيعوا التكليف في مستوى الأصول نزل بهم إلى مستوى ما يستطيعون، فكانت آيات الفروع .. وآيات الأصول هي الآيات المكية، وآيات الفروع هي الآيات المدنية .. ولقد اعتبرت آيات الأصول يومئذ منسوخة .. واعتبرت آيات الفروع صاحبة الوقت .. وما نسخ آيات الأصول، يومئذ، إلا إرجاء لها ليوم يجيء فيه وقتها، وذلك حين تستعد البشرية لتطبيقها .. ولقد تحدثنا عن كل أولئك بتفصيل واف في كتابنا (الرسالة الثانية من الإسلام) .. فليراجع في موضعه .. فإن فيه يظهر ما أردنا، حين قلنا في مجلة الأضواء في الرد على سؤالها عن مؤهلات الدكتور مصطفى محمود، إن البشرية اليوم لا تحتاج إلى تفسير جديد للقرآن، وإنما تحتاج إلى التأويل .. هذا ولنا إلى (القرآن بين التفسير والتأويل) عودة إن شاء الله، كما وعدنا آنفا ..

الفصل الأول
لا إله إلا الله

ليس هذا أول فصول الكتاب، ولكنه الفصل قبل الأخير، ونحن إنما قدمناه، فجعلناه أول فصول الرد على الدكتور مصطفى، لأنه فصل مخصص للحديث عن الكلمة، (لا إله إلا الله) .. وهذه هي كلمة التقوى، وإنما يجيء إتقانه لباقي الفصول بسبيل من إتقانه لهذا الفصل، وإنما يجيء إتقانه لهذا الفصل بسبيل من إتقانه للتقوى .. والتقوى علم، وعمل بمقتضى العلم .. فهي، في أول الطريق، علم بالشريعة، وعمل في العبادة .. وهي، في وسط الطريق، علم بالحقيقة، وعمل في تصحيح العبودية .. وهي، في أخريات الطريق، فناء عن العلم، وبقاء بالحياة — الحياة الحية، الواسعة، الرغيدة — حياة الله، التي تنزهت عن أن تؤوفها آفة، أو ينقصها منقص ..

و(لا إله إلا الله) هي هادية التوحيد .. والتوحيد هو العلم اللدني، الذي يؤخذ من الله مكافحة .. فهو لا يعلمنا إياه النبي، إلا في معنى أنه فاتح بابه، وقدوة السلوك إليه .. ولقد قال النبي في ذلك: (إنما أنا قاسم، والله يعطي، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .. ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يجيء أمر الله.) أراد بقوله (إنما أنا قاسم) أنه معلم الشريعة، ومعلم الطريقة، وقدوة السلوك .. وأراد بقوله: (والله يعطي) أن الله هو الذي يعلم حقائق الدين،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا أنا .. وهذا هو معنى قوله تعالى: (واتقوا الله، ويعلمكم الله) ..

والتوحيد علم ذوق، فهو لا يدرك بالقراءة .. ومعنى (علم ذوق) أنه إنما يجيء عن طريق الممارسة، والتجربة في العبادة .. فمن إلتمسه عن غير هذا الطريق سقط على الدعاوى، وتخبط في متاهات الجهل .. ونحن نتهم الدكتور مصطفى محمود بأنه اعتمد على القراءة في تحصيله للتوحيد .. وليس معنى هذا أن الدكتور لا يعبد، ولكن معناه أنه لم يتقن العبادة حتى يدخل بها مداخل العبودية، إذ ليست مرحلة العبادة مرحلة تذوق الحقيقة، وإنما هي مرحلة إعداد لهذا التذوق .. هي مرحلة عقيدة، في حين أن مرحلة تذوق الحقيقة مرحلة علم .. ولا يستقيم الحديث لمتحدث عن أصول الدين قبل إتقانه مرحلة العلم هذه .. ذلك بأن الإسلام يقع على مرحلتين: مرحلة الإيمان، ومرحلة الإيقان ... فأما مرحلة الإيمان فلها ثلاث درجات: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان .. وأما مرحلة الإيقان فلها ثلاث درجات، أيضا: علم اليقين، ثم علم عين اليقين، ثم علم حق اليقين، وبعد حق اليقين يجيء الإسلام، الذي هو دين الله، الذي لا يقبل غيره .. قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) .. وقال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين) ولا يشم أحد شميم معرفة أصول الدين قبل أن ينزل أدنى منازل الإيقان، وهي منزلة علم اليقين ..

فمرحلة الإيمان مرحلة عقيدة، ومرحلة الإيقان مرحلة علم .. ويتضح من كلام الدكتور مصطفى أنه لم ينزل هذه المنزلة .. وخير ما يكشف لنا ذلك منه حديثه عن هذا الفصل، (لا إله إلا الله) .. ثم حديثه عن الفصل الذي يليه، وعنوانه (مخير أم مسير) .. فلنأخذ في استعراض حديثه عن (لا إله إلا الله) .. وأول الدلائل على أن الدكتور مصطفى لم يرح رائحة اليقين قوله من صفحة 240: (لا إله إلا الله .. إذن لا معبود إلا الله ..

(ولن يعبد بعضنا بعضا .. ولن يتخذ بعضنا بعضا أربابا ولن نقتتل على شيء وقد أدركنا أنه لا شيء هناك ..

(ولن يأخذنا الغرور وقد أدركنا أننا خيالات ظل تموج على صفحة الماء ..

(ولن نفرح بثراء ولن نحزن لفقر ولن نتردد أمام تضحية ولن نجزع أمام مصيبة فقد أدركنا أن كل هذه حالات عابرة ..

(وسوف تلهمنا هذه الحقيقة أن نصبر على أشد الآلام .. فهي آلام زائلة شأنها شأن المسرات ..

(لن نخاف الموت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكيف يخاف ميت من الموت؟؟)

إنتهى حديث الدكتور مصطفى .. وأنت، حين تقرأه، يخيل إليك أنه يمكنك تحصيل هذا الإدراك في جلسة واحدة، أو في أيام قلائل، بعدها تملك الصبر على (أشد الآلام) ..

وما هو هذا الإدراك؟؟ هو إدراكنا (أننا خيالات ظل تموج على صفحة الماء)!! وهل نحن حقا خيالات ظل؟؟ أم هل نحن خلائف الله في الأرض؟؟

و(لن يخاف ميت من الموت) يقول الدكتور، ثم يردف: (وكيف يخاف ميت من الموت؟؟) فهل رأيت كيف يرى الدكتور انتصارنا على الخوف من الموت؟؟ هو يراه في اليأس من الحياة، وفي اليأس من القدرة على الفرار من الموت .. (وكيف يخاف ميت من الموت؟؟) .. والحق غير ذلك .. فإن انتصارنا على الخوف من الموت إنما يجيء من إطلاعنا على حقيقة الموت، ومن استيقاننا أن الموت، في الحقيقة، إنما هو ميلاد في حيز جديد، تكون فيه حياتنا أكمل، وأتم، وذلك لقربنا من ربنا .. وبالموت تكون فرحتنا، حين نعلم أن به نهاية كربنا، وشرنا، وألمنا .. قال تعالى عنه: (لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد) .. وإنما بالبصر الحديد ترى المشاكل بوضوح، وتواجه بتصميم ..

وعندما اشتدت بالنبي غصة الإحتضار، وقالت السيدة فاطمة البتول: (واكرباه لكربك يا أبي !!) أجابها المعصوم: (لا كرب على أبيك بعد اليوم) .. وقد سمى الله، تبارك، وتعالى، الموت (اليقين) فقال: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) و (اليقين)، أيضا، العلم الذي لا يكاد يكون فيه شك، والذي به تتكشف الحقائق المستورة وراء الظواهر .. وإنما سمي الموت اليقين لأن به اليقين، ولأن به يتم اليقين الذي يكون قد بدأ هنا عند العارفين، وإنما يكون بدؤه بالموت المعنوي الذي هو نتيجة العبادة المجودة .. وعن هذا الموت المعنوي قال المعصوم (موتوا قبل أن تموتوا) .. وقال عن أبي بكر الصديق: (من سره أن ينظر إلى ميت يمشي في الناس فلينظر إلى أبي بكر) هذا هو اليقين الذي باطلاعنا عليه، لا نتحرر من خوف الموت فحسب، وإنما به قد يكون الموت أحب غائب إلينا .. وما هو الإدراك الذي به توصل الدكتور إلى مثل هذا القول الذي قاله: (وكيف يخاف ميت من الموت؟؟) ؟؟

إنه من غير شك الإدراك الذي تعطيه العقول لحقيقة الموت – الإدراك الذي يعطيه النظر – وهو إدراك قاصر، ومخيف .. فإن الموت، كما يعطيه النظر العقلي، هو، عند أكثر الناس، نهاية، به تنقطع الحياة، وتسكن الحركة، ويتصلب البدن، ويعود إلى تحلل، ونتن، ويستحيل إلى تراب .. ألم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقل الدكتور نفسه في صفحة 237: (أين كل هذا؟ تحت الردم .. انتهى .. أصبح تربا .. كان حلما في مخيلة الزمان وغدا نصبح، أنا وأنت، تحت الردم ..) إن هذا هو الموت كما يعطيه نظر العقول غير المرتاضة، ولكن الموت، كما تعطيه حقائق القلوب السليمة، والعقول الصافية، فهو شيء يختلف اختلافا كبيرا .. ولا عبرة بالعقول غير المرتاضة بأدب القرآن فإن علمها ليس بعلم، لأنه يقف عند الظاهر، ولا يتعداه إلى بواطن الأمور .. وقد قال تعالى في ذلك: (وعد الله، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم، عن الآخرة، هم غافلون) فهم لا يعلمون اللباب، وإنما يعلمون القشور، (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) ولا يكون بعلم القشور تحرير من الخوف .. هذا هو مبلغ علم الدكتور، وهو به يظن أنه (لن يخاف الموت ..) ويقول، فيما يشبه البداهة، (وكيف يخاف ميت من الموت؟) ألا ترى أنك قد هونت صعبا، وأرخصت عزيزا؟؟ أني لأرجو أن تحدث مراجعة لأمرك هذا ..

المعبود بحق

(لا إله إلا الله .. إذن لا معبود إلا الله) هذا قول الدكتور، وهو قول منقول ومأثور بإضافة كلمة (بحق) بعد كلمة معبود وقد كان صحيحا في مرحلة عبادة الأصنام – مرحلة الشرك الغليظ – أما الآن وقد إنتقل الشرك الغليظ إلى الشرك الخفي فقد تطور مفهوم (لا إله إلا الله) ولم يعد: (لا معبود بحق إلا الله) وإنما أصبح معناها لا فاعل لصغير الأشياء وكبيرها إلا الله .. الفاعل واحد للكبيرة وللصغيرة، وذلك أن الإله هو تنزل الله إلى مرتبة الفعل .. فالتنزلات ثلاث: إلى مرتبة الاسم – الله – وإلى مرتبة الصفة – الأحد – وإلى مرتبة الفعل – الواحد – والواحد دائما صفة الإله .. وحيث وردت صفة (لله) فإنما هي الله في مرتبة الفعل مثل قوله تعالى: (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟؟) أو .. (قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) .. أو (لمن الملك اليوم؟؟ لله الواحد القاهر) .. ووصف الإله (بالواحدية) هو ما عليه الأمر في ساير القرآن، ومن أمثلة ذلك: (ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا!! خيرا لكم .. إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات، وما في الأرض، وكفى بالله وكيلا) أو قوله: (إلهكم إله واحد، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة، وهم مستكبرون) أو مثل قوله: (وقال الله: لا تتخذوا إلهين، اثنين، إنما هو إله واحد، فإياي فارهبون) ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وذلك أن الناس لم ينكروا الله، وإنما أنكروا الإله .. يعني أنكروا أن يكون الله هو الفاعل لكل الأشياء، كبيرها، وصغيرها .. فأما الأفعال الكبيرة فقد فعلها الله .. يعترف بذلك كل الناس .. وأما الأفعال الصغيرة التي لهم فيها وهم مشاركة فهم ينسبونها للمخلوقات، ويذهلون عن الله .. قال تعالى في ذلك: (ولئن سألتهم من خلق السموات، والأرض، وسخر الشمس، والقمر؟؟ ليقولن الله .. فأنى يؤفكون؟؟ * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، إن الله بكل شيء عليم * ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها؟؟ ليقولن الله .. قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون * وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) .. قوله: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر؟؟ ليقولن الله) يعني لئن سألت المشركين عن ذلك يقولون (الله) لأن هذه الأعمال الكبيرة لا يقع لهم فيها وهم مشاركة، لعظمتها وجلال قدرها، وظهور عجزهم، وعجز المخلوقات الأخرى عن الإتيان بمثلها .. ثم قال (فأنى يؤفكون؟؟)

فكأنه قال كيف يصرفون عن حقيقة هذا التوحيد عندما تدخل في الإعتبار الأعمال الصغيرة التي تتعلق بالرزق مثلا؟؟ فكأنه قال إن تسألهم: من خلق السموات والأرض؟؟ يقولوا: الله .. وإن تسألهم: من يرزقكم؟؟ يقولوا: كدنا، واجتهادنا .. وههنا يقع منهم الشرك .. وكذلك فقد أردف قوله السابق بقوله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، إن الله بكل شيء عليم) فكأنه قال: إن الرازق للعباد، وإن خالق السموات، والأرض، هو واحد .. ثم هو لتوضيح كل ذلك ذهب ليقرب الأمر للعقول فقال: (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها؟؟ ليقولن الله .. قل الحمد لله، بل أكثرهم لا يعقلون) فههنا إشارة لطيفة للشرك في أمر الرزق في الزراعة .. فكأنهم يعتقدون، أو يكادون يعتقدون، أن عمل الله وقف عند هذا الحد، وبدأ عملهم هم في بذر الحب، وتعهده بالنظافة، والعناية، حتى يبلغ حصاده، فيصبح رزقا ناجزا .. ولتوضيح هذا الخطأ يجيء القرآن في موضع آخر ليقول: (أفرأيتم ما تحرثون * أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟؟ * لو نشاء لجعلناه حطاما فظللتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون) فيستخدم كلمات اللغة أتم استخدام باستعمال كلمة (حرث) لما يخص عمل (الزارع) ثم استعمال كلمة (زرع) لما يخص الله من فعل (الإنبات) .. ثم تجيء الآيات الباقيات لتزيد توضيح الفعل الإلهي الدقيق الذي يتدخل في أمر الرزق بصورة تجعل اللجوء إليه في كل كبيرة وصغيرة من أولويات العلم ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولأهمية ترسيخ وحدة الفاعل في أخلاد السالكين يقول تعالى: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم .. وهو السميع العليم * ولئن سألتهم من خلق السموات، والأرض، وسخر الشمس، والقمر؟؟ ليقولن الله .. فأنى يؤفكون؟؟ * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر له .. إن الله بكل شيء عليم) فيحف الآية ذات الدلالة الدامغة على وحدة الفاعل وهي: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر؟؟ ليقولن الله .. فأنى يؤفكون؟؟) بآيتين: قبلها، وبعدها، كليهما في أمر الرزق، فيقول في الآية التي سبقتها (وكأين من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم .. وهو السميع العليم) وهذه إشارة إلى أن الحيلة في تدبير الرزق ليست هي سبب الرزق، وأن الله يرزق من يدبر، ومن لا يدبر، لأن الله هو سبب الرزق .. (الله يرزقها وإياكم)... ثم يقول في الآية التي لحقتها (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر له .. إن الله بكل شيء عليم) فلم تغادر شيئا من وهم الواهمين إلا جلته .. فإن حدثتك نفسك بأن الضروري، والكفاف من الرزق مضمون بلا تدبير، ولكن لتوسعة الرزق لا بد من سعة الحيلة، فاعلم أن (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر له) وهو، في هذا، أو ذاك، أعلم بما يصلح عباده (إن الله بكل شيء عليم) ..

إن الشرك الغليظ قد انتهى لغير عودة .. ولم يبق إلا الشرك الخفي، ولا نهاية لهذا، فإنه يدق، ولا ينقطع، ولا ينتهي .. وكل الشرك سببه الرزق .. فإنا نتهم الله سبحانه، وتعالى، عن ظنون جهالاتنا .. قال المعصوم: (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، ولعلمتم العلم الذي لا جهل بعده .. وما علم ذلك أحد!! قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا!! قالوا: ما كنا نظن الأنبياء تقصر عن شيء!! قال: إن الله أجل، وأخطر، من أن يحيط بما عنده أحد) ومعنى هذا أن النبي، على جلال قدره، وكمال معرفته بربه وحسن توكله، وتمام عناية ربه به، حتى أنه لقد قال: (إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني، ويسقيني!!). مع كل أولئك لم يكن ليستطيع أن يتوكل على الله حق توكله .. وهناك حديث، في أمر الرزق، وأمر التوحيد، يقول فيه المعصوم: (لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله، ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم، فإذا فعلوا ثم قالوها، قال الله: كذبتم، لستم بها صادقين) .. (يبالوا ما نقص من دنياهم) قد تعني حركة الخاطر بالاعتراض، أو بالسخط على أمر تتمنى النفس أن لم يكن قد كان .. وهذا من أدق الأشياء، ولا يستقيم لأحد الخلاص منه، بالغا ما بلغ من صدق اليقين، ومن تمام الرضا .. فإن الله، جل، وعلا، وتنزه عن أن يرضى به عبد كل الرضا ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

و(لا إله إلا الله) هي الكلمة الطيبة التي قال تعالى عنها .. (ألم تر كيف ضرب الله مثلا: كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؟؟ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) ومعنى أن أصلها ثابت أنها قيلت في الأرض بلسان الحال، وبلسان المقال .. قيلت بلسان الحال من كل ذراري الأرض، منذ أن خلق الله الأرض .. وقيلت بلسان المقال بالإضافة إلى لسان الحال، منذ أرسل الله الرسل لهداية الخلق .. وقد قال المعصوم: (خير ما جئت به أنا، والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله) .. ومعنى أن (فرعها في السماء) أن موضع الثمر منها في السماء، وذلك عند الله، حيث لا عند .. والعبارة (بالسماء)، ليست للمكان، وإنما لتناهي السمو .. وقد وردت العبارة عن ذلك بقوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم، قائما بالقسط، لا إله إلا هو، العزيز الحكيم) .. قوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) يعني شهادته بذاته، لذاته، في إطلاقه .. وشهد الملائكة في السموات والأرض .. وشهد أولو العلم في الأرض .. أنه (لا إله إلا هو) .. وقوله (قائما بالقسط) أفاد مرتبة الفعل، لأن القيام بالقسط إنما يعني الحكمة، والحكمة لا تظهر في شيء ما تظهر في الفعل .. وقد جاء بالفاصلة (العزيز الحكيم) ليفيد الفعل .. فإن (العزيز) الذي لا يغلب .. و(الحكيم) الذي يعطي كل ذي حق حقه، ويضع الأشياء في موضعها الصحيح .. ولا تظهر غلبة العزيز، ولا تظهر حكمة الحكيم في شيء ما تظهر في الفعل .. ولقد شهد الله لنفسه بالتوحيد، وشهد الملائكة، وشهد أولو العلم .. شهد الله في إطلاقه، كما قلنا، وشهد الملائكة في السموات، وفي الأرض، وشهد أولو العلم في الأرض، فامتدت كلمة (لا إله إلا الله) شجرة سامقة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء .. وثبوت أصلها في الأرض هو أس الرجاء، فإن جذورها نزلت، وتغلغلت، وامتدت إلى أسفل قريبا من امتداد فروعها إلى أعلى، فبلغت إبليس في دياجير ظلماته، فساقت إليه نور الوجود، وأن لم تسق إليه نور المعرفة، فشهد بلسان حاله أنه (لا إله إلا الله) .. وهو لن يلبث، عندما يتأذن الله فيرى الآيات، أن يشهد بلسان مقاله أيضا فتدركه الرحمة المكتوبة للمتقين .. وقوله: (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) يعني أن عمل العاملين بلا إله إلا الله في الأرض تتوجه الرحمة الإلهية فتنزل عليه إمدادات الأنوار، والبركات، من الأعالي، فتطيب لتلك الأُمدادات الفروع، والأصول جميعا .. هذه هي قيمة الشهادة في الأعالي، وإلى ذلك أشار تعالى حين قال، جل من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قائل،: (هو الذي يصلي عليكم، وملائكته، ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم، يوم يلقونه، سلام. وأعد لهم أجرا كريما) ..

والكلم الطيب أيضا

و (لا إله إلا الله) هي أيضا الكلم الطيب التي قال تعالى فيها: (من كان يريد العزة، فلله العزة جميعا، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور) أسماها هنا (الكلم) على الجمع، في مقابل ما أسماها هناك (كلمة) على الإفراد .. والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات، وعلى هذا الاعتبار فإن (لا) كلمة و(إله) كلمة و(إلا) كلمة و(الله) كلمة .. ومع أن أعظم كلمات القرآن، على إطلاقها، هي كلمة (الله) إلا أن كلمة (لا إله إلا الله) أهمها، وما ذاك إلا لقيمتها (التسليكية) .. فإنها، من حيث التسليك، لا يعدلها شيء، وذلك لمكان (النفي) و (الإثبات) فيها .. وما يفيده (النفي) و (الإثبات) هو أن الحقيقة لا هي هذه، ولا تلك، وإنما هي (بين، بين) .. ومعنى هذا أنك إن أشركت بالله غيره فأنت ضال، وإن نزهته عن الشريك فأنت ضال، وإن كان ضلالك، حين تشرك معه غيره، أكبر من ضلالك حين تنزهه .. ولا يكاد تركيب في القرآن يؤدي هذه الصورة ما تؤديها هذه العبارة، ولكن يقرب منها بعض الآيات، ومنها، على سبيل المثال قوله تعالى: (فلم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم .. وما رميت، إذ رميت ولكن الله رمى .. وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا، إن الله سميع عليم) .. فحين قال: (وما رميت) نفى الرمي عن النبي .. وحين قال: (ولكن الله رمى) أثبت الرمي لله، بعد أن نفاه عن النبي .. ولكنه، بين النفي والإثبات، جاء بعبارة (إذ رميت) فوزن الأمر بين النفي والإثبات، وأصبح الحق (بين، بين) .. ومعنى (بين، بين) في هذا الموضع أن للشريعة حكمها، وللحقيقة حكمها في المقام .. فلكأن النبي رمى في ظاهر الأمر، ولكن في باطن الأمر لم يرم إلا الله – النبي رمى في الشريعة، ولم يرم في الحقيقة إلا الله – وبذلك يجري حكم الشرع على المسيء بالعقاب، وعلى المحسن بالثواب، ولا يحتج مسيء، في هذا الباب، بما هو في حكم الحقيقة ليفلت من معاقبة الشريعة، ولا يبالغ غيور على الدين في معاقبة المسيء عما ورد به النص في العقوبة المقررة في الشريعة طلبا لردع الجناة بالقسوة عليهم، وذلك لمكان حكم الحقيقة في خطيئة المخطئ، وإساءة المسيء .. وهذا هو الوزن بالقسطاس المستقيم ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وذكر القسطاس المستقيم يسوقنا إلى الحديث عن الاستقامة .. والاستقامة هي الاستواء على الوسط بين طرفين، كليهما، إذا أخذ بمفرده، خطأ .. وللتمثيل لهذين الطرفين نسوق الشريعة والحقيقة .. فالشريعة إذا أخذت بلا حقيقة فهي خطأ، والحقيقة إذا أدعيت بلا شريعة فهي خطأ، والاستواء، أو قل الاستقامة، أن يكون الرجل صاحب شريعة، وصاحب حقيقة، في آن معا، من غير تخليط في ذلك، فهو يعامل الخلق بالشريعة، ويعامل الحق بالحقيقة .. والثبات على هذه الحالة من أصعب الأشياء، فهو كقبض الزئبق، إن لم نقل كقبض الريح .. ومن أجل هذا فإن الاستقامة أصعب الأشياء على السالكين .. ولقد قيل أن النبي قد قال: (شيبتني هود وأخواتها) .. يشير إلى قول الله تعالى منها (فاستقم، كما أمرت، ومن تاب معك، ولا تطغوا .. إنه بما تعملون بصير ..) ..

ولقد جاءت (لا إله إلا الله) بهذه الصياغة عل أتم صورة، فهي ، من طرف، نفي، (لا) وهي، من الطرف الآخر، إثبات، (إلا) .. وليس الحق في طرف النفي وحده، ولا هو في طرف الإثبات وحده، وإنما الحق برزخ بين ملتقى بحري النفي والإثبات .. قال تعالى: (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ، لا يبغيان) .. والبرزخ ههنا هو كلمة (الله) فكأنه قال (لا إله، إلا إلها هو "الله") وإنما (الله) برزخ بين المطلق في إطلاقه، وبين جميع الخلائق .. وهذا يعني أن أول تنزلات المطلق إلى القيد كان تنزله إلى مرتبة الاسم، وهو (الله) .. ولولا أن أن المطلق تقيد في مراتب الإسم، والصفة، والفعل، ما عرف .. وهذا معنى قوله، تبارك، وتعالى: (كنت كنزا مخفيا، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق، فتعرفت إليهم، فبي عرفوني) (فبي) يعني بتنزلي من الإطلاق إلى القيد .. وأول مراتب القيد مرتبة الاسم، وأول الأسماء (الله) وهذه هي مرتبة (الذات المحمدية)، التي هي أول قابل للتجليات الإلهية .. ولذلك فكثيرا ما يقال وبحق: عن (فبي) أنها تعني (محمدا) فلكأنه قال (فبمحمد عرفوني) .. وفي لغة الأرقام مجموع حروف اسم (محمد) كمجموع حروف (فبي) .. كلاهما اثنان وتسعون، كما هو معروف .. ومقام (الذات المحمدية) هو مقام الإنسان الكامل .. ويجب أن يكون معروفا فإن أسماء الله الحسنى هي في حق الإنسان الكامل في المكان الأول، وهي لا تكون في حق الذات الصرفة، المطلقة، إلا عند التناهي، عندما تعجز العبارة، وتكاد تنقطع الإشارة، ذلك بأن الذات المطلقة فوق الاسم، وفوق الصفة، وأعظم أسماء المطلق الإنسان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكامل، وأعظم صفات المطلق الإنسان الكامل – إسم الله الأعظم هو الإنسان الكامل – ومقامه مقام (ما زاغ البصر وما طغى).

وهناك حقيقة يجب تقريرها، وتلك هي أن التوحيد صفة الموحد (بكسر الحاء)، وليس صفة الموحد (بفتح الحاء) .. فإن الموحد غني عن توحيد الموحدين، بعد أن وحد نفسه: (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فإذا استيقنا هذه الحقيقة فقد وجب علينا السير في تحقيق التوحيد في بنيتنا، وذلك بإتقان العبادة حتى تفضي بنا إلى العبودية .. والعبادة المفضية إلى العبودية ليست قياما في المحاريب فقط، وإنما هي، إلى ذلك، حسن معاملة للناس في الطرقات، والأسواق، وفي كل منزلة تنزلها، أو مقام تقومه ..

وتحقيق التوحيد في بنيتنا يقتضي الجمعية بعد التوزع، والحضرة بعد الغفلة .. ومقدمة كل أولئك إنما هي تجويد وحدة الفاعل بالإطلاع على حقيقة سر الآية: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله، رب العالمين) بعد العمل الجيد، الواعي، الرشيد، بمطلوب الآية: (لمن شاء منكم أن يستقيم)، فإن هذه آية شريعة، وتلك آية حقيقة، ومن عمل بالشريعة بإتقان، وحضور قلب، علمه الله الحقيقة .. وموعود الله في ذلك: (واتقوا الله، ويعلمكم الله) .. والاستقامة في آية (لمن شاء منكم أن يستقيم) إنما هي في أول سلم السلوك، وهي الوقوف عند أوامر الشرع، ونواهيه .. وهذه، من هذه البداية البسيطة، تسوق، بعناية الله، إلى الاستقامة التي هي الوفاء بأدب الوقت .. وإنما من أجل الوفاء بأدب الوقت جعلت للعبادات أوقات .. فقال تعالى عن الصلاة: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .. وقال تعالى عن الصوم: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس، وبينات من الهدى، والفرقان .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضا، أو على سفر، فعدة من أيام أخر .. يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون) .. وقال تعالى عن الحج: (الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال في الحج .. وما تفعلوا من خير يعلمه الله .. وتزودوا، فإن خير الزاد التقوى، واتقوني يا أولي الألباب) .. وعن الزكاة قال تعالى: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات، وغير معروشات، والنخل، والزرع، مختلفا أكله، والزيتون، والرمان، متشابها، وغير متشابه .. كلوا من ثمره إذا أثمر .. وآتوا حقه يوم حصاده .. ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين) هذه جميع العبادات .. ولها، جميعا، أوقاتها التي تؤدى فيها، ولكل وقت أدبه الذي يناسبه، والذي جاءت به الشريعة .. وما أدب الوقت في الشريعة إلا وسيلة إلى أدب الوقت في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحقيقة .. وأدب الوقت في الحقيقة هو العبودية .. وهو يعني أن تكون لله كما هو لك .. وهيهات !! وإنما الوفاء به هو شغل العباد..

ومع أن الأشياء التي توزعنا عن الله، وتسترقنا، فتنقص بذلك عبوديتنا له، كثيرة، ومختلفة، ومتفاوتة، إلا أنها، جميعها، يحتويها الزمان .. والزمان طاقة متحركة في نفسها، ولكن ليس بنفسها .. وعندما تتمركز هذه الطاقة المتحركة في نقطة معينة منها، وتتحرك حولها بسرعة تختلف عما حولها، يبرز لها تجسيد بصورة تلفت الإنتباه، وتتكون، حينئذ، المادة المألوفة عندنا، والتي منها برزت الأكوان المنظورة بالعين المجردة، وغير المنظورة .. وهذه الطاقة المتحركة تمثل إرادة المريد، المتفرد بالإرادة، وتجيء هذه الإرادة الحكيمة وسطا بين طرفين، من أعلاها العلم، ومن أسفلها القدرة، وهي بذلك تمثل قوام القوة الفاعلة ..

من مادة الفكر صنع العالم

كل شيء نصنعه نحن لا يتم صنعه إلا بعد أن يكون قد نزل ثلاث نزلات: فنزلة إلى مرتبة العلم، وأخرى إلى مرتبة الإرادة، وثالثة إلى مرتبة القدرة .. وقد تكون هذه ثلاث النزلات منفصلة عن بعضها البعض، ومتميزة، وقد تكون مندمجة، ومتصلة .. ولكنها موجودة، ثلاثتها .. ذلك بأنك لا يمكن أن تصنع صنعة لا تعلمها، ولا أن تصنع صنعة لا تريدها، ولا أن تصنع صنعة لا تقدر عليها .. والنزلة إلى مرتبة العلم إنما جاءت عن مرتبة الفكر، والنزلة إلى مرتبة الفكر إنما جاءت عن مرتبة العقل، والنزلة إلى مرتبة العقل إنما جاءت من مرتبة الذات، وليس وراء الذات المحدثة إلا الذات القديمة .. والذات المحدثة، فيما يصدر عنها، وكيفية صدوره، تحكي الذات القديمة .. فإن الله، تبارك، وتعالى، قد خلقنا على صورته .. فصناعتنا، في أطوار بروزها، تحكي صناعته .. وإنما عنانا، تبارك، وتعالى، حين قال: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم؟؟ قل الله خالق كل شيء، وهو الواحد القهار ..) غير أن صنعنا نحن ناقص، وذلك لمكان نقص ذواتنا، ونقص عقولنا، ونقص فكرنا، ونقص علمنا، ونقص إرادتنا، ونقص قدرتنا .. ونحن، إلى ذلك، عندما نصنع شيئا لا نصنع المادة التي نصنع منها، وإنما نتصرف في مادة ناجزة .. فإن لم تكن مادة ناجزة، فإننا لا نعدو أن نجمع تكوينها من أجزاء ناجزة، لا دخل لنا في صنعها، وما ينبغي لنا، وما نستطيع ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والذات القديمة علمها قديم، وإرادتها قديمة، وقدرتها قديمة ..وهي لا تعلم بعقل كأحدنا وإنما تعلم بذاتها، وتريد بذاتها، وتقدر بذاتها .. وهي لم تصنع العالم من مادة سابقة وإنما صنعته من لدنها .. قال تعالى في ذلك: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها) فإن هذه النفس الواحدة، هي نفسه، تبارك، وتعالى ..

فالعالم هو تجسيد علم الله – هو تجسيد فكر العقل الكلي، المحيط، والمطلق، في ذلك – وإنه لحق أن العالم قد صنع من مادة الفكر، ومن أجل ذلك جاءت كرامة الفكر .. ولم يجعل الله هاديا في شعاب ظلمات العالم غير نور العقل القوي الفكر .. وإنما من أجل تقوية الفكر أرسل الله الرسل، وأنزل القرآن، وشرع الشرائع: قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر، لتبين للناس، ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون) .. فكأن العقل، إذا روض، وأدب بأدب الشريعة، وأدب الحقيقة، (أدب الوقت)، أصبح شديد القوى، دقيق الفكر، نافذه .. هكذا وصف الله العقل، فإنه تعالى قد قال عنه: (علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى) .. و(استوى) هذه تردنا إلى الاستقامة مرة ثانية، فإن الاستواء إنما هو الثبات على الجادة، وهو نفس معنى الإستقامة .. وقد قلنا أن الاستقامة هي الوفاء بأدب الوقت، والوقت هو اللحظة الحاضرة .. ذلك بأن اللحظة الحاضرة هي أصل الزمان، وهي وسط بين طرفين، كليهما، في حكم الحقيقة، باطل، وإنما يعتبر وجودهما في حكم العقل – حكم الشريعة – وذلك هو الحكم الذي به دخل، في الوجود، خلق الأزواج، قال تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين، لعلكم تذكرون * ففروا إلى الله، إني لكم منه نذير مبين) .. فالحكمة في خلق الأزواج، هي تمكين العقول، من الإدراك: (لعلكم تذكرون) والتذكر عملية مزاوجة بين طرفين: الذاكرة، والخيال .. قوله (ففروا إلى الله) يعني فروا من التعدد الذي يقوم عليه حكم العقول، إلى الأحدية التي يقوم عليها حكم القلوب ..

بذرة القرآن:

وأما بذرة القرآن، فهي ليست كلمة: (لا إله إلا الله) كما زعمت أنت في صفحة 250 حين قلت: (والذي يقرأ القرآن في تفكر وتأمل يشعر أنه خرج جميعه من بذرة واحدة هي كلمة لا إله إلا الله تفرعت وأورقت وأثمرت شجرة القرآن كله. من التوحيد نشأت كل أعداد المعارف والعلوم) انتهى .. إن بذرة القرآن، هي كلمة (الله) وهذه البذرة، قد تنزلت من الإطلاق .. هي طرف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإطلاق القريب منا، تجسد .. ولقد أسلفنا القول في هذا الفصل أن كلمة (الله) هي (أعظم) ما في القرآن، وأن الكلمة (لا إله إلا الله) هي (خير) ما في القرآن، وإنما كان ذلك كذلك، لأنها منهاج تسليك بها يقوى العقل على ملاقاة الله .. ولقد قال العارفون: إن آيات القرآن كلها، قامت في الطرقات لتسوق الناس، بالوعد والوعيد، إلى تحقيق (لا إله إلا الله) .. ثم ان (لا إله إلا الله) تسوق الناس إلى الله .. وكلمة (الله) تشير إشارة، إلى الإطلاق، الذي منه تنزلت ..

والإطلاق فوق العبارة .. فهو لا يسمى، ولا يوصف، ومن ثم لا يعرف .. ولولا أنه تقيد في منزلة الاسم، (الله) لما كان إليه من سبيل .. وأنت تقول من صفحة 249 (والله في القرآن ذات وأسماء وصفات وأفعال) وهذا حق، على شرط إعتبار مراتب القيد الذي فيه تقيدت الذات الساذج، الصرفة، وذلك بمحض الفضل .. ومقام القيد هذا، هو مقام تجسيد .. هو مقام الإنسان الكامل الذي ما هو إلا (الحقيقة المحمدية) .. وإلى هذا التجسيد في هذا المقام، الإشارة بقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين * فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم * هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، والملائكة، وقضي الأمر .. وإلى الله ترجع الأمور؟؟) ..

وهذه الآيات مسبوقات في السياق بآيات هي: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث، والنسل .. والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم، ولبئس المهاد) وقد قيلت في رجل منافق أتخذ نموذجا للكافرين، والمنافقين .. والنفاق أسوأ خصال الرجال .. قال تعالى في ذلك: (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) .. وقال عن المنافقين: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا) فالكافرون والمنافقون قبيل واحد .. وسترد الإشارة إليهم، في الآيات التي نحن بصددها .. فإلى تلك الآيات – قوله: (يأيها الذي آمنوا ادخلوا في السلم كافة) يعني الإسلام .. قوله (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات) يعني أن دخلتم في الإسلام، ثم زلت بكم القدم عن الطاعات من بعد ما بينا لكم الحدود، (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) .. في هذا القول إشارة إلى أمرين: الأمر الأول، فاعلموا أنكم أنما زللتم بإرادة الله، فإن العزيز لا يعصى رغم أنفه .. والأمر الثاني، فاعلموا أن الله يغفر لكم ما دامت زلتكم قد جرت عليكم وأنتم داخل الملة، فإن العزيز لا يضره أن يعفو، والحكيم يصلح بالعفو، ويصلح بالعقوبة .. قوله: (هل ينظرون؟) الإشارة هنا إلى الكافرين، والمنافقين، والمعنى: ما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ينتظرون .. قوله: (إلا أن يأتيهم الله) يعني (الإنسان الكامل) .. يعني (الحقيقة المحمدية) .. قوله: (في ظلل من الغمام) يعني يأتيهم مجسدا، في الدم، واللحم .. وتلك إشارة لمجيء المسيح .. قوله: (والملائكة) إشارة إلى أعوان المسيح .. قوله: (وقضي الأمر)، إشارة لساعة مجيئه .. قوله: (وإلى الله ترجع الأمور) إشارة إلى الكمالات، التي تظهر بمجيء المسيح، وأعوانه، وهي الكمالات التي بها تملأ الأرض عدلا، كما ملئت جورا .. فإن الرجوع إلى الله إنما هو في الدرجات، لا في المسافات ..

فالإنسان الكامل، إذن، هو الذات التي في القرآن .. ولكن الذات الصرفة، المطلقة، فوق القرآن المرقوم .. لأنها فوق العبارة، وفوق الإشارة .. والحديث عنها يسوقنا إلى الحديث عن أسرار الحروف، التي افتتحت بها بعض سور القرآن .. ولقد تحدثت أنت عنها في هذا الفصل، في صفحة 254 فقلت: (وكل حرف من حروف اللغة له خواصه التعبيرية، وأسراره. ونحن لم نتعلم من هذه الأسرار إلا القليل. وحينما يطالعنا القرآن بتلك الحروف المطلسمة في بدايات السور أمثال: طسم .. كهيعص – حم .. طس .. فإنه يطالعنا بأسرار بالفعل، وليس بمجرد حروف تشابكت كيفما اتفق، وإنما هي بعض التحديات التي تحدانا بها القرآن ووعدنا بأن يأتي تأويلها في آخر الأيام ..

ونظريات المفسرين في هذه الحروف كثيرة ومختلفة. البعض يقول أن الله يقسم بهذه الحروف في مطالع السور ..

والبعض يقول أنها تؤلف فيما بينها اسم الله الأعظم الذي قد احتفظ بسره لنفسه.

والبعض يقول أنها مجرد مفردات – يقول لنا الله انه خلق منها ومن مثلها القرآن .. فيقدم لنا لبنات البناء وخاماته قبل أن يرينا البناء في كماله وتمامه .. على سبيل الإعجاز.

وكلها ضروب من التخبط.

وأولى بنا أن نقول: لا نعلم.

وما كان لنا أن نحيط بالقرآن في جيل واحد أو أجيال .. وقد نزل القرآن لكل العصور .. ليبوح بسره على مدى عمر الدنيا فيكاشف كل مفسر بقطرة من بحره.

وما زال القرآن يعطي كل من جاهد في تفهمه .. وما زال يفتح قلبه لكل من فتح له قلبه) هذا ما ذكرته أنت عن الحروف التي افتتحت بها السور .. والحروف تعتبر هي مرحلة الإشارة في القرآن، بعد أن ضاقت العبارة عن المعانى، وهي تتسامى، من المحدود إلى المطلق، في شكل هرمي، قاعدته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العبارة التي، بحسب اللغة، لا تحتمل إلا وجها واحدا .. وقمته عند الذات المحدثة – (الحقيقة المحمدية) التي هي أول قابل لتجليات الذات الساذج .. وعن العبارة التي لا تحتمل إلا وجها واحدا من عبارات القرآن، جاء قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات .. فأما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون في العلم، يقولون آمنا به، كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب) .. (آيات محكمات، هن أم الكتاب) هذه الآيات، عليها اعتمدت الأحكام، وهي، بحسب اللغة، لا تكاد تحتمل إلا وجها واحدا .. هذه الآيات، هي قاعدة العبارة .. وعن قمة العبارة جاءت كلمة (الله) وهي ليس لها من خصائص العبارة إلا كونها كلمة، وإلا، فهي أدخل في الإشارة، منها في العبارة، لأنها، وإن كانت كلمة، فإنها غير مشتقة، ولذلك فلا معنى لها محدود .. وهي، من وجهها الذي يلي المحدود، موصوفة بالأحدية، ومن وجهها الذي يلي المطلق، لا توصف، ويصبح معناها في غيرها .. لأنها إشارة إلى الإطلاق .. ومرحلة الإشارة بالحروف تقع في مضمار هذا الإسم الشريف، بين قاعدته الموصوفة بالأحدية، وقمته التي تتنزه عن الوصف، والتي تظل، سرمديا، مفتوحة على الإطلاق، تستوعب في كل جزئية زمنية طرفا منه، فتقيده .. ولمرحلة الإشارة بالحروف قاعدة، ولها قمة .. فأما قاعدتها فهي الحروف الرقمية .. وأما قمتها فهي الحروف الفكرية .. وتقع بين هذه القمة، وتلك القاعدة، الحروف الصوتية .. فكأن الحروف على ثلاث مراتب: رقمية، وهي تتكون من الثمانية والعشرين حرفا، التي تشتمل عليها الأبجدية في اللغة العربية .. أولها الألف، وآخرها الغين .. وهذه الحروف الثمانية والعشرون وهي بعدد منازل القمر، منها أربعة عشر حرفا نورانية، وهي: أ – ل – ر– ك – هـ – ي –ع – ص– ط – س – ح – م – ق – ن ، وقيدها في افتتاحيات السور: ألر .. كهيعص .. طس .. حم .. ق .. ن ، ومن هذه الحروف النورانية، الأربع عشر، أفتتحت تسع وعشرون سورة، على أربع عشر تشكيلة، هي: (ألم) .. (ألمص) .. (ألر) .. (ألمر) .. (كهيعص) .. (طه) .. (طسم) .. (طس) .. (يس) .. (ص) .. (حم) .. (حم – عسق) .. (ق) .. (ن) .. ومنها أربعة عشر حرفا، ظلمانية، هي بقية حروف الهجاء الثمانية والعشرين .. ومن هذه الحروف الرقمية، النورانية منها والظلمانية، يتألف الكلام الظاهر .. والكلام الظاهر هو لغة العقل .. ولغة العقل إبتدأت بالكلمات الصوتية – الكلمات التي تحكي الصوت – ثم تطورت هذه الكلمات في المعاني، حتى أصبحت تعبر عن دقائق خلجات النفس البشرية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الحروف الصوتية، فهي لا حصر لها، وذلك لأنها تنتج عن حركات المتحركات، وكل ذرات المادة في حركة ما تنقطع .. ويقابل عددها في الخارج عدد مماثل في داخل النفس البشرية .. وهي، في ذلك، المسموع منها، وغير المسموع، تؤلف الخواطر التي تجيش في العقل الواعي، وفي طرف العقل الباطن، مما يلي العقل الواعي، مما تصح تسميته بالعقل شبه الواعي ..

وأما الحروف الفكرية، فهي ملكوت كل شيء .. وهي كلمات الله التي قال عنها، جل من قائل: (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مددا) .. ومن هذه الحروف الفكرية، تتكون الخواطر المستكنة في العقل الباطن .. وفي سويدائه الحقيقة الأزلية، وعلى حواشيه الدين .. والحقيقة الأزلية (وترية)، وإلى الدين تنتهي الحقيقة (الشفعية)، وهذه نهاية إدراكات العقول، وهي ، من ثم، نهاية الحروف الفكرية ..

وإلى الحروف الرقمية، والحروف الصوتية، والحروف الفكرية، وردت الإشارة بقوله تعالى (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر، وأخفى) فالقول المجهور به يقابل الحروف الرقمية، والسر، المنطوي عليه الضمير يقابل الحروف الصوتية .. وأما الحروف الفكرية، فيقابلها سر السر .. ولقد تحدثنا عن سر السر في فصل (مخير، أم مسير) من هذا الكتاب .. ومن هذه الحروف الفكرية ما لا يسمع إلا بالحاسة السابعة، ولقد تحدثنا عن الحاسة السابعة في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابنا (رسالة الصلاة)، فليراجع في موضعه .. وللإستزادة من الحديث عن الحروف، يمكن مراجعة الباب الخامس، من كتابنا (الرسالة الثانية من الإسلام).

وعند دقة الحروف الفكرية، ولطفها، يحصل، الفينة بعد الفينة، عجز العقل عن التفكير .. وعندئذ يقع الشهود الذاتي، إذ تباشر الذات المحدثة، الذات القديمة، بغير حجاب بينهما ..

وأما قولك: (وما كان لنا أن نحيط بالقرآن في جيل واحد أو أجيال .. وقد نزل القرآن لكل العصور .. ليبوح بسره على مدى عمر الدنيا فيكاشف كل مفسر بقطرة من بحره) فهو قول يدل على أنك تنتظر الإحاطة بالقرآن، وتنتظر من القرآن أن يبوح بسره، فيما بعد انقضاء عمر الدنيا، وهو بذلك قول باطل .. فإن الإحاطة بالقرآن، تمتنع (وما يعلم تأويله إلا الله) والقرآن إنما يبوح بسره في السرمد، والسرمد هو الزمن المطلق، وهذا هو ما يناسب إطلاق القرآن .. فإن القرآن أوله عندنا نحن في اللغة العربية، وآخره عند الله .. حيث لا حيث .. وعند لا عند .. قال الله في ذلك (حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا، لعلكم تعقلون * وإنه، في أم الكتاب، لدينا، لعلي حكيم) قوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا، لعلكم تعقلون) يعني طرف القرآن القريب منا (وإنه، في أم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الكتاب، لدينا، لعلي حكيم) يعني حقيقة القرآن .. فإن (لدى) هنا ليست ظرف زمان، ولا هي ظرف مكان، وإنما هي عند الله في إطلاقه .. ههنا حقيقة القرآن، وهي حقيقة مطلقة – هي الذات –

وأنت تقول من صفحة 249: (والسراط المستقيم هو الطريق المؤدي إلى الله وإلى الحق والنجاة) انتهى. فما هو هذا الطريق يا ترى؟؟ فإن الشريعة مؤدية إلى النجاة، ومؤدية إلى الله، في معنى ما تؤدي إلى النجاة، فهل هذا ما تعني أنت حقا بتفسيرك للسراط المستقيم على هذا النحو؟؟ إنك قد هونت عزيزا، ذلك بأن السراط المستقيم هو أعلى، وأغلى مطالب الرجال .. وعندما قال النبي الكريم (شيبتني هود وأخواتها) قالوا: إنما عنى في هود قول الله تعالى، يأمره: (فاستقم كما أمرت، ومن تاب معك، ولا تطغوا، إنه بما تعملون بصير)

فالإستقامة هي الثبات من الجولان بين طرفين يتنازعان القلب، وهذان الطرفان هما الماضي، والمستقبل .. وعندما عرج النبي، وتناهى به المعراج، خلف جبريل عند سدرة المنتهى، في مقام (قاب قوسين، أو أدنى) وتجاوز هو منفردا، إلى مقام جمعية بالله، تمت له فيه الوحدة الذاتية، والوحدة المكانية، والوحدة الزمانية، فكانت تلك الحالة حالة إستقامة .. وهي قد إتفقت له بمحض الفضل الإلهي، بفيض التجلي الذاتي، حيث استغرقت الذات الإلهية، الذات المحمدية إستغراقا .. وقد جاء وصف القرآن لهذه الحالة، بقوله، تبارك، وتعالى: (إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى) .. قوله (ما زاغ البصر) يعني ما اشتغل الفكر بالماضي .. قوله (وما طغى) يعني ما اشتغل الفكر بالمستقبل .. وهذه، وتلك، تعني لحظة توقف فكري – تعني لحظة رفع حجاب الفكر – حيث واجهت الذات المحدثة – (الذات المحمدية) – الذات القديمة – (الذات الإلهية) كفاحا، بلا واسطة، ولاحجاب، فتم الشهود الذاتي..

هذه هي الاستقامة في قمتها .. فما ظنك بها؟؟

والإستقامة برزخ بين طرفين هما الجناحان، وهي القلب .. وإليها، في المكان الأول، الإشارة في قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ، لا يبغيان) والبحران يعنيان أي طرفين عن يمين وشمال .. أو قل، إن شئت، أي نقيضين .. وفي فاتحة الكتاب جاء قوله: (اهدنا السراط المستقيم * سراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .. (السراط المستقيم) برزخ، والبحران، عن اليمين، (الضالين)، وعن الشمال، (المغضوب عليهم) .. قوله (اهدنا السراط المستقيم) .. (السراط المستقيم)، أدناه الاستقامة في الشريعة .. الإئتمار بالأوامر، والإنتهاء عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النواهي .. وأعلاه الحياة في اللحظة الحاضرة .. وآية هذا من كتاب الله: (ما زاغ البصر، وما طغى) .. قوله: (سراط الذين أنعمت عليهم) يعني المسلمين .. أدناهم المؤمنون، وأعلاهم المسلمون، الذي أسلموا وجههم لله، لا يعترضون عليه في سر، ولا علن .. قوله: (غير المغضوب عليهم) هم اليهود، وهم الذين أفرطوا في المادية .. وقوله .. (ولا الضالين) هم النصارى، وهم الذين أفرطوا في الروحانية .. وإنما كان السراط المستقيم، وسطا بين هؤلاء، وهؤلاء لأنه جمع بين خصائص الطرفين، فلم يهمل المادة، ولا أهمل الروح، وإنما وفق بينهما توفيقا متسقا، فجعل المادة وسيلة الروح .. (الدنيا مطية الآخرة) على حد تعبير المعصوم .. وفاتحة الكتاب، التي اختتمت بهاتين الآيتين هي أم الكتاب .. وإنما بهاتين الآيتين نالت منزلة الشرف ..

فاتحة الكتاب، هي المعنية بقوله تعالى: (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) هي سبع آيات، هكذا: (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا السراط المستقيم * سراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وإنما سميت مثاني لأن لكل منها معنيين: معنى قريبا، ومعنى بعيدا .. فأما المعنى القريب فهو عبادة .. وأما المعنى البعيد فهو عبودية .. قولك: (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد ..) هذه آيات عبادة، وآيات عبودية، ولكن العبادة فيها أظهر من العبودية، وذلك لمكان الدعوى .. (وإياك نستعين * اهدنا السراط المستقيم * سراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هذ آيات عبادة ، وآيات عبودية ولكن العبودية فيها أظهر ، وذلك لمكان التخلي عن الدعوى .. وهي (القرآن العظيم) .. لأن قمتها في برزخيتها بين العبادة والعبودية .. وتلك هي مرتبة الفناء عن العبودية .. يعني أن تكون عبدا، بدون أن تكون شاعرا بنفسك في عبوديتك، وإنما تعيش العبودية في بساطة، وبدون أن تعتبر لنفسك في ذلك فضيلة، وإنما ترى أنه مقامك الحقيقي الذي ما كان ينبغي لك أن تذهل عنه طرفة عين .. مقام الفناء عن العبودية هو، مقام العبودية الحقة، وهو لا يتناهى، السير فيه سرمدي، لأنه سير مصاقب للربوبية .. ولقد توظف القرآن كله لتحقيقه، وعلى رأس القرآن فاتحة الكتاب، وعلى قمتها الآيتان: (اهدنا السراط المستقيم * سراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين) ..

هناك ملاحظات يمكن سوقها في بساطة عن بعض آرائك في هذا الفصل فأنت تقول عن التوكل: (والتوكل مقام عظيم لا يستطيع أن يبلغه إلا متصوف ومؤمن ثابت القدم يؤمن بحق أنه .. لا إله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلا الله .. ولا مريد فعال مهيمن إلا الله) .. هذا ما قلته أنت في صفحة 244، والذي تجب ملاحظته أن التوكل ليس مقام المؤمنين، وإنما هو مقام الموقنين – هو يقوم على الإيقان، لا على الإيمان .. وفي صفحة 248 أنت تقول: – (وهو قد علمنا أنه قد خلق العالم باسمه الرحمن الرحيم لا بإسمه القهار الجبار .. فهو قد خلقه بالرحمة .. بل بمطلق الرحمة (والرحمن هو يسبغ مطلق رحماته على كل ما يخلق .. ما يستحق الرحمة وما لا يستحقها) فنقول في بدء كل شيء (باسم الله الرحمن الرحيم) لأنه باسمه الرحمن الرحيم بدأ الخلق فأوجد كل شيء رحمة لا قهرا: كتب على نفسه الرحمة.) هذا ما قلته أنت في تلك الصفحة، والذي تجب ملاحظته هو أن رحمة (الرحمن) تختلف عن رحمة (الرحيم) إختلاف مقدار .. فرحمة الرحمن يدخل فيها العذاب .. ورحمة الرحيم خالصة من العذاب .. وهذا يعني أن الله خلق العالم باسمه (القهار الجبار) في معنى ما خلقه باسمه (الرحمن) وهو قد سير العالم إليه تحت قهره، وجبروته، وقال: (إن كل من في السموات، والأرض، إلا آتي الرحمن عبدا) .. وفي هذا المقام، فليس هناك (ما لا يستحق الرحمة) من المخلوقات .. والقاعدة التوحيدية تقول: أن كل مخلوق مرحوم .. قال تعالى في ذلك: (عذابي أصيب به من اشاء، ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون).. قوله: (ورحمتي وسعت كل شيء) فهذه رحمة (الرحمن) .. والعذاب داخل فيها وهو طرف منها ..

قوله: (فسأكتبها للذين يتقون) فهذه رحمة (الرحيم) وهي مكتوبة خالصة من العذاب – فالرحمة الأولى عامة، وتشمل الجنة، والنار معا .. والرحمة الثانية خاصة، ولا تشمل إلا الجنة .. القهر والجبروت في الأولى، وليس في الثانية ..

بهذا نختم هذا الفصل ونترك فيه كثيرا مما كان يمكن أن يقال .. وستكون لنا إلى (لا إله إلا الله) عودة إن شاء الله .. فإن في النفس منها، دائما، شيئا .. وعلى الله قصد السبيل، وعليه التكلان ..

الفصل الثاني

مسير أم مخير

هذا هو الفصل الثاني من فصول كتاب الدكتور، وإنما قدمت عليه فصل (لا إله إلا الله) لأنه يعطينا الفرصة للنظر في مبلغ تجويد الكاتب للتوحيد .. وعلى مبلغ هذا التجويد تجيء الإجادة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أو الإساءة، في سائر كلامه عن الدين .. فالحديث عن (لا إله إلا الله) يعطي وزنا دقيقا لعقل المتحدث .. ومما بدا لنا فإن الدكتور ضعيف في التوحيد .. وسيكون ديدننا، في سائر فصول كتابنا هذا، توكيد هذا المعنى، حتى يستطيع الدكتور الفاضل أن يتدارك أمره قبل فوات الأوان، وحتى لا ينخدع القراء ببهرج آراء الدكتور التي أرسلها حول آصل أصول الدين، إرسالا .. وهذا الفصل (مخير أم مسير) هو أول الفصول الذي يظهر فيه خلل التوحيد في عقل الكاتب، ولذلك فإننا سنناقشه بتوسع ..

الفلسفة والدين وصميم القرآن

وأول الوهن قول الدكتور في صفحة 26: (وقد أوصى النبي أصحابه بعدم الدخول في جدل. وقال لهم: إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا لأنه علم أن المعضلة من المعضلات الفلسفية العالية التي لا يتيسر الرد عليها بعلوم عصره .. وأن الجدل سوف ينزلق بهم في متاهة يضيعون فيها .. ولذا فضل الإيمان بالقلب على الثرثرة العقلية العقيمة ..
وهي وصية لا تنسحب تماما على عصرنا، الذي دخلت فيه الفلسفة الجامعات وأصبحت درسا ميسرا يتلقاه ابن العشرين كل يوم .. وبذلك اصبح السؤال مطروحا بشدة .. وفي حاجة إلى جواب ورد شاف من الفلسفة ومن الدين ومن صميم القرآن ذاته) .. هذا ما قاله الدكتور الفاضل .. من تلك الصفحة من كتابه .. وأول ما تجب الإشارة إليه هو أن النبي لم يكن يرى أن مسألة القدر من (المعضلات الفلسفية العالية) .. وإنما كان يراها من مسائل دقائق التوحيد .. وهو يعلم أن دقائق التوحيد لا نحصل عليها لمجرد قولنا: (لا إله إلا الله)، وقراءتنا القرآن، وقيامنا بواجباتنا الشرعية التي هي أركان ديننا، وإنما نحصل عليها بتجويد السلوك، وبأمر زايد عن ذلك .. فمثلا، لقد كان النبي على شريعة فردية أوجبتها عليه نبوته، ونحن نسميها السنة، وقد كان في شريعته الفردية مكلفا بما لم تكلف به أمته .. وهي أمة قد كانت على شريعة جماعية تنزلت من شريعته هو الفردية، وذلك قد كان مراعاة لضعف الأمة، ولقصورها عن شأو ما يطيق هو .. والله سبحانه، وتعالى، يقول: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) والنبي الكريم يقول: (نحن معاشر الأنبياء قد أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم) .. وهذه الشريعة الجماعية هي موضوع رسالته .. وبين نبوته ورسالته فرق ما بينه وبين الرجل من سائر أمته .. وهو فرق شاسع .. فهو في نبوته قد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كان مكلفا بقيام الليل، قال تعالى في حقه: (يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو أنقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) .. في حين لم تكن أمته مكلفة به .. ثم هو، في أمر المال، مكلف ألا يدخر رزق اليوم لغد .. قال تعالى في حقه: (ويسألونك ماذا ينفقون؟؟ قل العفو) .. في حين أن أمته لم تكن مكلفة إلا بإخراج الزكاة ذات المقادير المعروفة .. وآيتها من كتاب الله: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم، وتزكيهم بها، وصل عليهم .. إن صلاتك سكن لهم .. والله سميع عليم) .. وهو قد كان يواصل في صيام التطوع، ولما أراد بعض أصحابه أن يقلده في ذلك نهاهم، فقالوا: فإنا نراك تواصل يا رسول الله .. قال: (إني لست كأحدكم، فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني.) وهو بالطبع لا يطعم خبزا، ولا لحما، ولا يسقى ماء، ولا لبنا، وإنما هي أنوار اليقين .. وهذه الأنوار هي التي هونت عليه أمر الدنيا، ويسرت عليه أن ينفق عنه كل ما زاد عن حاجته الحاضرة، غير عابئ برزق الغد، وإنما متوكلا على الله في تدبير أمره .. هذه الأمور تدل على أن النبي، حتى في الأعمال التي يشارك فيها أمته قد كان يقوم بها على نحو يختلف عنهم .. فهو قد كان، مثلا، يصلي المكتوبة كما يصلون، من حيث الأوقات، والهيئة، والعدد، ولكنه، مع ذلك، قد كان يختلف عنهم في الأداء ، حتى لكأن صلاته غير صلاتهم .. بل هي، على التحقيق، غيرها .. لقد كان هو قريبا من قمة الدين، في حين كانوا هم في بدايته .. كان هو مسلما .. وكانوا هم مؤمنين .. وللدين، بين الإيمان والإسلام، منازل سبع، يقع فيها السير على مرحلتين: مرحلة الإيمان، ومرحلة الإيقان .. وفي كل مرحلة من هاتين المرحلتين ثلاث منازل .. ففي مرحلة الإيمان هناك الإسلام البدائي، الذي هو عبارة عن الإنقياد الظاهري، والذي فيه، حتى المنافقون، يعتبرون مسلمين .. يليه الإيمان .. يليه الإحسان .. وهذا قصاراه .. وهذه المنازل الثلاث قد وردت في حديث جبريل المشهور وإنما توقف جبريل في أسئلته عند الإحسان لأنه لم يجيء إلا ليبين للأصحاب دينهم كما أخبرهم عقب ذلك النبي، (هذا جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم) وقد ظن الناس أن ديننا انما هو الإسلام، والإيمان، والإحسان. والحق غير ذلك .. الحق أن هذه المنازل الثلاث إنما هي مرحلة الإيمان .. وأما منازل مرحلة الإيقان الثلاث هي: منزلة علم اليقين، ومنزلة علم عين اليقين، ومنزلة علم حق اليقين. وهذه هي المرحلة التي كان يعمل فيها النبي .. لقد كان النبي مسلما، في حين لم يكن أصحابه إلا مؤمنين، ولا يطلق عليهم الإسلام إلا في المعنى العام، الأولي، وأما الإسلام، الذي هو الإستسلام، والإنقياد الراضي بالإرادة الهادية، والذي يجيء تتويجا لمرحلة الإيقان، فلم يكونوا منه في شيء ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهم قد ندبوا إليه .. قال تعالى عنهم: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله، حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .. فلم يطيقوه، وقالوا: أينا يستطيع أن يتقي الله حق تقاته؟؟ فنزل لهم عن ذلك، وجاءهم: (فاتقوا الله ما استطعتم، وأسمعوا، وأطيعوا، وأنفقوا، خيرا لأنفسكم .. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .. ففي حين نزلوا هم إلى ما يطيقون ظل هو حيث ندب، وحيث أعد ليطيق .. وهو إنما أعد باطلاعه على دقائق التوحيد المشتملة عليها عبارة (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) .. ففي حين نزلوا هم إلى مرحلة الإيمان ظل هو في مرحلة الإيقان .. وفي حقهم فإن الإسم الدقيق إنما هو المؤمنون .. وفي حقه فإن الإسم الدقيق إنما هو المسلمون .. ولم يكن يومئذ مسلم غيره .. فهو قد كان مسلما، وكان أصحابه مؤمنين .. ولا يستطيع المؤمن أن يخوض فيما يخوض فيه المسلم، لأنه صاحب عقيدة، وليس صاحب علم .. ومن أجل هذا كان منعه أصحابه من الخوض في أمر القدر .. فقال (إذا ذكر القدر فأمسكوا)، ولم يكن السبب: (لأنه علم أن المعضلة من المعضلات الفلسفية العالية) كما يظن الدكتور ..

ومشكلة القدر ليست مشكلة فلسفية عالية، على كل حال، وإنما هي مشكلة فكرية، تدركها العقول المرتاضة على دقة الفكر، ووضوح الرؤية .. ومن أجل رياضة العقول عل دقة الفكر أنزل القرآن، وشرعت الشريعة، ونهض التكليف .. قال تعالى في ذلك: (وأنزلنا إليك الذكر، لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون) فإذا تأدبت العقول بأدب القرآن، في مستوى شريعته بالعبادة، وفي مستوى حقيقته بالعبودية، فإنها سيدق فكرها حتى تحقق من دقائق التوحيد ما تستطيع به أن تفلق الشعرة، ويومئذ تستطيع أن تدرك مشكلة القدر .. ويجب أن يكون واضحا أن ليس للفلسفة، ولا للعلم التجريبي الحاضر، نهج به تتأدب العقول على نحو ما هو عليه الحال في الدين .. ولا مجال لدقائق التوحيد بالطبع عن طريق الفلسفة، ولا عن طريق العلم التجريبي، وذلك لسبب واحد بسيط هو أن دقائق التوحيد تقع في منطقة من وراء العقول، في حين أن الفلسفة، والعلم المادي التجريبي، كليهما، يعتمدان على العقل ..

إن العقل وسيلة إلى التوحيد، في أول الأمر، ولكنه عقبة أمام كمال التوحيد، في آخر الأمر .. القاعدة في ذلك من قوله تعالى: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟؟) ففي مراحل الشهود الشفعي لا بد من العقل .. وتلك مراحل آيات الآفاق، وآيات النفوس (وهي تقابل شهود الله في أفعاله، وفي صفاته، وفي أسمائه، وتلك مراتب الحق، ولذلك فقد قال (حتى يتبين لهم أنه الحق) .. (أنه) الهاء هنا نائبة عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاسم (الله) .. والحق مرحلة شهود شفعي، لأن له ضدا، هو الباطل .. ثم هو ذهب ليقول: (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد؟؟) وهذه مرحلة الشهود الوتري .. هي مرتبة (الحقيقة) .. وهي إنما كانت مرحلة شهود وتري لأن الحقيقة لا ضد لها .. وهي إنما يكون تجليها على ملكة الإدراك الوتري – على القلوب .. ولا يكون تجلي الذات الإلهية على قلب العبد إلا بعد رفع حجاب الفكر – إلا بعد أن تكون هناك لحظة توقف فكري – ولا يكون التوقف الفكري إلا عندما يحار العقل، ويعجز، وتنبهم في وجهه المعاني .. ولقد تقرر أن بيننا وبين الذات حجبا لا تتناهى، ولكنها تقع، في جملتها، على مستويين: مستوى حجب الظلمات، ومستوى حجب النوار .. وحجب الظلمات هي حجب شهوات البطن، والفرج .. وحجب الأنوار هي حجب العقول .. فأما حجب الظلمات فإن التخلص منها قريب، وميسور .. ولكن حجب الأنوار تستمر مع السالكين في الطريق السرمدي، وإليها أشار النبي الكريم حين قال: (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله، في اليوم، والليلة، سبعين مرة) .. ثم قال: (إنه غان أنوار، لا غان أغيار) .. أي حجب فكر، وليست حجب شهوة ..

فالفرق، إذن، كبير جدا بين الفلسفة، والدين .. ومثل هذا يقال عن الفرق بين العلم التجريبي المادي، والدين، وأيسره اعتماد الفلسفة، والعلم التجريبي، اعتمادا كليا، ونهائيا، على الفكر، في حين أن الدين يروض العقل حتى يتسامى على نفسه ليصل إلى تجريد التوحيد، فيلغي الشفعية، ويخلص إلى الوترية، ويكون ساعتئذ في لحظة توقف، وحيرة .. وعندهم أن الحيرة تكون إدراكا، ههنا، لأن العقل يكون قد عرف قدر نفسه .. وقد قال المعصوم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) يعني من عرف نفسه بما هو عليه من العجز، عرف ربه بما هو عليه من القدرة .. ومن ههنا قالوا: (العجز عن الإدراك إدراك) وقال سلطان العاشقين ابن الفارض:

زدني بفرط الحسن فيك تحيرا * * وأرحم حشا بلظى هواك تسعرا

فما ظن الدكتور، إذن، حين يعتمد اعتمادا كليا، في الخوض في أدق اسرار الدين، وفي آصل أصول الدين، على العقل؟؟ وحين يجعل أمر القدر أمر (معضلة فلسفية عالية)؟؟ ..

النظرة العلمية

والدكتور رجل عالم، ولعل الأمر الذي يتميز به كتابه هذا، وجميع ما انتهى إلينا مما يكتب، أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثقافته العلمية واسعة، ومرتبة، غير أنه لا يخلص لها، ولا يلتزمها دائما .. ولعله، في هذا الكتاب بعينه، كان يشعر بتنازع ولاء بين العلم، والدين .. وهو، لما كان غير مجود للتوحيد، فقد ظلت، في عقله، مناطق منفصلة، للفلسفة، وللعلم، وللدين .. ولم تظفر هذه المعارف الغزيرة بفرصة جيدة لتنصهر في بوتقة التوحيد، حتى تظهر في كل متناسق، متماسك، يكون به صاحبها مفكرا متماسكا، له في كل قضية رأي عتيد، لا يضطرب، ولا يلتوي .. أنظر إلى هذا الاضطراب الفكري!! هو يقول في صفحة 27: (ومن النظرة المبدئية للعالم بما فيه من أرض وسماوات ونجوم وكواكب ترى أنه يقوم على سلسلة محكمة من الأسباب والمسببات وأن كل شيء فيه يجري بنظام محكم .. وإن كان لديك ورقة وقلم فإنك تستطيع أن تحسب بالضبط متى تشرق الشمس ومتى تغرب .. لأنها تتحرك حسب قانون .. وكل شيء في الدنيا يتحرك حسب قانون ..

إلا الإنسان .. فإنه يشعر أنه يمشي على كيفه) هذا ما قاله الدكتور، وأنت، بالطبع، تشعر بضعف المنطق العلمي في عبارة: (فإنه يشعر)، من جملة (فإنه يشعر أنه يمشي على كيفه) .. فإنها ليست في المستوى العلمي اللازم، لأن شعوره (أنه يمشي على كيفه)، قد يكون شعورا واهما، وتظل الحقيقة العلمية قائمة من وراء هذا الوهم، وهي، على خلاف ما قرر الدكتور، أن الإنسان لا يشذ عن بقية الموجودات، وإن أوهمه عقله غير ذلك .. وإلا فليحدثنا الدكتور عن شذوذ الإنسان، وهو يتطور في أطوار الجنين في الرحم، من الحيوان المنوي، إلى البشر السوي في فترة تسعة أشهر .. ما هو شذوذه في ذلك عن جنين الأرنب، أو جنين الشاه مثلا؟؟ وما هو دوره، وما هي يده في هذا الشذوذ، والاختلاف؟؟ أليس هو في الرحم خاضعا، خضوعا تاما، لا لبس، ولا شك فيه، للإرادة الهادية، الحكيمة، التي سيرت دراري السماء، وسددت ذراري الأرض؟؟

ومفارقة الدكتور، ومجافاته للنظرة العلمية، تظهر بصورة مؤسفة حين تقرأ قوله: (لاشيء يحول بين الإنسان وبين أن يضمر شيئا في نفسه. إنه المخلوق الوحيد الذي يملك ناصية أحلامه. ولكن هذه الحرية البكر الطليقة في الداخل ما تلبث أن تصطدم بالعالم حينما تحتك به لأول مرة في لحظة الفعل) .. هذا حديث الدكتور .. ألا يدلك هذا الحديث على أن الدكتور إنما يأخذ الإنسان على أنه وجد على الصورة المعاصرة من الوهلة الأولى؟؟ ألا ترى أن الدكتور نسي تطور الإنسان من بدايات هي، في حقيقتها، نفس عناصر العالم الذي يعيش فيه الآن؟؟

الحقيقة العلمية تقول: أن الإنسان لبث في رحم الحياة آمادا سحيقة قبل أن تكون له إرادة، وقبل أن تكون له حرية .. (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * إنا خلقنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإنسان من نطفة، أمشاج، نبتليه، فجعلناه سميعا، بصيرا * إنا هديناه السبيل .. إما شاكرا، وإما كفورا) النطفة هنا الماء الصافي .. و(نطفة أمشاج) معناها الماء المخلوط بالطين .. هذه نشأة الإنسان في رحم الحياة وهي نشأة قد استغرقت من عمر الزمان دهرا طويلا، ولم يكن للإنسان فيها إرادة، ولا حرية، لأنه لم يكن له يومئذ عقل – عقل يقوم عليه التكليف وهذا هو معنى قوله تعالى: (لم يكن شيئا مذكورا) ..

وللإنسان الآن نشأة رحمية ثانية .. هو يتكون في رحم الأم من (نطفة أمشاج) أيضا، وهي، ههنا، ماء الرجل المخلوط ببويضة الأنثى، ويمكث في هذه النشأة الرحمية نحوا من تسعة أشهر، يطوي خلالها جميع الصور التي مرت عليه في النشأة الرحمية الأولى، إذ يرتفع من دودة منوية، إلى بشر سوي .. وهو، في هذا الرحم، كما كان في ذاك، لا إرادة له، ولا حرية، وإنما هو خاضع، تمام الخضوع، للقانون الأزلي القديم، الذي تخضع له الأحياء، والأشياء، والذي قال تعالى عنه: (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا، وكرها، وإليه يرجعون؟؟) هو خاضع للإرادة الإلهية التي لا يعصيها عاص، ولا يشذ عنها شاذ .. هي دائما تطاع، حتى بالمعصية .. ألا ترى أن الدكتور قد ذهل عن نظرته العلمية، وأخذ يحدثنا عن الإنسان كنتيجة ناجزة، بل إنه ليحدثنا عن الإنسان المعاصر؟؟ اسمعه يقول: (إن رغبتنا تظل حرة ما دامت كامنة في الضمير والنية .. فإذا بدأنا التنفيذ اصطدمنا بالقيود .. وأول قيد نصطدم به هو جسدنا نفسه الذي يحيط بنا مثل الجاكتة الجبس ويحاصرنا بالضرورات والحاجات ويطالبنا بالطعام والشراب ليعيش ويستمر ولا نجد مهربا من تلبية هذه المطالب .. فنجري خلف اللقمة ونلهث خلف الوظيفة ونضيع في صراع التكسب ونفقد بعض حريتنا .. بعضها وليس كلها .. وهو ثمن ضروري) انتهى كلام الدكتور من صفحة 29 ..

بل إنه لا يحدثنا عن الإنسان المعاصر من حيث هو، وإنما عن الإنسان المعاصر في مجتمع بعينه، هو في الغالب المجتمع الذي يعيش فيه الدكتور .. وإلا فما رأيه في إنسان (الإسكيمو) الذي سير بحاجات جسده، في منطقة استغرقت حاجات جسده فيها كل وقته، حتى أصبح كالحشرات الإقتصادية النملة، والنحلة، التي تستغرق حاجاتها كل وقتها؟؟ فإنسان الإسكيمو يعيش في جدب، وصقيع، جعل كل سعيه مستغرقا في حاجات معدته، وجسده، فهو يكدح في الصيف ليخزن قوته في شتاء يظل خلاله حبيس كهفه، لا يستطيع أن يبرحه، لظلام الأرض، ولصقيع الجو .. ذلك بأن شتاءه ليل واحد طويل .. هل فقد هذا الإنسان بعض حريته؟؟ أم هل فقدها كلها؟؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما هي حريته، على كل حال، وأين هي؟؟ أم هل اختار إنسان الإسكيمو أن يعيش في هذه المنطقة العجيبة فكان له ما اختار؟؟ وما هي حرية من لا يعرف أكثر من حاجات معدته وجسده؟؟

وأخرى!! فإن التخيير يقتضي اتخاذ موقف من موقفين، على أقل تقدير .. أو إتخاذ موقف من عدة مواقف .. واتخاذ هذا الموقف يقتضي الوزن، والتمييز، وملكة المفاضلة .. وهذه تعتمد على العقل .. فكيف يكون موقف المعتوه، أو موقف ضعيف العقل بسبب الوراثة لمجيئه من أبوين معتوهين، أو ناقصي عقل؟؟ هل هذا مخير، أم هل هو مسير؟؟

إن النظرة العلمية تقول: أن الإنسان مسير حتى حين يختار .. هو محاط باختياره .. لا يملك عن هذه الإحاطة فكاكا، ولا انعتاقا .. هو يدخل الحياة، ولا اختيار له في الدخول .. ويخرج من الحياة، ولا اختيار له في الخروج .. ويعيش، فيما بين الدخول والخروج، في بلد ليس له فيه اختيار، وفي مجتمع ليس له فيه اختيار .. فكيف يكون مالكا لحرية (اختيار) مع كل أولئك .. فإن قيل: أن إنسان الإسكيمو، وأن ضعيف العقل، وكل أحد سواهما، في مثل ظروفهما، مع كل ما يلاقي، ليس هناك على ضميره الداخلي من سلطان خارجي، وهو، من ثم، يملك حرية النية، فإن مثل هذا القول إنما يكون خلطا بين التسيير والتخيير .. إن التسيير هو ألا تملك في اختيار الأسباب الخارجية ما يجعل اختيارك الداخلي حرا .. ومن ذا الذي يقول أن الحجر على حرية القول لا يشكل حجرا على حرية الفكر؟؟ وأنك حين تكون عايشا في ظروف خوف على حياتك تكون مالكا لحرية النية، وحرية الاختيار؟؟ .. إن مثل هذا القول يكون باطلا بطلانا ظاهرا، ذلك بأن الرؤية لا تكون واضحة أمام العقل، في مثل هذه الظروف، ومن ثم، فإن حرية النية تتأثر، وحرية الاختيار تتأثر، لأن الأمور تكون قد تلبست عليك، فلا تعرف ماذا تنوي، ولا ماذا تختار .. يجب أن يكون واضحا، فإنك لا تضمر نية لا تعرفها، وأنك لا تختار أمرا لا تعرفه .. فإن كنت لا تملك ظروف علمك، أو جهلك، من حيث المواهب التي ركزت فيك، ومقدرتها، أو عجزها، عن التعلم، ومن حيث الظروف الخارجية التي تجعل التعليم ميسرا لك أو متعذرا عليك، فإنك، من ثم، لا تملك لا حرية النية، ولا حرية الاختيار .. وإنما أنت مسير إلى أن تنوي نية ناجزة، وأن تختار اختيارا ناجزا .. ولكنك تتوهم أنهما نيتك، واختيارك، لأن التدخل في أمر حريتك قد كان من اللطف، ومن حسن التأتي، بحيث لم يزعجك، ولم يشعرك أنه يتدخل في أمورك .. وهذه غفلة سقط فيها أكثر المفكرين .. ومنهم، مع الأسف، الدكتور الفاضل مصطفى محمود ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهل هناك تقرير هو أبعد من العلم من تقرير الدكتور حين قال: (لا شيء يحول بين الإنسان وبين أن يضمر شيئا في نفسه .. إنه المخلوق الوحيد الذي يملك ناصية أحلامه.)؟؟ أي أحلام هذه التي يريد الدكتور؟؟ فإن كانت أحلام اليقظة، كما يبدو، فإن الجهل يحول بين الإنسان وبين أن يضمر شيئا في نفسه، إلا شيئا قد أعد له من قبل، وألقي في نفسه، وأوهم أنه من عند نفسه .. والإنسان لا يملك من الجهل فكاكا، ولا هو يستطيع أن يعلم ما يريد أن يعلم .. وإن كانت أحلام المنام فهذه لا تخضع لإرادة الإنسان، بل إنها لتجيء في وقت تكون فيه الإرادة معطلة تماما، وهي، على كل حال، صور من العقل الباطن، الموروث في عمر الإنسانية كلها، ولا أراني أحتاج لأن أقرر أن فردا، من أفراد الجنس البشري، ليس له اختيار في تكوين العقل الباطن، الموروث في عمر الجنس كله، والذي يؤثر على صحته، وعلى أخلاقه، وعلى فكره، وعلى ضميره المحجب ..

والمشكل حقا في أمر الدكتور مصطفى هو أن نهجه في البحث، والقوة البادية على منطقه، ومقدرته الفكرية الكبيرة، تجعل باطله يجوز على العقول بسرعة، ولا يتفطن إليه إلا من أوتي بصرا بأصول الفكر الدقيق .. اسمعه وهو يحدثك!! (إن الإنسان يعيش مضطربا بين عالمين – عالم إرادته الحرة بداخله .. وعالم المادة حوله الراسف المغلول في القوانين ..

وسبيله الوحيد إلى فعل حر هو معرفة هذه القوانين، والفطنة إلى استغلالها بالوفاق معها .. وهو دائما ممكن.) انتهى قول الدكتور من صفحتي 30 و31 .. وأنت حين تقرأه، لدى الوهلة الأولى، لا تملك غير التسليم له .. ولكن، لدى النظرة البعيدة، يظهر لك خطأه الأساسي، الذي ينتظم كل كتاباته، وهو عدم الدقة العلمية، والفكرية .. ولقد قلت أن السبب في ذلك ضعفه في التوحيد وكما قلت فإن ديدني سيكون كشف هذه الناحية، ابتغاء أن يتدارك الدكتور هذا الأمر، فإنه بتداركه خليق .. وهو به جدير ..

اسمعه مرة أخرى!! (إن الإنسان يعيش مضطربا بين عالمين .. عالم إرادته الحرة بداخله .. وعالم المادة حوله الراسف المغلول في القوانين) فإنه لكأنه يتحدث عن شيئين، مختلفين اختلاف نوع .. (إرادته الحرة بداخله) .. و (عالم المادة حوله) .. ثم هو يتحدث، ويقول: (إرادته)، وكأنه قد قال كل شيء يمكن أن يقال .. ويقول: (المادة)، وكأنه قد قال كل شيء يمكن أن يقال، فلم يبق عليه هو ككاتب شيء، وبقي علي، وبقي عليك، من القراء، أن نفهم عنه كل شيء .. ونحن نريد أن نتعدى الألفاظ إلى المعاني التي تقوم وراءها .. فما هي الإرادة؟؟ وما هي المادة؟؟ وما قول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدكتور فيمن يحدثه أن الاختلاف بين (الإرادة) وبين (المادة) إنما هو اختلاف مقدار .. وأنه ليس في الوجود اختلاف نوع على الإطلاق .. وأنه، لدى النظرة العلمية، فإن الإرادة مادة، في حالة لطافة لطيفة .. والمادة إرادة في حالة كثافة كثيفة .. وأنه، حين اعترف لعالم المادة حوله أنه (الراسف المغلول في القوانين)، قد كان يجب عليه أن يعرف للإرادة الداخلية نفس القدر من القيود، والأغلال، فلا يزعم أنها حرة طليقة ..

إن النظرة العلمية التي ذهب إليها كارل ماركس من أن المادة سابقة للعقل، وأنه تابع لها، مسير بها، نظرة لها حظ من الصحة ما كان ينبغي أن يذهل عنها الدكتور، وإنما يجيء الخطأ لماركس من إنكاره لوجود عقل سابق على المادة، ومؤثر فيها، ومسير لها، وذلك هو (العقل الكلي) المتسامي على المادة، المتخطي لها، المسيطر عليها .. وهو خطأ جسيم، أخرج ماركس من مرتبة العالم المحقق، إلى مرتبة الملحد الجاهل ..

إن الإرادة البشرية مسيرة بالعالم المادي الذي حولها .. والعالم المادي إنما هو مظهر محسوس للإرادة الإلهية التي سيرت العوالم التي نعرفها، والعوالم التي نجهلها .. العوالم التي نراها، والعوالم التي لا نراها ..

وما هي هذه القوانين التي يعنيها الدكتور حين قال من عبارته التي أوردتها لك سابقا: (وسبيله الوحيد إلى فعل حر هو معرفة هذه القوانين والفطنة إلى استغلالها بالوفاق معها .. وهو أمر دائما ممكن).؟؟ هو، بالطبع، يعني القوانين الطبيعية التي تحكم المادة والتي اكتشفها علماء الفيزياء، وعلماء الرياضيات، وعلماء الهندسة، وغيرهم من أضرابهم .. ولكن، ما قول الدكتور إذا أخبرناه أن التوحيد يقول: أن هذه ليست قوانين، وإنما هي مجرد ترتيب أسباب؟؟ وإنما القانون هو العقل الكلي .. وإذا أراد العقل الكلي للأسباب ألا تتأتى لنتائجها فإنها تتخلف – فالجاذبية لا تفعل فعلها في الأجسام، والنار لا تحرق ما تسلط عليه من الأشياء – والذين عرفوا القوانين التي يتحدث عنها الدكتور لا سبيل لهم إلى الحرية، وإنما السبيل مفتوح للذين عرفوا العقل الذي رتب سلسلة الحوادث التي تنبعث عنه في كل لحظة ترتيبا هو من اللطف، ومن الدقة، ومن الإنضباط، بحيث ظنه الغافلون قانونا يعمل في المادة باستقلال عن مؤثر خارج المادة، كما حدث لماركس في فلسفته المادية ..

التوحيد يقول: إن ما نسميه أسبابا في مفهوم عقولنا العادي، وننتظر منه نتائج، ليس، في حقيقته، أسبابا تؤدي لنتائج وإنما هو ترتيب للمحل ليستعد لتلقي الفيض الإلهي، في كل لحظة، فتكون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

بذلك النتيجة المرجوة .. فكأن المحل قد يترتب، أو قل الأسباب قد تتخذ بإتقان تام، ثم، إن لم ينبعث الإذن من الله، لا تكون النتيجة التي يقوم في عقولنا أنها لا تتخلف .. فنحن قد نعد النار على أحسن ما تكون، ونستيقن أنها ستشوي اللحم الذي نعرضه لها، ولا يقوم في مألوف علمنا أنها قد تتخلف، ولكن التوحيد يقول: إن كل الذي فعلناه نحن بإعداد النار على خير ما تكون للإحراق هو أن المكان استعد لتلقي الإذن الإلهي بالإحراق، فإن لم ينبعث الإذن لا يقع الإحراق، وتتخلف النار، بغير سبب نعرفه، عن مألوف عادتها عندنا .. أكثر من هذا، فإن التوحيد يقول: من ظن أن النار تحرق، ولا تتخلف عن الإحراق، بعد أن أعددناها نحن، على خير ما نعلم، فإنه مشرك بالله .. أو ضعيف في توحيده، على أحسن حالاته ..

أما النمرود، صاحب إبراهيم الخليل، فقد ظن أنه سيكيد لإبراهيم كيدا لا قبل له به حين سفه آلهته، فأمر، فبنى حظيرة، وجمع فيها نارا عظيمة، ثم وضعوه في المنجنيق، مغلولا، فرموا به فيها، فظهر له جبريل، وهو على وشك أن يلقى به في النار، فقال: هل لك من حاجة؟؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا!! فقال جبريل: فإلى ربك، فقال: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي .. فورد الخطاب القدسي إلى النار: (يا نار!! كوني بردا، وسلاما، على إبراهيم) .. فكانت كما أمرت، ولم تحرق منه غير وثاقه .. وإنما كان ذلك لأن إبراهيم عرف رب النار، ولم يلق بالا إلى القانون الذي ألفه الناس عن النار .. أم هل ترى أنه كان يجد حريته التي وجد، لو فعل كما يريد له الدكتور مصطفى محمود أن يفعل، حين قال: (وسبيله الوحيد إلى فعل حر هو معرفة هذه القوانين والفطنة إلى استغلالها بالوفاق معها .. وهو أمر دائما ممكن ..)؟؟ أم هل ترى أن الدكتوركان يريد من القوانين هذه القوانين التي تحدثنا عنها نحن، ويريد بقوله: (والفطنة إلى استغلالها بالوفاق معها) الاستسلام الراضي بالله؟؟ ذلك أمر بعيد!! بعيد!! وإنما هو يعني القوانين الطبيعية المألوفة ..

هذا ختام نقاش نظرة الدكتور العلمية لهذا الموضوع فلنأخذ في نقاش نظرته الدينية ..

النظرة الدينية

أول ما تجب الإشارة إليه هنا هو اضطراب الدكتور الواضح، في أمر التخيير، والتسيير .. فهو يقول في صفحة49: (فأنت تشاء ولكن قدرتك على أن تشاء وتختار هي منحة من الله ومشيئة عليا .. حريتك ذاتها منحة وعطية ومشيئة إلهية .. ومن هنا كانت الآية .. وما تشاءون إلا أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يشاء الله .. هي تقرير للحقيقة .. وليست كلاما متناقضا .. فهي تقرر أنك حر ولكن حريتك منحة وعطية وهبة ومشيئة من المعطي) هذا ما قرره الدكتور .. فإن كان الأمر كما قرر فهو يرى، إذن، التسيير، لا التخيير .. لأن الذين يرون التسيير لا يرون أمرا غير هذا .. هم يرون أنه ما دامت (حريتك منحة وعطية وهبة ومشيئة من المعطي) فأنت مسير من المعطي إلى ما يريد هو، وإن ظهر لك، وهما، أنك تسير إلى ما تريد أنت .. ذلك أنه، فيما يظهر لهم، قد أودع التسيير في المنحة، ولكنه أودعه بصورة خفية، تناهت في الخفاء، واللطف، حتى جاز عندك وهم أنك حر، ومخير ..

والخطأ الجسيم الذي ما كان ينبغي لمفكر في مستوى الدكتور أن يتورط فيه يجيء في صدر بحثه، في رأي القرآن، في الموضوع، وذلك في صفحة 32، فهو يقول: (ولأن القرآن كتاب دين وليس كتاب فلسفة فإنه يكتفي بالومض والرمز والإشارة واللمحة فيقرر أولا أن حرية الإنسان كانت بمشيئة الله ورغبته ومراده .. وأن ما يجري من حرية الإنسان لا يجري إكراها للخالق ولا إكراها للمخلوق، وإنما بهذا قضت المشيئة) .. اقرأ مرة أخرى قوله .. (وأن ما يجري من حرية الإنسان لا يجري إكراها للخالق ولا إكراها للمخلوق، وإنما بهذا قضت المشيئة) .. إن هذا القول يقتضي، ليكون صحيحا، أن تكون حرية المخلوق مصاقبة، ومساوية لحرية الخالق، أو قل لمرضاة الخالق، فهو لا يقع منه ما يوجب مصادرة حريته، حتى يجري عليه الإكراه .. وهذا أمر لا يقول به عاقل .. وهو أمر لا يقول به الدكتور، أيضا، بهذه الصورة .. فلم يبق إلا أن الدكتور لم يتصوره بدقة كافية، ويكفي أن يقال في دحضه أن الإنسان جاهل، والله عالم، والله هو الذي يعلم الإنسان ما لم يعلم: (علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) .. ولا يمكن إلا أن يكون الجاهل مكرها، في بعض الأحيان، على تعلم ما ينفعه: (كتب عليكم القتال، وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا، وهو شر لكم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون ..) ولكن هذا الذي قررناه غير فائت على الدكتور وهو حين تورط في قوله: (وأن ما يجري من حرية الإنسان لا يجري إكراها للخالق و لا إكراها للمخلوق) لم يكن يقدر ما قدرنا، وإنما كان مشغولا بأمر آخر، هو أن حرية الإنسان مطلقة في منطقة ضميره، وسريرته .. اسمعه يقول!! (إن السريرة هي محل الابتلاء ومحل المحاسبة والسريرة هي السر المتجاوز للظروف والمجتمع والبيئة والتربية كما أسلفنا في شرحنا المسهب .. فهي المبادرة المطلقة .. والابتداء المطلق الذي أعتقه الله من كل القيود .. إنها روحك ذاتها وهي الكاشفة عن حقيقتك بمثل ما تكشف بصمة إصبعك عن فرديتك. وروحك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيها من حرية الله لأنها نفخة منه (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ولأن فيك ذلك القبس من الله ولأنه كرمك بحرية الإرادة فأنت محاسب على هذه الحرية .. وهذا منتهى العطاء الإلهي .. ومنتهى العدل أيضا) هذا ما قاله الدكتور في صفحتي 39 و40 ..

إن الدكتور مشغول بأمر الحرية المطلقة: (المبادرة المطلقة والإبتداء المطلق الذي أعتقه الله من كل القيود) .. والشيء الواضح هو أن الدكتور قد لبس عليه في هذه الأمور، من الدقائق العرفانية .. وأول ما تجب الإشارة إليه هنا هو أن الله لم يعتق من (كل القيود) غير نفسه – غير ذاته الساذج – وحتى الذات الساذج، إنما جاء عتقها، من كل القيود، من قبيل أنها غنية عن الأغيار .. وإلا فإنه، تبارك، وتعالى، قد قيد ذاته، بمحض الفضل .. قيدها بالإسم (الله) .. وقيد الاسم (الله) بالصفة: (الرحمة) .. فقال : ((الله (الرحمن) (الرحيم))) .. وقال تعالى عن قيد ذاته العلية (بالرحمة): (قل لمن ما في السموات والأرض؟؟ قل لله!! كتب عل نفسه الرحمة، ليجمعنكم إلى يوم القيامة، لا ريب فيه .. الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) .. وهذه الرحمة الواسعة التي قيد تعالى بها نفسه إنما هي رحمة (الرحمانية) .. وهي، لسعتها، يدخل فيها حتى العذاب، لأن وراءه حكمة .. ورحمة (الرحمانية) هذه قيدها أيضا فجاءت عنها رحمة (الرحيمية) .. قال تعالى: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل: سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة، إنه من عمل منكم سوءا، بجهالة، ثم تاب من بعده، وأصلح، فإنه غفور رحيم) وعن رحمة (الرحمن) الواسعة، التي خصصت بالقيد، فأصبحت رحمة (الرحيم)، قال تعالى: (عذابي أصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء .. (هذه الرحمانية) فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون) .. هذه، من قوله تعالى(فسأكتبها للذين يتقون) وإلى قوله تعالى: (بآياتنا يؤمنون)، إنما هي رحمة (الرحمن) المقيدة، والمتنزلة بهذا القيد، إلى منزلة رحمة (الرحيم) .. ومعلوم أن كل تنزلة من تنزلات الذات تتقيد بالتنزلة التي سبقتها .. فالعلم، مثلا، مقيد بالذات. والإرادة مقيدة بالعلم، والقدرة مقيدة بالإرادة ..

ومعلوم أيضا، عند أهل التمكين، أن الإنسان إنما هو تنزل الذات إلى مقام التجسيد .. والإنسان الكامل هو أول قابل لتجلي الذات الإلهية المطلقة .. هو قيد الذات المطلقة .. وهو، لما كان في صيرورة مستمرة، وتكوين مستمر، يطلب الذات المطلقة، أصبح صاحب نصيب في الإطلاق بما يؤول إليه أمره، ولكنها أيلولة في السرمد .. فهو، إذن، ساير إلى المطلق، ولن يبلغه، وذلك لسبب واحد بسيط هو أن المطلق لا يبلغ، وإلا لما كان مطلقا .. وكل ما هناك أن الإنسان كلما ترقى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نحو الإطلاق أدخل طرفا من الإطلاق في القيد، وظل الإطلاق في إطلاقه ..

والإنسان الكامل في الملكوت .. ونحن نحاول أن نحققه في الأرض، وذلك مقدر لنا، لأن فينا (جرثومته) .. فنحن نسعى، سعيا حثيثا، للوصول إليه: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا، فملاقيه) .. والإنسان الكامل ليس مطلقا، وإنما هو منفتح على الإطلاق .. وهو، إنما لم يكن مطلقا، لأنه محتاج إلى المطلق، وذلك معنى انفتاحه على الإطلاق .. فإذا كان الإنسان الكامل، في كماله، في ملكوته، لم يعتقه الله من كل القيود، فما ظنك بالإنسان في الأرض، وهو لم يشم شميم الحرية إلا لأن فيه (جرثومة) الإنسان الكامل؟؟

إن الإنسان مقيد – وهذا نفسه هو معنى قولنا أن الإنسان مسير – الإنسان مقيد بشتى القيود، وهو يتحرر من القيود كلما علم، وارتقى في درجات القرب من الله .. وهو لن يكون حرا مطلق الحرية، لأن الله هو قيده الأخير، وذلك قيد سرمدي .. وهذا المعنى هو المشار إليه في قول الله، تبارك، وتعالى، حين قال: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ، إلا أن تتقوا منهم تقاة .. ويحذركم الله نفسه .. وإلى الله المصير) .. فبعد أن حذر من موجبات القيود في المنازل القريبة، جاء ليحذر من موجباتها في المصير: (ويحذركم الله نفسه) .. ثم ليدل على السرمدية غير المتناهية التي يظل هذا التحذير قائما فيها قال: (وإلى الله المصير) .. وذلك مصير لا تنقضي صيرورته .. وفي نفس هذا المعنى، ورد، في مقام آخر، قوله، تبارك، وتعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .. وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .. ويحذركم الله نفسه .. والله رءوف بالعباد). ومعنى قوله، تبارك، وتعالى: (والله رءوف بالعباد) أنه، تعالى، فتح قلوبهم على الإطلاق، ويسر لهم أن يحيطوا، كل حين، بشيء منه، به يزيد كمالهم كمالا .. (ولا يحيطون بشيء من علمه، إلا بما شاء) .. وهو يشاء لنا، بمحض فضله، أن نحيط بشيء من علمه كل لحظة .. وعن هذه المشيئة وردت الإشارة، في قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) .. وإنما شأنه إبداء ذاته المحجبة لعباده ليعرفوه .. وليس يومه أربعا وعشرين ساعة، وإنما هو (زمنية) إبداء الذات، وتلك زمنية تتناهى في الصغر حتى لتكاد أن تخرج عن الزمان ..

وفي معنى ما يحذرنا الله، تبارك، وتعالى، نفسه، يحذرنا أنفسنا .. فأنه ليس هناك، غيرها، قاطعا لنا عنه .. ونفس كل منا نفسان: نفس دنيا، ونفس عليا .. فأما النفس الدنيا فهي الحيوان .. وأما النفس العليا فهي الإنسان الكامل، الذي قلنا أن فينا (جرثومته) .. وما ترقينا إلا رفع أنفسنا الدنيا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نحو أنفسنا العليا .. ونفسنا العليا من نفسه، تبارك، وتعالى، فذلك معنى قوله: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) .. فإن هذه النفس الواحدة هي نفسه تبارك، وتعالى .. ونفسنا الدنيا من نفسنا العليا، وذلك معنى قوله: (وخلق منها زوجها)، من سياق الآية السابقة نفسها .. (يأيها الناس!! اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها) .. فمن نفس الرجل العليا خلقت نفسه الدنيا في تنزل .. وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين) .. ومن نفسه الدنيا خلقت زوجته – إمرأته – في تنزل هو انبثاق عنه خارجه .. فالمرأة زوجه في الخارج .. ونفسه الدنيا زوجه في داخل بنيته .. والسياق السالف من قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) يتسع للمعنيين، وإنما يخصصه بالمرأة قوله تعالى، في مواصلة السياق: (وبث منهما رجالا كثيرا، ونساء)، وذلك حين يكون المعنيون الرجال الحسيين، والنساء الحسيات .. وسياق الآية في تمامه هو: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا، ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به، والأرحام .. إن الله كان عليكم رقيبا) وتنزلات النفوس هذه هي التي جعلت كل نفس عليا تسيطر على النفس التي دونها .. والقاعدة العرفانية هي (لكل لطيف سلطان على كل كثيف)، ذلك بأن كل لطيف إنما هو أحدث عهدا بربه من كل كثيف .. وهناك قولة تقول (للعارف على الجاهل ولاية طبيعية) وهي مأخوذة من سيطرة اللطائف على الكثائف .. وهذه السيطرة هي السر في قوامة الرجال على النساء، حيث قال، جل من قائل: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم) ..

النفس السفلى

ولما انحطت النفس السفلى عن النفس العليا ذهبت إلى أقصى درجات الانحطاط، وهو عندنا أبسط صور المادة، وتلك هي ذرة غاز الهايدروجين .. وعن انحطاطها، إلى أقصى درجات الانحطاط، وردت الإشارة في قوله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين) .. ثم هي، من تلك الدرجة البعيدة، أخذت تستأنف سيرها راجعة إلى الله بمحض الفضل الإلهي، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى، بعد الآية السالفة الذكر: (إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات .. فلهم أجر غير ممنون) .. وهذا الأجر غير الممنون إنما هو تعلق النفس السفلى بالنفس العليا .. وقد ظهر هذا التعلق في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذه المرحلة من مراحل الرجعى في صورة العقل .. فالعقل هو الزمام الذي به تقود النفس العليا النفس السفلى .. أو، قل بعبارة أخرى، إن العقل هو وسيط تطوير النفس السفلى نحو النفس العليا، لأن عليه قام التكليف بشريعة النهي والأمر، والحرام والحلال .. فهو، بالتزامه جانب الحلال، وحمله إياها عليه، واجتنابه جانب الحرام، وإزعاجه إياها عنه، يتسامى بها عن تسفلها نزوعا إلى العلا .. وهو، حين يتجافى عن الحرام، ويزعجها عنه، أنما يضطرها لكبت بعض رغائبها الخاصة إستجابة لنداء الواجب، الصادر من النفس العليا، التي هي في اتصال مع الله ..

إن صورة الأمر، ببساطة، هي أن النفس السفلى نفس حيوانية حافزها للسعي هو اللذة، من حيث هي لذة، فلما هبط عليها العقل من جهة النفس العليا إنما هبط عليها ليسوس شهوتها، فلا يسمح لها منها إلا بما لا يعوق تساميها نحو النفس العليا .. وهذا هو الغرض وراء التكليف بشريعة الأمر، والنهي، والحلال، والحرام .. ولقد لبثت النفس السفلى تتطور عن طريق الجسد، قبل ظهور العقل، زمنا سحيقا، وردت إليه الإشارة في قوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟؟) .. وهذا الزمن السحيق هو الذي تمت خلاله التسوية المعنية في قوله تعالى: (فإذا سويته) .. فلما تأذن الله للنفس السفلى أن تتحرك بسرعة نحو النفس العليا ركب فيها العقل، وأمره بسياسة شهوتها .. وهذا العقل هو روح الله المنفوخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ونفخت فيه من روحي) وذلك من الآية الكريمة: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة، كلهم، أجمعون * إلا إبليس، أبى أن يكون من الساجدين) .. ولم يكن سجود الملائكة له سجود عبادة، وإنما هو سجود تسخير لإعانته على البر، والخير .. ولما أبى إبليس أن يكون مع الساجدين إنما كان ذلك إشارة إلى تخذيله الإنسان عن الخير، والبر، ومن ثم، عن التسامي نحو النفس العليا، ابتغاء تسفيله، وجذبه إلى أسفل سافلين، حيث كان آنفا، وحيث موطن إبليس الآن ..

العقل

العقل إذن هو الوسيط بين النفس العليا والنفس السفلى، وهو الذي به سير الله النفس السفلى نحو النفس العليا لتتم هدايتها إلى موطنها الأول، حيث مشارق الأنوار .. قال تعالى في ذلك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

(قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنا عليكم بوكيل) .. قوله: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) يعني لنفسه العليا .. وقوله: (ومن ضل فإنما يضل عليها) يعني يضل في نفسه السفلى بالسير في ظلمات سراديب الشهوة .. قوله: (قد جاءكم الحق) يعني (الحق) سبب الهداية، وهو العقل، في المكان الأول، والشرع، في المكان الثاني .. وقد أسلفنا القول إلى أن العقل، ليسير النفس السفلى نحو النفس العليا، قد سيطر على شهواتها بميزان الحرام والحلال، فكبت بعضها، وسرح بعضها يمارس نشاطه .. ووقع الكبت في منطقة ما بين أعماق النفس السفلى، حيث مركز الشهوة – القلب – وما بين أعلاها، حيث مركز السيطرة – العقل ..

والعقل، لما كان ممدودا بالوحي، فقد أصبح مفتوحا على النفس العليا .. وهو، لما كان مقيدا بالشرع، فقد أصبح مسيرا إلى النفس العليا .. والكبت، في منطقة ما بين العقل والقلب، يقع في سبع طبقات، هي ما سميت بالنفوس السبع .. أدناها للقلب ، الأمارة .. فإذا سارت شوطها إلى أن ردها العقل، وحال بينها وبين تنفيذ أمرها بالسوء، إنكسرت موجتها، فأخذت في طريق العودة .. وهو طريق غير طريقها الذي سلكته أولا، ولكنه مواز له .. وعند انكسارها، راجعة، تكون في مرتبة النفس اللوامة .. ثم هي، إذا وصلت إلى حاشية القلب تكون قد قطعت مراحل الملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، وأصبحت في موازاة النفس الأمارة، غير أن منزلتها هي منزلة النفس الكاملة .. ومع ذلك، فهي ليست في سويداء القلب، وإنما هي على حواشيه .. وتطلب في ترقيها زيادة كمالها، كل حين، وهي، كلما كملت، قربت من سويداء القلب .. وفي السويداء كمالها المطلق .. وسيرها إلى كمالها المطلق سير سرمدي، لا ينقضي .. وكمال النفس المطلق في وصولها عائدة إلى نفس الله، حيث تنزلت أول أمرها .. وفي سويداء كل القلوب ذات الله، قلوب الأحياء، وقلوب الجمادات – مراكز ذرات المادة –

الضمير والسريرة

عندما يتحدث الدكتور عن الضمير، وعن السريرة، يظهر الخلط في حديثه بصورة تدل على عدم الدقة في المعاني .. فهو يقول من حديثه الذي أسلفنا إيراده من صفحتي 39 و40: (إن السريرة هي محل الإبتلاء، ومحل المحاسبة والسريرة هي السر المتجاوز للظروف والمجتمع والبيئة والتربية كما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أسلفنا في شرحنا المسهب .. فهي المبادرة المطلقة والابتداء المطلق الذي أعتقه الله من كل القيود .. إنها روحك ذاتها وهي الكاشفة عن حقيقتك بمثل ما تكشف بصمة إصبعك عن فرديتك .. وروحك فيها من حرية الله لأنها نفخة منه ..

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ولأن فيك ذلك القبس من الله ولأنه كرمك بحرية الإرادة فأنت محاسب على هذه الحرية. وهذا منتهى العطاء الإلهي .. ومنتهى العدل أيضا) هذا ما قاله الدكتور!! فما هو الحق في أمر السريرة؟؟ أول ما تجب الإشارة إليه هو أن السريرة هي منطقة كتمان السر .. وكتمان السر عكسه الجهر بالسر .. وكل سر، دونه سر أدق منه، تكون له منطقة أدق، في السريرة تقابله .. قال تعالى في ذلك: (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر، وأخفى) ههنا إشارة إلى الجهر، وهو التعبير عن السر بالقول، وأشار إلى السر، وهو حديث العقل دون الجهر، وأشار إلى ما هو أخفى من السر: (السر وأخفى) .. وتتفاوت منازل الخفاء حتى تصل إلى منطقة النفس الكاملة .. فليست للإنسان سريرة واحدة، وإنما له سرائر كثر، قال تعالى في ذلك: (فلينظر الإنسان مم خلق؟ * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) .. لكل منزلة من منازل النفوس سريرة تقابلها، وتلك سريرة تدق كلما علت مرتبة النفس في درجة الكمال، فهناك السريرة في مرتبة النفس اللوامة .. وهذه الاسم الغالب عليها هو الضمير .. وهناك السريرة في مرتبة النفس الملهمة .. وهذا هو الاسم الشائع عندما نتحدث عن السريرة باعتبارها مكان السر، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: (قالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل .. فأسرها يوسف في نفسه، ولم يبدها لهم، قال: أنتم شر مكانا، والله اعلم بما تصفون.) .. والسرائر، عندما تتداعى إلى النفس الكاملة، تكون قد قطعت طبقات العقل، وهو مرحلة الإدراك (الشفعي) وأطلت على القلب، وهو مركز الإدراك (الوتري) .. وقد وردت الإشارة إلى السر في طبقات العقل، حيث الإدراك الشفعي، وإلى السر في سويداء القلب، حيث الإدراك الوتري، في قوله تعالى: (وأسروا قولكم، أو اجهروا به .. إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو، اللطيف الخبير؟) .. قوله (وأسروا قولكم)، إشارة إلى الإسرار في منازل السريرة المختلفة في مقابل منازل النفوس .. قوله (إنه عليم بذات الصدور) إشارة إلى سريرة السرائر، التي لا يعلمها إلا الله، وإلى هذا السر الدقيق في سريرة السرائر، والذي لا يعلمه إلا هو وردت الإشارة في الآية الثانية (ألا يعلم من خلق وهو، اللطيف الخبير؟) .. فإن لطف السر، ههنا، يقابله اسم الله اللطيف، فإنه هو كفؤه، بل هو هو .. فأنت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

حين تتحدث عن السريرة التي تبتلى، في قوله: (يوم تبلى السرائر)، لا تعدو أن تكون متحدثا عن السر في طبقات العقل، لأن هذا السر هو مجال الإيمان، ومجال النية، اللذين لا يكون عمل صالحا بغيرهما معا .. والسر في منطقة العقول ليس معفيا من القيود، فإنه إنما سمي العقل عقلا لأنه معقول، ومقيد .. هو مقيد بعجزه عن الإدراك في منطقة الوترية .. ومن ثم، فإن قولك: (إن السريرة هي محل الإبتلاء، ومحل المحاسبة... والسريرة هي السر المتجاوز للظروف والمجتمع والبيئة والتربية كما أسلفنا في شرحنا المسهب .. فهي المبادرة المطلقة والإبتداء المطلق الذي أعتقه الله من كل القيود)، قول يتناقض مع بعضه، في المكان الأول، ثم أنه غير دقيق، الدقة العرفانية الكافية، في المكان الثاني .. كأنك تريد سر الأسرار في سويداء القلوب، وهذا ليس هو الإنسان، وإنما هو ذات الله، وهو المقيد للإنسان، والمسير له .. وإلى ذلك التسيير الإشارة بقوله تعالى: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا، فملاقيه) .. وإليه أيضا الإشارة بقوله تعالى: (إن كل من في السموات، والأرض، إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ..

من خصائص القرآن

إن الإنسان مسير، ما في ذلك أدنى ريب، وهذا الأمر هو أصل التوحيد .. والقرآن كله موظف لتوكيده، ولكن فهمه يحتاج إلى إطلاع على دقائق أسرار القرآن .. وأنت تقول من صفحة 32: (ولأن القرآن كتاب دين وليس كتاب فلسفة فإنه يكتفي بالومض والرمز والإشارة واللمحة.) فكأنك تريد أن تقول أن القرآن لو كان كتاب فلسفة لاستقصى هذا الأمر استقصاء، ولكنه، لما كان كتاب دين، لم يكن ذلك مجاله .. والقرآن ليس كتاب فلسفة، ما في ذلك أدنى ريب، وإنه ليتنزه عن ذلك لأنه في معارفه يغطي منطقة الفلسفة، ويتجاوزها إلى منطقة وراءها، حيث تنتهي قوة الإدراك الشفعي – العقل– وتبتدئ منطقة الإدراك الوتري – القلب ..
ولأن القرآن كتاب دين، وليس كتاب فلسفة، فإنه قد ركز على تحصيل العلم عن طريق الممارسة، وليس عن طريق القراءة والإطلاع .. ومراده من توكيد الممارسة – العبادة والمعاملة – ترويض العقل ليتخلص من أوهام ما تعطي ظواهر الأشياء، كي ينفذ إلى ما عليه الأمر في بواطنها .. وهو، لكي يصل إلى غرضه هذا، يتخذ الظواهر مجازا إلى البواطن، فهو لا يعارض ما تعطي بدائه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحواس، ولا ما تعطي بدائه العقول .. فإذا كان النظر يعطي أن الأرض مسطحة فإن القرآن لا يصادم هذه البداهة المرئية، وإنما يسير في إتجاهها، فيقول: (والسماء بنيناها بأيد .. وإنا لموسعون * والأرض فرشناها، فنعم الماهدون) ويقول: (الذي جعل لكم الأرض فراشا، والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم .. فلا تجعلوا لله أندادا، وأنتم تعلمون) ويقول: (والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا) .. فأنت لا تجد ما يزعجك حين تقرأ عبارة: (والأرض فرشناها) .. أو عبارة: (جعل لكم الأرض فراشا) .. أو عبارة: (جعل لكم الأرض بساطا) .. لأن كل هذه العبارات تستقيم مع ما تعتقده الحق في أمر الأرض كما يعطيك نظرك .. وإنما أنت لم تنزعج لأن القرآن قد جارى وهم حواسك، ريثما يخلصك من هذا الوهم بتسييرك من ظواهر الأمور إلى بواطنها .. وبواطنها، في هذا الأمر، هي ما تعطيه العقول، بعد غربلة معطيات الحواس .. ثم ان للعقول وهما، كما للحواس وهم، بيد أنه أدق وأخفى .. والقرآن يجاري وهم العقول، كما يجاري وهم الحواس .. ووهم العقول يتمركز في توهم الإرادة، ذلك بأن العقول تسيطر على حركاتنا الإرادية، فمدت لها هذه السيطرة الى أن توهمنا أننا نملك إرادة مستقلة، بها نفعل، أو نترك الفعل، ويجيء القرآن في هذا الباب متمشيا مع هذا الوهم، ريثما ينقلنا منه، نقلا وئيدا، من خلال ممارسة العبادة .. فهو يقول، مثلا، في ذلك: (لمن شاء منكم أن يستقيم) .. وعلى هذه الآية، وما تقرر، قام التكليف، وشرعت الشريعة، وأصبحنا مأمورين، ومنهيين .. فإذا نهضنا بعبء تكليفنا بتشمير، وجد، أدانا ذلك التشمير، والجد في العبادة، إلى أن نستيقن، بفضل تجويد التوحيد، أن الإرادة لمريد واحد، وأن المشيئة لمشيء واحد .. وحينئذ يخاطبنا القرآن في مستوى جديد فيقول: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) .. قوله: (لمن شاء منكم أن يستقيم)، آية شريعة .. وقوله: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)، آية حقيقة .. والشريعة ظاهر، والحقيقة باطن الشريعة .. والحكمة في نهج القرآن هذا النهج هي أن القرآن كتاب عقيدة في التوحيد .. والعقيدة في التوحيد، في حد ذاتها، عقبة على المدعوين إليها، فلم يرد الحكيم أن يضيف إلى عقبة الدعوة إلى التوحيد عقبة أخرى بمعارضة أوهام الحواس، وأوهام العقول، من البرهة الأولى .. وأهم من هذه، أن بواطن الأمور ليس إليها من سبيل، إلا سبيل اعتبار ظواهرها .. والله تعالى يقول في ذلك: (سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟) .. فآيات الآفاق ظواهر، وإدراكها عن طريق الحواس الظاهرة، وعن طريق العقول التي تستمد مدركاتها من معطيات هذه الحواس ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وآيات النفوس بواطن، وهي إنما تدرك بالعقول المروضة بأدب الشريعة، وبأدب الحقيقة – بأدب القرآن – هذا النهج الحكيم من القرآن يقوم على أسلوبين: أسلوب طردي، وأسلوب عكسي .. فاما الأسلوب الطردي فيبدأ بتعليمنا من الخارج، ويمشي نحو الداخل، حتى إذا وصل بهذا النهج إلى أعماق نفوسنا – وتلك هي مرتبة النفس الكاملة – بدأ بالأسلوب العكسي، وهو تعليمنا عن كوننا الخارجي من داخلنا .. ذلك بأنا نكون، حينئذ، قد بلغنا مشارف الحقيقة الأزلية المركوزة في سويداوات قلوبنا .. وهو يقول في ذلك، بصورة تشبه التوبيخ، من الآية السالفة: (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟؟) فقولك، إذن، أن (القرآن كتاب دين، وليس كتاب فلسفة)، لا يجد تبريره إلا في أن القرآن كتاب تسليك، وأنه يختط السير من ظواهر الأمور إلى بواطنها برسم أسلوب العبادة، وأسلوب المعاملة .. والقاعدة في تعليمه البواطن عن طريق الظواهر قوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) .. وقول المعصوم: (من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم) .. فهو يعني هنا: من عمل بما علم من ظاهر الشريعة، علمه الله ما جهل من بواطن الحقيقة ..

ثم ان القرآن مثان .. قال تعالى في ذلك: (الله نزل أحسن الحديث، كتابا، متشابها، مثاني .. تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم، وقلوبهم إلى ذكر الله .. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء .. ومن يضلل الله فما له من هاد) فهو يسوق معانيه: معنيين، معنيين .. معنى بعيدا عند الرب، ومعنى قريبا تنزل لإدراك العبد .. والمعنى البعيد هو المعنى الباطن، والمعنى القريب هو المعنى الظاهر .. أو قل، إن شئت، أن المعنى البعيد هو الحقيقة، وأن المعنى القريب هو الشريعة .. والشريعة، حين تمارس، في التطبيق، وفي المعاملة، تكون مجازا، وطريقا، يؤدي بالسالك إلى الحقيقة .. قال تعالى: (ثم تلين جلودهم، وقلوبهم)، فأقام الجلود مقام الظاهر، وأقام القلوب مقام الباطن ..

إن خصائص القرآن كثيرة، وما أوردناه هنا يكفي للدخول على فهم الآيات التي أوردتها أنت في فصل (مخير أم مسير) من كتابك هذا الذي نحن بصدده الآن ..

فهم القرآن

ومن خصائص القرآن أنه لا يفهم عن طريق اللغة وحدها، وإنما يفهم عن طريق التوحيد .. واللغة إنما تأخذ مدلولاتها من المعاني التي يفيضها التوحيد على من جودوا التوحيد .. ومن أجل التمثيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

على ذلك نذكر (علم) الله الذي كثيرا ما يرد في تفسيرك للآيات .. فإنا عندما نكون ضعافا في التوحيد نقيس علم الله بعلمنا نحن .. ونحن إنما نعلم بالجارحة – بالعقل – وعلمنا قد يتخلف عن التنفيذ، وذلك لمكان نقصه .. فنحن قد نعلم شيئا ثم لا نملك تنفيذه .. وعلم الله يختلف عن ذلك، فهو تعالى لا يعلم بجارحة، وإنما يعلم بذاته .. فإذا قال: (والله يعلم ما تصنعون) فإن معنى هذا: أن الله يصنع لكم ما تصنعون لأنفسكم .. وهذا يسوق إلى وحدة الفاعل .. وفي تنزلات علم الله يجيء علمه بأسمائه، بعد علمه بذاته، ثم يجيء علمه بصفاته، ثم علمه بأفعاله .. أي العلم في منازل الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال .. فهو تعالى قد يتراخى تنفيذ علمه في مراتب التنزلات، ولكنه، في منازل المعارج إلى الذات، ينفذ، من غير أدنى ريب .. وههنا يدخل عنصر الزمن ..

قال المعصوم: (إن الله لا يعجل بعجلة أحدكم) .. وقال تعالى في ذلك: (أنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين .. أمهلهم رويدا) وقال تعالى: (فلا تعجل عليهم، إنما نعد لهم عدا) .. وليس شيء خارجا عن ملك الله، فإن له الدنيا، والآخرة .. قال تعالى: (إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة، والأولى) فمن لم يؤمن اليوم فهو مؤمن غدا، لا محالة ..

فإذا استقر هذا في الأذهان فإن خطأ فهمك للقرآن يتضح في قولك: (لقد رفض الله أن يكره الناس على الإيمان كان هذا في إمكانه ولكنه أراد للإنسان أن يكون حرا مختارا يختار الإيمان أو الكفر كما يشاء) .. وقد كان هذا القول منك في صفحة 32، وكان تعليقا على الآية الكريمة: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض، كلهم، جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟) .. فإن الفهم الحق يقضي بأن الله قد شاء لمن (في الأرض، كلهم، جميعا) أن يؤمنوا ولكن في المآل، وليس في الحال .. ومثل هذا يقال عن قوله تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) .. وقياس الدكتور علم الله بعلمنا نحن يظهر جليا في قوله من صفحة 37 وصفحة 38: (فقد علم مسبقا وسلفا بأن الإنسان سيفسد في الأرض وسيسفك الدم ويظلم نفسه ويظلم الآخرين .. ويستحق بذلك درجات متفاوتة من العقوبة .. كل هذا كان في سابق علمه. وليس هذا بالجبر ولا بالحتم .. ولكن .. كما يحدث أن تتوسم في أحد أبنائك حب العلم والتحصيل فتمده بالتسهيلات والتيسيرات وتبعثه إلى الخارج في بعثة .. وترى في الآخر العكوف على الفساد وصحبة السوء فتكتفي بما له من حظ محدود من التعليم في بلده .. ولو فعلت عكس ذلك لكنت ظالما .. ولأكرهت أبناءك على غير طبائعهم ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما أن هذا التوسم المسبق ليس فيه عنصر إكراه ولا جبر .. إنما هو مجرد سبق علم .. فأنت تعلم مسبقا من أخلاق ولدك بأنه سوف ينصرف إلى اللعب ويهمل كتبه .. فإذا انصرف إلى اللعب بالفعل وأهمل كتبه فإن ذلك لا يكون إكراها منك ولا جبرا ولا عنوة وإنما لأن هذه طبيعته التي سبق علمك إليها .. وإنما تأتي التجربة فتكشف له نفسه .. وبذلك يحق عليه العقاب صدقا وعدلا .. فقد علم من نفسه ما لم يكن يعلم) ..

أما نحن فقد أسلفنا القول إلى خطأ هذا القياس .. فإن ما علمه الله فعله، إن لم يكن في العاجل، ففي الآجل .. والله تعالى يقول عن فعله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) .. فأما أمره فهو علمه بالذات، وأما قدره فهو تنزل علمه في مراتب الأسماء، والصفات، والأفعال .. والعلم إنما نزل لهذه المراتب لينفذ في الزمان، والمكان .. ومن الزمان والمكان، الدنيا والآخرة .. والعلم بالذات خير محض، وهدى لا ضلال فيه .. ومن ثم، فمصير كل ضال، اليوم، إلى الهداية، غدا .. كان ذلك على ربك حتما مقضيا .. وفي ذلك يقول تعالى: (إن علينا للهدى، وإن لنا للآخرة، والأولى) .. ههنا إشارة إلى القضاء، والقدر .. أشار إلى القضاء بقوله: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) .. وأشار إلى القدر بقوله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) .. والقضاء هو سر القدر، وهو خير محض، ما للشر إليه من سبيل .. والقدر هو تنفيذ القضاء في الزمان، والمكان .. وهو قد اتسع للخير، وللشر، لأنه، بدخوله في الزمان والمكان، قد دخل منطقة الثنائية، وهي منطقة التعليم، ومنطقة تذكير العقول بما نسيت .. قال تعالى في ذلك: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ..

وبين القضاء والقدر منازل علم الله في التنزلات، بين الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال .. فهل يخطر ببال أحد أن علم الله لا ينفذ، وإنما يكون مجرد (سبق علم)؟؟

والدكتور يقول: (حينما تقضي اللحظة أن تختار فأنت تختار نفسك بالفعل (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) .. وفي لفظ (إما) يبدو عنصر الاختيار واضحا محددا) .. هذا ما قاله الدكتور، في صفحة 44 .. فهو يفهم من الآية: إن الإنسان أوقف في مفترق طريقي الشكر، والكفر .. وقيل له: أيهما تختار؟؟ والفهم الواضح ان الإنسان الواحد هدي سبيلي الشكر، والكفر .. فهو، تارة، شاكر، وهو، تارة، كافر .. وهذا يؤخذ من طبيعة النشأة .. وهو أيضا أس كمال النشأة .. قال المعصوم، في ذلك (إن لم تخطئوا وتستغفروا، فسيأت الله بقوم يخطئون، ويستغفرون، فيغفر لهم) .. فالإنسان، بجبلته، خطاء، وأوتي القابلية ليتعلم من الخطأ .. والخطأ يقابل، من الآية، كلمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

(كفورا)، والتعلم من الخطأ يقابل منها كلمة (شاكرا) .. فهو مسير إلى الخطأ، مسير إلى الصواب، من غير أن يشعر بهذا التسيير، وذلك لمكان لطف التدخل في حريته .. فالإنسان الواحد هو شاكر في آونة، كفور في أخرى .. فمن غلبت حالات شكره حالات كفره فهو مهتد .. ومن غلبت حالات كفره حالات شكره فهو ضال .. هذا لا يمنع أن يكون في الناس كفور لا يعرف إلى الشكر بلسان المقال سبيلا .. ولكن هذا الكفور، في الحال، سينتهي به الكفر إلى الشكر، في المآل .. فإنك إن تزعم غير ذلك، فقد ينتهي بك القول إلى أن الشر أصل في الوجود، كالخير تماما، وهذا قول يرفضه التوحيد رفضا تاما .. فلم يبق إلا أن الشر فرع، والخير أصل .. وهذا يعني أن من سار في طريق الشر باختياره، كما تزعم أنت، إنما سير فيه تسييرا، من غير أن يدري أنه مسير، فإن الطريق في (الحقيقة) واحد، ولكنه في (الشريعة) طريقان ..

وأنت تقول من نفس الصفحة ((ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) أي فتح أمامها سبيل الخير والشر وتركها أمام الطريقين لتختار .. ولهذا قال فجورها وتقواها، ولم يقل (أو) تقواها، لأنه فتح الطريقين معا ليجعل للنفس الاختيار ولم يجبرها على أحد الطريقين .. ولذلك أردف موضحا: (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)، فرد الفلاح والخيبة للنفس المخيرة، وفي آية أخرى يوضح الأمر أكثر فيقول: (وهديناه النجدين) أي هديناه إلى مفترق طريقين يختار أيهما .. إن النية حرة والسريرة حرة في إضمار ما تشاء .. أما الفعل فهو حر ومقدور في ذات الوقت) .. هذا ما تقوله أنت، وهو قول يدل على أنك ترى أن التقوى والفجور طريقان، مختلفان أصلا .. وترى أن من اتخذ طريق الفجور سيلج به الفجور إلى غير نهاية .. هذا يفهم بالضرورة، من قولك: (ولم يقل أو تقواها لأنه فتح الطريقين معا ليجعل للنفس الاختيار ولم يجبرها على أحد الطريقين) .. والخطأ، في مثل هذا الزعم، هو، كما أسلفنا القول، أنه يجعل طريق الفجور أصلا، كطريق التقوى تماما .. وهذا أمر مختل في ميزان التوحيد ..

وليس هناك حجة لك فيما أوردت من قوله تعالى: (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) .. وزعمت أنه رد: (الفلاح والخيبة للنفس المخيرة) .. فإنه إنما رده الفلاح هنا يتمشى مع ظاهر الشريعة فقط .. فهو الذي يسر الفلاح للنفس المفلحة، وما كان لها منه بد .. وهو الذي يسر الخيبة للنفس الخائبة، وساقها إليها، وما كان لها منها بد .. ثم هو نسب الفلاح للنفس المفلحة، ونسب الخيبة للنفس الخائبة .. وما كان لأيهما يد بالفلاح، ولا بالخيبة .. فإن كل نفس قد هديت فجورها، وتقواها .. فهي فاجرة تارة، ومتقية أخرى، فمن غلب فجوره تقواه فهو الذي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خاب، ومن غلبت تقواه فجوره فهو الذي أفلح .. والله، من وراء هذا وذاك محيط .. وقول الله تعالى: (وهديناه النجدين) شديد الوضوح، في ذلك .. أقرأ: (ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين) فالعينان مجعولتان، والشفتان مجعولتان، والنجدان مهديان .. فهولا يملك امتناعا على أن تكون له عينان، أو أن تكون له شفتان، أو أن يكون له نجدان، على حد سواء .. أما قولك في فهم هذه الآية: (أي هديناه إلى مفترق طريقين يختار أيهما)، فإنما هو قول أملته عليك رغبتك المسبقة في أن يكون المعنى ملائما لما تريد أنت .. وأما قولك: (والسريرة حرة في إضمارها لما تشاء)، فهو قول واضح الخطأ .. وأول ما تجب الإشارة إليه هو أن السريرة لا تضمر، وإنما الذي يضمر هو العقل .. ويكون مكان الإضمار في السريرة .. والعقل ليس حرا في إضمار ما يشاء ، ما دام عاجزا عن أن يعلم ما يشاء .. والله تعالى يقول: (ولا يحيطون بشيء من علمه، إلا بما شاء) .. فأصبحت مشيئة العقل في أن يضمر في السريرة مقيدة، ومسيرة بمشيئة الله، وهذا هو التسيير، لا التخيير .. أما قولك: (أما الفعل فهو حر ومقدور في ذات الوقت)، فهو قول لا يستقيم، إلا لدى النظرة الأولى، فإنه لدى النظرة الدقيقة، وعند تمديد الأمور إلى نهايتها المنطقية، لا بد أن يظهر أن الحرية محاط بها، وأن القدر هو الأصل، وذلك للسبب البسيط الذي ذكرناه، وهو أن العقل لا يملك أن يعلم ما يريد، فهو لا يملك، إذن، أن يكون حرا، لا في الفكر، ولا في الفعل .. وأنت تقول في متابعة هذه الأفكار، من صفحة 45: (وكل واحد منا له نصيبه من حرية الفعل .. والذي يقول بالجبرية سوف يقع في مأزق حينما نسأله كيف يميز بين يده يحركها في حرية ويكتب بها ما يشاء .. وبين يده وهي أسيرة ترتعش قهرا في رجفة الحمى .. هنا أمامنا حالتان واضحتان، حرية في حالة الصحة، وجبرية في حالة المرض ولو كانت الجبرية التي يقول بها صحيحة لما أمكن أن يميز بداهة بين الحالين .. ولما أمكن أن تقوم الحالتان أصلا .. إن حرية الفعل إذن حقيقة .. والقدر أيضا حقيقة .. والمشكلة هي أن نحاول أن نفهم هذا الازدواج وكيف لا يلغي الواحد منه الآخر .. كيف لا يلغي القدر الحرية .. وكيف لا تلغي الحرية القدر .. وهذا أمر نستشفه من الآيات استشفافا .. فهي تلمح ولا تصرح، حتى لا تلقي بالناس في بلبلة. يقول الله في كتابه (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) ..

لو شاء لفعل ولكنه لم يفعل .. لأنه لم يشأ أن يقهرنا على إيمان فتنتفي بذلك حرية الاختيار التي جعل منها جوهر وجودنا .. فقد أراد لنا أن نكون أحرارا، نؤمن أو نكفر.) هذا ما قلته أنت .. أما أنا فلست أرى هذا (المأزق) الذي تزعم أن من يقول بالجبرية يقع فيه حينما تسأله: (كيف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يميز بين يده يحركها في حرية ويكتب بها ما يشاء .. وبين يده وهي أسيرة ترتعش قهرا في رجفة الحمى؟) ..

فالأمر جد بسيط .. فإن الحالتين من بعضهما .. فاليد، قبل الحمى، لم تكن حرة، وإنما هي مقيدة، وكل ما هناك أن أسباب القيد لم تبرز لنا في وضوح إلا بعد الإصابة بالحمى .. فنحن قد كنا في غفلة عن القيد، وهو خفي، فانتبهنا من غفلتنا عندما صار القيد ظاهرا للعيان .. وأنت، كطبيب، لا بد تعلم أن كل جسم مهيأ للإصابة بالحمى، وأن جرثوم الحمى قد يكون كامنا في أي جسم، يترقب فرصة الظهور .. وقد نكون نحن غافلين عن كمونه، ولا ننتبه من غفلتنا إلا بعد ظهور الحمى .. فهل تنفي غفلتنا هذه كون الجسم في الحالتين – حالة الكمون، وحالة البروز – مصابا بالحمى؟ ..

إن الاختلاف اختلاف مقدار، لا اختلاف نوع .. ههنا يظهر جليا أن الذي ساقك إلى الخطأ هو الحركة الإرادية في اليد .. وحركاتنا الإرادية هي التي سولت لأنفسنا أن تزعم أن لها إرادة .. والحذق يقضي بألا ننساق وراء هذا الوهم، لأننا، إلى أيسر تقدير، نعلم أن هناك، في إهابنا، حركات لا تخضع لإرادتنا .. وأنت، كطبيب، تعلم أنه لا سيطرة لك على ضربات قلبك، وتعلم أن الدم الذي يضخه قلبك يغذي الدماغ، وفي الدماغ مراكز الحركات الإرادية التي تظهر على اليد مثلا .. فكيف يجوز لك أن تتخيل أن حركة اليد حرة بعد كل هذا؟؟ وأما قولك: (أن حرية الفعل إذن حقيقة .. والقدر أيضا حقيقة)، فهو قول لا عبرة به، لأن الحقيقة واحدة .. وأما قولك: (والمشكلة هي أن نحاول أن نفهم هذا الازدواج، وكيف لا يلغي الواحد منه الآخر .. كيف لا يلغي القدر الحرية .. وكيف لا تلغي الحرية القدر؟)، فقول صحيح، ولكنا لا نجد أنك اهتديت، فيما قلت في كتابك هذا، أو هديت، إلى فهم الإزدواج .. وأسوأ من هذا!! فإنك قد ضللت عنه .. فأنت، عند الحديث عن آية: (وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى)، قلت: (يأتيك النصر بيدك وبيد الله في ذات الوقت فتكون يدك لحظة الانتصار هي يد الله ورميتك رميته ومشيئتك مشيئته) وهذا القول لا يوضح الازدواجية، وإنما يمحقها .. والقول الذي يوضح الازدواجية في الآية: (وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى)، هو أن يقال: وما رميت، في (الحقيقة)، إذ رميت في (الشريعة) ولكن الله رمى، في الحالتين .. فاليد التي رمت هي يدك أنت في ظاهر الأمر، ولكنها يده هو في باطن الأمر .. فالازدواجية إنما هي بين (الشريعة) و(الحقيقة) .. فإنا، في حكم الشريعة، نستقل بإرادة تفعل، ونحاسب على الفعل، وفي حكم الحقيقة، الفاعل إنما هو الواحد ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذا القياس فإن حرية الفعل التي تزعمها أنت إنما هي حرية ظاهرة، وهي، في الحقيقة، محاط بها، ومسيرة إلى ما يريد المحيط .. فينتهي بها الأمر إلى أن تكون تسييرا لا حرية، وإنما خفي الأمر علينا لأن الله، تبارك، وتعالى، إنما يسيرنا عن طريق عقولنا، ويتدخل، في هذا التسيير، في لطف بالغ، حتى لقد جاز علينا الوهم أنا مخيرون .. وهاك آيات، هن آية، في لطف تدخل الإرادة الإلهية في الإرادة البشرية لتسيرها، من غير أن تزعجها: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا، وهم بالعدوة القصوى، والركب أسفل منكم، ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد .. ولكن، ليقضي الله أمرا كان مفعولا .. ليهلك من هلك عن بينة .. ويحيا من حيي عن بينة .. وأن الله لسميع عليم * إذ يريكهم الله، في منامك، قليلا .. ولو أراكهم كثيرا لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر .. ولكن الله سلم .. إنه عليم بذات الصدور * وإذ يريكموهم، إذ التقيتم، في أعينكم، قليلا، ويقللكم في أعينهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وإلى الله ترجع الأمور) .. فالله هو الذي أحكم اللقاء بين الفريقين، وما كان لهما أن يلتقيا من عند أنفسهم: (ولو تواعدتم لإختلفتم في الميعاد) .. لماذا أحكم الله لقاء الفريقين؟؟ (ليقضي الله أمرا كان مفعولا!!) والله، ليقضي هذا الأمر، يري نبيه، في منامه، أعداءه قليلا، فيصمم على قتالهم .. ولو أراهموه كثيرا ما صمم .. (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر ..) .. وإنما كانت تلك الرؤيا ليصمم النبي على القتال و (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) .. ثم ان الله يري النبي وأصحابه أعداءهم قليلين في أعينهم، فيصمموا على قتالهم .. وهو يري المشركين المؤمنين قليلين في أعينهم، فيصمموا على قتالهم أيضا .. لماذا كل أولئك؟؟ (ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور) .. يجري كل أولئك، على المؤمنين، وعلى المشركين، من غير أن تنزعج إرادة فرد من الفريقين بتدخل الإرادة الإلهية في تصميمه .. ذلك تجليه باسمه اللطيف ..

أما قولك في فهمك لآية: (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين) .. (لو شاء لفعل ولكنه لم يفعل) فقول ينقصه العلم بدقائق الفعل الإلهي، فإنه قد شاء، وقد فعل، ولكن فعله إنما ينفذ على مكث، وتلبث .. وسيجيء زمن فيه تنفذ المشيئة بالفعل، وتنزل الآية، وتظل الأعناق خاضعة لها، ولكنه خضوع العقول وسيلته .. فتلك الآية ستكون وضوح الرؤية التي تسوق أصحابها إلى الإيمان .. وإنما يكون وضوح الرؤية، بزيادة ظهور البرهان، وبزيادة استعداد العقول لإدراك البرهان .. هذا كائن، لا محالة .. اقرأ، إن شئت قوله تعالى: (إن كل من في السموات، والأرض، إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم، وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فردا) .. وما يكون يوم القيامة ليس غائبا اليوم، وما الاختلاف بين ما هو كائن اليوم، وما يكون، يومئذ، إلا اختلاف مقدار ..

وأنت تورد الآية: (وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون) .. وتورد بعدها قولك: (ومعنى هذا أن الله يدع القلب حرا فتكون لكل إنسان سريرة هو حر فيها. ولكنه يقيم سلطانه بين المرء وقلبه، فهو يحول بين المرء وقلبه بالتمكين والإحباط لطفا ورحمة ليقي أحباءه السيئات .. وليقدم التيسيرات لكل حسب ضميره ونيته ومبادراته .. إما لليسرى وأما للعسرى .. ثم تكون الرجعة في النهاية إليه يوم القيامة فيحاسب كل إنسان على وفق سريرته .. فقد كان كل منا حرا في سريرته وهو عنها مسئول .. بهذه الكلمات التي تضيء كالومض الخفي يعطي القرآن المفتاح لأكبر المشكلات استعصاء في الفلسفة .. مشكلة الجبر والاختيار) .. هذا ما قلته أنت، في صفحتي 49 و50، وبه اختتمت هذا الفصل الذي هو أهم فصول الكتاب .. فلعمري!! إن القرآن ليعطي المفتاح لمشكلة الجبر والاختيار، ولكن على أن يفهم على غير ما فهمت .. إن آية (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون)، هي آية في الدلالة على التسيير .. ولكنك طففتها، وصرفتها عن وجهها، لتؤيد بها حجة أقامها في ذهنك الوهم .. أقرأ، مرة أخرى، قولك: (ومعنى هذا أن الله يدع القلب حرا فتكون لكل إنسان سريرة هو حر فيها. ولكنه يقيم سلطانه بين المرء وقلبه) .. وارد أن النبي قال يوما: (اللهم!! يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك) .. فقالت السيدة عائشة: (حتى أنت؟؟) فقال: (نعم!! حتى أنا، فإن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء ..) .. والله تعالى يقول: (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، بالغداة، والعشي، يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا .. ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتبع هواه، وكان أمره فرطا) .. أبعد هذا، وذاك، يصح قولك: (إن الله يدع القلب حرا)؟ .. وأي عبرة لقولك: (ولكنه يقيم سلطانه بين المرء وقلبه)؟ .. ومن هو المرء؟؟ وما قلبه؟؟ وإذا حصل التوزيع بين المرء وقلبه، فأي حرية يحرزها القلب؟؟ وأي حرية يحرزها المرء؟؟ ألا يكفي هذا التمزق الداخلي، في حد ذاته، للذهاب بالحرية كلية؟؟

الإنسان مسير وليس مخيرا

في القرآن حل مشكلة الجبر والاختيار، مافي ذلك أدنى ريب .. ولكن القرآن لا تفهمه إلا العقول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التي تأدبت بأدب القرآن – أدب شريعته، وأدب حقيقته – وكون الإنسان مسيرا هو أصل التوحيد .. فإنه، إن يكن مخيرا، فإن اختياره، إما أن يكون نافذا، في جميع الحالات، فيكون، بذلك، مشاركا للخالق في فعله، أو يكون معطلا، في بعض الحالات، فيكون، بذلك التعطيل، مسيرا إلى أمر لم يختره، فهو، بذلك، وفي نهاية المطاف، مسير .. إن الخالق لواحد .. وإن الفاعل، وراء كل فاعل، لواحد .. والوهم هو الذي طوع لأنفسنا نسبة الأفعال لغير الفاعل الأصلي .. قال تعالى في ذلك: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم؟؟ قل الله خالق كل شيء .. وهو الواحد القهار) .. قوله: (خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم ..)، هذا هو موطن الداء، ومجال التلبيس .. والتوحيد إنما هو وضوح الرؤية التي بها يقع التمييز بين المتشابهات .. وعن هذا الوهم الذي تورطنا فيه، فزعمنا لأنفسنا إرادة مستقلة عن إرادته، حرة، متفردة، بالعمل، أو بالترك، يحدثنا تعالى في هاتين الآيتين اللتين هما آية في دقة كشف حجاب الوهم .. قال تعالى: (هو الذي يسيركم في البر، والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك، وجرين بهم، بريح طيبة، وفرحوا بها، جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم، دعوا الله، مخلصين له الدين، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .. * فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق .. يأيها الناس!! إنما بغيكم على أنفسكم .. متاع الحياة الدنيا، ثم إلينا مرجعكم، فننبئكم بما كنتم تعملون) ..

وسبب الغفلة سعة الحيلة، والشعور بالاستغناء: (كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) .. وحيلتنا في البر أوسع من حيلتنا في البحر، وبخاصة إذا هاجت العواصف على البحر .. (جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم) .. ههنا تنفد الحيلة ويكون اللجأ إلى الله، ويعرفه من كان قبلا من الجاحدين ويتوجه إليه من كان قبلا من الغافلين: (دعوا الله، مخلصين له الدين، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .. هذا هو حال من تقطعت به الأسباب، وقعدت به الحيلة، وأفاق من غفلته باستشعاره الحاجة الملجئة .. هذا هو حالي، وحالك، عندما يلح علينا الوهم .. ثم أنه، سبحانه، وتعالى، يحكي حالة أخرى: (فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) .. فعندما وطئوا البر استشعروا القدرة على الحيلة، والتدبير فعاودتهم الغفلة من جديد .. فورد الخطاب من الحق: (يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، متاع الحياة الدنيا ..) .. يعني أن غفلتكم لن تجد فرصتها إلا خلال الحياة الدنيا .. أما في الحياة الأخرى فإنكم تواجهون مشكلتكم، كل لحظة .. فهي تلح عليكم إلحاحا، وتسلط عليكم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تسليطا، فلا تجدوا فرصة للغفلة .. وهذا هو معنى قوله تعالى: (ثم إلينا مرجعكم، فننبئكم بما كنتم تعملون) .. يومئذ لن تكون هناك فرصة لتوهم التخيير، وإنما هو التسيير .. لا لبس فيه ولا غموض ..

والله، تبارك، وتعالى، يريد لنا أن نستيقن هذا التسيير، منذ اليوم، ولذلك هو يعلمنا أن الذي يسيرنا في البحر، حيث لا حيلة لنا، هو نفسه الذي يسيرنا في البر، حيث نتوهم الحيلة .. قال تعالى: (هو الذي يسيركم في البر، والبحر) ثم اسمعه في موضع آخر، وهو يسوق الحجج الدوامغ ضد وهمنا، ابتغاء تخليصنا منه: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم .. وكان الإنسان كفورا * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر، أو يرسل عليكم حاصبا، ثم لا تجدوا لكم وكيلا؟؟ * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى، فيرسل عليكم قاصفا من الريح، فيغرقكم بما كفرتم، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا؟؟) .. هذه حجج، في غاية القوة، ضد الغفلة التي تستولي علينا عندما نستشعر القدرة ..

الإنسان بين التسيير والحرية

إن التسيير هو مذهب التوحيد .. وسوق الإنسان إلى استيقان ذلك التسيير هو وظيفة الكلمة: (لا إله إلا الله)، التي هي روح الإسلام .. والإسلام يقرر هذا التسيير بصورة لا تدع مجالا للشك، قال تعالى، في ذلك: (أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا، وكرها، وإليه يرجعون؟) .. ولقد سير الإنسان في مراتب ثلاث، بوسائل ثلاث .. سير وهو في مرتبة المادة غير العضوية، وذلك منذ أن كان ذرة هايدروجين، وإلى أن أصبح خلية حية، تسييرا مباشرا بواسطة الإرادة الإلهية المسيطرة، والهادية .. ثم سير في مرتبة المادة العضوية، منذ أن كان خلية حية، وإلى أن أصبح حيوانا سويا، تسييرا شبه مباشر، وذلك بإرادة الحياة .. ثم سير تسييرا غير مباشر، منذ أن أصبح إنسانا بدائيا، وإلى يوم الناس هذا، وذلك عن طريق إرادة الحرية .. وإرادة الحرية معنى زائد عن إرادة الحياة .. إرادة الحرية قيمة، وهي قد دخلت، بدخول العقل في المسرح .. وفي هذه المرحلة أصبح التسيير من وراء حجاب العقل .. هذا ما عنيناه بقولنا أن التسيير، ههنا، قد أصبح غير مباشر .. ولقد تحدثنا، آنفا، عن لطف تدخل الإرادة الإلهية في الإرادة الإنسانية، حتى أنها لم تنزعج، ولم تستشعر سلبا لحريتها .. وإنما كان ذلك كذلك لأن الإرادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإلهية إنما تتدخل في الإرادة البشرية عن طريق العقل .. وهو تدخل من اللطف بحيث يشعر العقل البشري أنه صاحب المبادرة، فيما يأتي، وما يدع، من الأمور .. فهو، إن ضل، فإنما هو قد اختار أن يضل .. وهو لا يرى الضلال في ذلك، وإنما يرى أنه مهتد .. قال تعالى، في ذلك: (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا؟؟ فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء .. فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ... إن الله عليم بما يصنعون ..) .. فهو قد (زين له سوء عمله فرآه حسنا) .. والحكمة، كل الحكمة، في دقة التسيير وردت في عبارة (فرآه حسنا) ..

وهو، إن اهتدى، فإنما هو صاحب المبادرة في الهداية .. ولا يرى لغيره فضلا في هدايته، إلا قليلا .. ويذهل عن الحقيقة التي تشتمل عليها هاتان الآيتان: (واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم .. ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وزينه في قلوبكم .. وكره إليكم الكفر، والفسوق، والعصيان .. أولئك هم الراشدون * فضلا من الله، ونعمة .. والله عليم حكيم) .. فقد يبدو، إذن، أن التسيير لا ينافي الحرية، لأن عنصر الاختيار في العمل قائم .. والحرية، في أبسط صورها، هي مسئولية، والتزام، وتصرف وفق شريعة يكافأ فيها المحسن بإحسانه، ويجازى فيها المسيء بإساءته .. وهذا هو ما عليه الأمر في التسيير، فإنه يقع على مستويين: مستوى القانون العام، ومستوى القانون الخاص .. فأما القانون العام فإن به تم تسيير المادة غير العضوية، وتسيير المادة العضوية، إلى أن بلغت هذه أدنى منازل العقول .. والقاعدة القانونية فيها قوامها: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا، يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا، يره) ..

وأما القانون الخاص فقد دخل مسرح الحياة بعيد ظهور العقل .. والقاعدة القانونية فيه قوامها (الحلال، والحرام) .. وهو محاكاة محكمة للقانون العام، فإنه في مقابلة: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا، يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا، يره)، فقد جاء بقوله: (وكتبنا عليهم فيها: أن النفس بالنفس .. والعين بالعين .. والأنف بالأنف .. والأذن بالأذن .. والسن بالسن .. والجروح قصاص .. فمن تصدق به فهو كفارة له .. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .. والقانون الخاص نفسه يقع على مستويين: مستوى الشريعة العامة، ومستوى الشريعة الخاصة .. فأما الشريعة العامة فهي للمجتمع .. وأما الشريعة الخاصة فهي للأفراد .. وهذه الأخيرة أدخل في القواعد الخلقية، منها في القواعد القانونية .. وهي، بذلك، تتسامى، وتوكل بالتجويد، والإحسان .. والتسيير فيها، من ثم، ينفتح على التخيير، وذلك بفضل الله، ثم بفضل العلم الذي عصم الأفراد الذين يعيشون في مستواها، (الأخلاق)، عن التورط في مخالفة القواعد القانونية التي ترعى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حقوق الجماعة في مضمار الشريعة العامة .. ولتوضيح مقام الشريعة الخاصة، من الشريعة العامة، يحسن أن نضرب مثلا بسنة النبي، في خاصة نفسه، وشريعته، لعامة أمته .. فإنه كنبي، قد كان فردا .. مستوى تكليفه أعلى من مستوى تكليف أمته، وذلك لمكان علمه بالله .. وهو، لما كان مجاله مجال الشريعة الفردية، قد كان أدخل في منطقة التخيير، منه في منطقة التسيير .. نخرج من هذا التقرير إلى أن التسيير إنما هو بالقانون، والقاعدة فيه أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، .. كما تدين تدان .. والحكمة وراءه أن يسلمك إلى التخيير، حين تحسن التصرف في حريتك الفردية .. وكلما زاد إحسانك في التصرف، كلما زادت حريتك اتساعا، وعمقا .. والقاعدة في ذلك: (هل جزاء الإحسان، إلا الإحسان؟؟) ..

القدر وسر القدر

هناك القضاء، وهناك القدر .. وقد وردت الإشارة إليهما في قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) ..

(الأمر) الذي ورد في قوله: (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) يقع على مستويين: مستوى خارج الزمان، عند الذات .. ومستوى داخل الزمان، مما يلي الذات، حيث يدق الزمان .. وإلى هذا الأخير وردت الإشارة بالتشبيه: (كلمح بالبصر) .. وأما (القدر) الذي ورد في قوله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر)، فهو واقع في الزمان، على تفاوت درجاته .. فأما القضاء، الذي هو خارج الزمان، فيسمى سر القدر .. وما القدر إلا تنفيذ هذا السر في حيز الواقع، منجما، وعلى مكث .. والتنفيذ يجري في مضمار ما تحدثنا عنه آنفا من القانون العام، والقانون الخاص ..

هناك ما يسمى بالسابقة، وما يسمى باللاحقة، فإن لكل إنسان سابقتين، ولاحقة: سابقة في سر القدر، حيث لا حيث .. وسابقة في القضاء الذي تنزل إلى طرف الزمن، مما يلي الذات .. وقد أشرنا إليها آنفا .. وهذه منطقة مشتركة بين القضاء، والقدر .. هي أدخل في منطقة القدر، منها في منطقة القضاء، لأنها تتسم بالثنائية، في حين أن القضاء الذي هو سر القدر منطقة وحدة مطلقة .. فأما السابقة التي هي في سر القدر فهي خير محض، وهداية بلا غواية، وعلم بلا جهل، وحرية بلا قيد .. وهذه السابقة مكتوبة لكل إنسان من حيث أنه إنسان، يبلغها في المآل، مهما كان حظه في الدنيا من الهدى، أو الضلال .. وأما السابقة التي هي في القضاء، فهي إما خير،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإما شر – إما هدى، وإما ضلال .. فمن كتب له فيها الهدى فلا يخرج من الدنيا إلا وقد أهتدى .. ومن كتب عليه فيها الضلال فلا يخرج من الدنيا إلا وقد ضل .. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل، فلن تجد له وليا مرشدا) ..

والسابقتان مغطيتان، إلا على الذين أوتوا العلم .. وأما اللاحقة فهي قد كشفت بالشريعة .. وبكشف اللاحقة بالشريعة انقطعت حجة المحتج بالسابقة، بمعنى أن الذي يتورط في شرب الخمر، مثلا، لا يقبل منه أن يعتذر بأن إرادة الله هي التي ساقته إلى الشرب، ويؤخذ بالشريعة، وقد لزمته الحجة، ذلك بأنه يعلم شريعة الله في تحريم الخمر، ولا يعلم ما سبق له في قضاء الله من هدى، أو ضلال .. وعن القضاء: (سر القدر الذي هو خارج الزمان)، وعن القضاء المتنزل إلى طرف الزمان، وعن القدر، وردت الإشارة في قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء، ويثبت .. وعنده أم الكتاب) .. قوله: (يمحو الله ما يشاء، ويثبت)، حكاية عن تقليب الصور، في منطقة القدر، تنفيذا لأمر القضاء .. (وعنده أم الكتاب)، يعني القضاء، في منزلتيه .. فإذا كان القدر هو تنفيذ سر القدر، فإنه، لا محالة، نافذ، حيث توجه، ولا راد له .. وبذلك يكون الإنسان مسيرا .. ومسيرا إلى الخير المطلق، في ذلك، – إلى الحرية المطلقة – ومن دقائق أسرار الألوهية أن يكون الإنسان مسيرا إلى الحرية، ثم إنه، في التسيير، يشعر أنه حر .. ولقد أشرنا إلى ذلك السر عندما ذكرنا أن التسيير إنما يجري عن طريق العقل .. يعني عن طريق قانون المعاوضة .. فإن العقل قد كفلت له حرية الخطأ، والصواب .. فهو يعمل بحرية ظاهرة، فإذا أخطأ عوقب، وإذا أصاب أثيب .. وهو، حين الخطأ، وحين العقاب، يتعلم من خطئه كيف يصيب .. وهو بين الخطأ، والصواب، إنما يمارس حريته في العمل: (إعملوا ما شئتم !! إنه بما تعملون بصير) .. وبتصحيح الخطأ في العمل تنمو الحرية، بزيادة العلم بكيفية العمل وبصحة وجوه العمل.

فتكون الحكمة وراء العقوبة، إذن، هي أن يزيد علمنا، فتتسع حريتنا .. فالعقوبة هي ثمن الحرية .. هل الإنسان مخير؟؟ أم هل هو مسير؟؟ هو مسير إلى التخيير .. هو مسير فيما يجهل، ليكون التسيير وسيلته إلى العلم، حيث، بفضل الله، ثم بفضل العلم، يصبح مخيرا ..

بإيجاز!! هو مسير إذا جهل ، مخير إذا علم .. وأي علم هذا الذي يجعل المسير مخيرا؟؟ هو العلم بأسرار الربوبية، في مستوى حق اليقين، حيث يتم التأدب، مع الربوبية، بالأدب الواجب لها على العبودية – حيث يتم السير خلف الربوبية، لا أمامها، فإنه بذلك يتم حسن التصرف في الحرية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفردية المطلقة – ومن كان حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة لا يقع منه ما يوجب مصادرة حريته، فإنه ما على المحسنين من سبيل ..

الخلاصة؟؟

إن الله قد سير الإنسان تسييرا تاما .. فأما في منطقة العناصر فقد سيره تسييرا مباشرا، وذلك بالقهر الإرادي الذي انصهرت تحت جبروته جميع الأشياء .. وأما في منطقة الحياة فهو قد سيره تسييرا شبه مباشر، وذلك عن طريق إرادة الحياة، فإن الحي قد فطر عل حب الحياة، ومن ثم، فهو يسعى للاحتفاظ بها، فيفر من كل ما يؤذيه، وإلى كل ما يلذه .. وقانونه، في هذه المرحلة البدائية من مراحل النشأة، السعي الدائب في تحصيل لذة البطن والفرج .. فلما قطع الإنسان هذه المرحلة، ودخل مرحلة البشرية (وهو قد فعل ذلك بعد زمن طويل، ممعن في الطول: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟؟))، فقد جرى تسيير الله إياه بصورة غير مباشرة، وذلك عن طريق إرادة الحرية .. فإنه، منذ دخوله هذه المرحلة، قد نما عقله، وبرزت ملكة التعلم فيه بصورة واضحة، وزاد على لذتي البطن والفرج، لذة ثالثة، هي لذة المعرفة .. وأصبح تسيير الله إياه، ههنا، بواسطة عقله .. أصبح الله معلمه، فهو يلقي في عقله، في لطف لطيف، وخفاء بالغ، ما يريد له أن يعلم، وما يريد له أن يعمل .. (اقرأ باسم ربك، الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ .. وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) .. وأصبح الإنسان، في هذه المرحلة، لا يشعر بتدخل إرادة الله في إرادته، وإنما هو يتحرك حركات إرادية، بإرادة يشعر بانبثاقها من عقله، فقام في وهمه أنه مريد .. وهو لما كان في منطقة الحركات الإرادية يتصرف بإرادة مستقلة، فهو يقوم، ويمشي، ويقف ويرفع يده، ويرفع رجله .. ولكنه، مع ذلك، يعجز عن أن يرفع رجليه مثلا، ويستقر في الهواء .. ويعجز عن أن يسيطر على ضربات قلبه، وحركات رئتيه، ورمش عينيه .. فقد قام في وهم بعض العقلاء أن الإنسان مسير، ومخير .. هو مسير إلى أعماله غير الإرادية، مخير في أعماله الإرادية .. والتحقيق الدقيق يقرر أن الإنسان مسير في كلتا حالتيه .. وكل ما هناك من فرق إنما هو في المقدار، لا في النوع، يعني أنه مسير، في أعماله الإرادية، بواسطة عقله الواعي .. مسير، في أعماله غير الإرادية، بواسطة عقله الباطن .. والله من وراء كل أولئك محيط ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والله لا يسيرنا إلى الخطأ، وإنما هو يسيرنا إلى الصواب .. ولكنه جعل ممارستنا للخطأ وجها من وجوه الصواب، ذلك لأن الجهل إنما هو نسبي .. فليس هناك جهل مطلق، وليس هناك خطأ مطلق .. إن الله خير مطلق .. ليس للشر إلى ذاته سبيل .. وإنما الشر في إرادته .. وإرادته حكمته ..

والله، تبارك، وتعالى، يسيرنا إلى ذاته بإرادته، وذلك عن طريق إرادتنا .. وإرادتنا مخلوقة لنا .. وهو قد قال، تبارك، وتعالى، في ذلك، في حديث قدسي لداؤد: (يا داؤد!! إنك تريد، وأريد .. وإنما يكون ما أريد .. فإن سلمت لما أريد، كفيتك ما تريد .. وإن لم تسلم لما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد ..) ..

وإنما دخل الخير والشر في إرادته لحكمة تعليمنا .. فإن عقولنا لا تدرك الأشياء إلا بأضدادها .. وفي ذلك قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين .. لعلكم تذكرون) .. وقوله تعالى: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها، مما تنبت الأرض، ومن أنفسهم، ومما لا يعلمون) .. وقد أمرنا تعالى أن نستعمل إرادتنا في السير إليه .. وقد شرع لنا منهاج السير إليه .. وهو منهاج يقوم على العلم، والعمل بمقتضى العلم .. ويبدأ بالعلم بالشريعة، في الأمر، والنهي، ويوجب أن نسير أنفسنا في طريق أمره، وإن كرهت السير فيه .. قال المعصوم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)، وذلك أخذا من قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم، وأموال إقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله، ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره .. والله لا يهدي القوم الفاسقين) ..

فالنهج يقوم، من الوهلة الأولى، على أن نعلم ما عند الله، ونسير أنفسنا في طريقه .. والجهل حاضر، وإنما المجاهدة، كل المجاهدة، في سبيل التخلص منه .. وما السير إلى الله بقطع المسافات، وإنما هو بالتخلص من الرعونات، والجهالات، وبتسيير النفس في هذا الطريق، ليتم تقريب صفاتها من صفاته .. وذلك دائما بالعلم، والعمل بمقتضى العلم .. فليس العلم غاية في ذاته، وإنما العلم وسيلة الحياة .. والحياة الكاملة هي التي تعلم العلم الكامل، وتتخلق بمقتضاه .. وأكمل العلم ما يسوق إلى التخلق بالحرية، وإنما، من أجل الحرية، جعل الله، بحكمته، طريق تعلمنا يمر بمنطقة الاختيار فنحن نتعلم بين الخطأ والصواب .. وهو يعلمنا دائما .. حين نصيب، وحين نخطئ .. وقد جعل تعلمنا عن طريق الخطأ بالعقوبة التي نجدها مترتبة على الخطأ .. فنحن نتمتع بإرادة نشعر بحريتها، ولا نشعر بتوجيه الله إياها .. وقد أمرنا، في الشريعة بأن نسير بحريتنا هذه في اختيار

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما يختار هو لنا .. ولما كنا أحرارا، فيما نشعر، فقد قام التكليف على أننا نتحمل مسئولية خطأ تصرفنا، حين نخطئ، أثناء ما نحن ندبر أمر أنفسنا .. فإذا عجزنا عن هذا التدبير، وعظمت علينا مسئولية حرية التصرف، لجأنا إليه، في عجزا وضعف، به نستيقن، بعد الممارسة، أن إرادته حقيقية، وأن إرادتنا متوهمة .. فإذا وقع لنا ذلك أسلمنا له، وانقدنا، ورضينا .. وحين نفعل ذلك نسير خلفه، بتسليم إرادتنا لإرادته .. وفي تلك اللحظة يكون التسيير قد وصل بنا إلى التخيير .. ونكون قد خرجنا من منطقة الخير والشر، ودخلنا منطقة الخير المطلق، حيث لا مكان للشر .. وفي حديث داؤد: (فإن سلما لما أريد، كفيتك ما تريد) .. ثم قال (وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد) .. وفي هذا حكمة العذاب .. فإنه هو ثمن حرية التصرف .. فإن الحرية لا بد لها أن تتميز عن الفوضى، وقد تميزت بأن يتحمل الحر مسئولية عمله .. فإنه، عن طريق تحمل مسئولية العمل، يتم التعليم، وتتم التربية .. والعقوبة هي الأمر الوحيد الذي يرسخ العلم، ويجعله علم يقين، بعد أن كان مجرد علم نظري ..

إن العذاب هو ثمن الحرية .. هو مسئولية الحر، الذي يتصرف كرشيد، له ثواب صوابه، وعليه عقوبة خطئه .. وهو قد يتعلم من الخطأ أضعاف ما يتعلم من الصواب، حتى لقد قال ابن عطاء الله السكندري، في حكمه: (رب معصية أورثت ذلا، وانكسارا، خير من طاعة أورثت عزا، واستكبارا) ..

والذي ضلل الناس عن الحكمة وراء العذاب أمران: ظنهم أن الله لا يسيرنا، وظنهم أن العذاب لا ينتهي، وإنما هو دائم، ومستمر، بلا انقطاع .. فأصبح كأنه انتقام، وعن هذه، وتلك، تعالى الله، علوا كبيرا ..

إن العذاب إنما هو كلام الله إيانا بلغة النفس .. ذلك بأنه تعالى يكلمنا بلغة العقل، وبلغة النفس .. فأما كلامه إيانا بلغة العقل فإن اللغات مثل له واضح .. وأما كلامه إيانا بلغة النفس فإنه صور محسوسة، وشكول، والأحلام مثل له واضح .. ويدخل في هذا الباب الألم واللذة .. فإذا قال الله: (كلوا، واشربوا، ولا تسرفوا)، فإن هذا كلام منه واضح، موجه إلى العقول .. فإن نحن خالفناه، وأسرفنا في الأكل، فأصيبت معداتنا بالآلام فإن هذه الآلام هي الكلام الذي تفهمه النفس، لتطيع خطاب العقل في السلوك المقبل، إستفادة من التجربة الماضية..

فإذا قال: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا، واسجدوا، واعبدوا ربكم، وأفعلوا الخير .. لعلكم تفلحون ..)، فإنما هذا كلام منه واضح، وموجه إلى العقول، فإن هي لم تطع يجيء الكلام الموجه إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النفوس والذي تفهمه النفوس .. وهو محكي هكذا: (يوم يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم، ترهقهم ذلة .. وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) .. قوله: (يوم يكشف عن ساق) إشارة إلى يوم العذاب .. وقوله: (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون)، إشارة إلى فرط الآلام التي يجدونها، في مفاصلهم، وفي ظهورهم، مما يجعل السجود مستحيلا .. وقد أشار إلى سبب ذلك: مخالفتهم الأمر الشرعي، حين كانوا يطيقون طاعته: (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) .. وأبلغ صورة، من صور كلام الله إيانا بلغة النفس، محكي هكذا: (اصلوها، اليوم، بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على أفواههم، وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم، فما استطاعوا مضيا، ولا يرجعون * ومن نعمره، ننكسه في الخلق، أفلا يعقلون؟؟) .. إذا عصت النفس خطاب العقل بالأمر والنهي ظهرت عليها آثار المعصية صورا محسوسة، فكانت جزاءها على المعصية .. وهي ما نسميها العذاب .. ولقد قال تعالى عن الآثار المحسوسة لمعصية الأمر والنهي: (فلما عتوا عما نهوا عنه، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) .. فكانوها، بدون أدنى ريب .. فالعذاب، إذن، هو تكليم الله إيانا بلغة النفس .. وهو كلام ضروري لتعليمنا في مرحلة بعينها، فإذا ما قطعناها، وأصبحنا نتعلم بسرعة، وذكاء، رفع عنا أصر العذاب .. قال تعالى، في ذلك: (ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم، وآمنتم؟؟ وكان الله شاكرا عليما ..) .. فإن قلت: فلماذا لا يعلمنا بغير حاجة منا إلى العذاب، ما دام هو مسيرنا؟ قلنا: أنه لو علمنا بدون أن يعطينا فرصة الخطأ فإنه يكون قد هزم حريتنا .. والحرية أهم من العلم، إذ ما العلم إلا وسيلة، بها نحسن التصرف في الحرية .. والملائكة مسيرون إلى الصواب تسييرا لا يملكون معه أن يخطئوا: (لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون) .. ولكننا، نحن، مع كل ذلك، بل من أجل كل ذلك، أكمل منهم، لأننا نخطئ، ونصيب، ونشعر في خلال ذلك بالحرية التي حرمت عليهم هم .. وهذا هو معنى قول المعصوم: (إن لم تخطئوا، وتستغفروا، فسيأت الله بقوم يخطئون، ويستغفرون، فيغفر لهم) .. هذا هو أس كمالنا ..

فإن ظننت أنت: أن الله يسيرنا إلى الخطيئة، وإلى الجهل، فأنت مخطئ .. فإنه لا يسيرنا إلا إلى الصواب، وإلا إلى العلم .. قال تعالى في ذلك: (هو الذي يصلي عليكم، وملائكته، ليخرجكم من الظلمات إلى النور .. وكان بالمؤمنين رحيما)

هو يسيرنا إلى ذاته في إطلاقها .. ويقول عن نهاية سيرنا إليه: (وإن إلى ربك المنتهى) .. ومن ثم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهو يسيرنا إلى العلم المطلق، والكمال المطلق والحرية المطلقة .. ومن أجل هذه دخل الثواب، والعقاب – دخل العذاب – لأن الحرية لا تعلم، وإنما تمارس، وتعاش .. وأدنى الحرية هي حرية الخطأ .. وهي تعني: أن يعمل الإنسان، فيصيب، ويخطئ .. فإذا أخطأ تعلم من خطئه، وذلك إنما يتم بتحمل مسئولية عمله، وفق شريعة رشيدة .. ووفق حقيقة .. (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا، يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا، يره) ..

فإن قلت: فكيف يكون تسيير، وتكون حرية، مع ذلك؟؟ قلنا ههنا سر اللطف الإلهي .. سر إسم الله اللطيف: (إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم) ..

ومن دقائق اللطف الإلهي أنه حين يكلمنا الكلام المتوجه إلى نفوسنا (– كلام الصور المحسوسة، والشكول البارزة – العذاب –) يؤقلمنا أيضا بصورة تلطف العذاب، وتعدنا له من جميع الوجوه .. أقرأ قوله تعالى: (يوم ترى المؤمنين، والمؤمنات، يسعى نورهم، بين أيديهم، وبأيمانهم، بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها .. ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون، والمنافقات، للذين آمنوا: انظرونا نقتبس من نوركم .. قيل: ارجعوا وراءكم، فالتمسوا نورا .. فضرب بينهم بسور، له باب .. باطنه فيه الرحمة .. وظاهره من قبله العذاب) .. قوله: (قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا)، إشارة إلى تكليم الله النفس .. ولما كان التكليم، ههنا، بلغة الصور فإن فيه إشارة إلى ردهم في سلم الترقي إلى حيوات أحط من الحياة البشرية، وفي هذه المستويات تكون الأقلمة على العذاب قد تمت .. وفي مثل هذا يقول تعالى: (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا، مصدقا لما معكم، من قبل أن نطمس وجوها، فنردها على أدبارها .. أو نلعنهم، كما لعنا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولا) .. قوله: (من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) يعني: يردها راجعة في سلم التطور، إلى حيوات بدائية في صورها فتتأقلم على العذاب .. وعن أصحاب السبت قال تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت، فقلنا لهم: كونوا قردة خاسئين * فجعناها نكالا، لما بين يديها، وما خلفها، وموعظة للمتقين) .. قوله (كونوا قردة خاسئين) ردة في سلم التطور، ولعنة ، وبعد عن الله ..

أما بعد، فإن الحديث عن التخيير، والتسيير، حديث طويل، ولا يكاد ينقضي منه الوطر .. وهو أصل التوحيد .. ومهما يكن الرأي، في أمر العذاب، فإن من يقل أن للإنسان تخييرا فهو ناقص في توحيده .. إلا تخييرا يبلغه بالعلم الذي يجعله يسير خلف الله، في رضا بالله تام، واتباع للرضوان بغير اعتراض، ولا تسخط .. (فانقلبوا بنعمة من الله، وفضل، لم يمسسهم سوء .. واتبعوا رضوان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله، والله ذو فضل عظيم) .. ههنا يكون التخيير .. وهو تخيير نحن إليه، بمحض الفضل الإلهي، مسيرون ..

الفصل الثالث

قصة الخلق

إن قصة الخلق في القرآن، لهي أكمل، وأتم، مما هي في أي فكر نعرفه، حتى اليوم .. وقضية التطور، في القرآن، تذهب إلى بدايات، وتسير إلى نهايات، أبعد، في الطرفين، مما يدخل في ظن عالم من العلماء الذين تعرضوا لنظرية التطور، من دارون إلى آخر من كتبوا في هذا العلم ..

في القرآن الوجود لولبي، وهو، على كل حال، وجود ليست له بداية، ولن تكون له نهاية .. وكل الذي بدأ، وكل الذي ينتهي، هو مظهر الصور الغليظة ..

في القرآن، الوجود هو الله، تنزل من إطلاقه، فظهر في صور المادة المحسوسة، وهو إنما ظهر ليعرف .. ليعرفه من؟؟ ليعرفه الذي هو مثله – الإنسان – و(ليس كمثله شيء) ...

الخلق في القرآن، هو الإرادة الإلهية جمدت، وتجسدت .. فهو قد تنزل من الإطلاق، في معنى ما تنزلت الإرادة .. وهو إلى الإطلاق راجع .. لأن الإرادة، في التحليل الأخير، إنما هي الإطلاق .. قال تعالى: (ولله ما في السموات، وما في الأرض، وإلى الله ترجع الأمور) ..

والخلق، في القرآن، ليس كائنا، وإنما هو مستمر التكوين ..

في القرآن، الخلق في ثلاثة عوالم، عالم الملكوت من أعلى، وعالم الملك من أسفل، وعالم البرزخ قد توسط بينهما .. فعالم الملكوت، عالم لطائف – عالم مادة لا تتأثر بها حواسنا – عالم أرواح – ... وعالم الملك، عالم كثائف – عالم مادة، مجسدة، تتأثر بها حواسنا – وهو، من ثم، عالم أجساد .. وعالم البرزخ هو عالم المزج بين اللطائف والكثائف – عالم العقول التي ركبت على الأجساد لتصهر كثائفها بنار المجاهدة، فتحيلها إلى لطائف .. وهذا هو عالم الإنسان ..

والاختلاف بين العوالم كلها اختلاف مقدار .. فالوحدة هي السلك الذي ينتظم الأشياء، من الخلايا التي تكون الأجسام الحية، وإلى الذرات التي تكون المادة الصماء – فالاختلاف، إختلاف مقدار، لا اختلاف نوع .. بل إنه، في التوحيد، إختلاف النوع يمتنع .. هذا ما يراه القرآن، في حين أن ما يراه أصحاب نظرية التطور – دارون وأشياعه – هو أن أنواع الحيوانات إنحدرت كلها من أصل واحد، تباين، واختلف إلى فروع من الفصائل، والأنواع، نتيجة تباين الظروف والبيئات ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في القرآن، المخلوقات، كلها، أتباع دين واحد، ما يعقل منها – بأقيستنا نحن – وما لا يعقل .. قال تعالى، في ذلك: (أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا، وكرها، وإليه يرجعون؟؟) ولا يتوهمن متوهم أن (من) هنا إنما هي لخطاب العاقل .. يقول الله تعالى، في موضع آخر: (ثم استوى إلى السماء، وهي دخان، فقال لها، وللأرض: ائتيا طوعا، أو كرها، قالتا: أتينا طائعين) ..

والقرآن يتوجه بخطابه لغير العاقل (بأقيستنا نحن) كما يتوجه به للعاقل: (قلنا يا نار!! كوني بردا، وسلاما، على إبراهيم) .. وفي موضع آخر قال تعالى: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيضي الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودي .. وقيل بعدا للقوم الظالمين) .. ومن أدق ما في هذا الباب، قوله تعالى، عن أم موسى، وعن النيل، وعن فرعون: (ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت، فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل .. يأخذه عدو لي، وعدو له، وألقيت عليك محبة مني، ولتصنع على عيني) فقد صدر الأمر، وفي سياق واحد، إلى أم موسى، وإلى اليم، وإلى فرعون، ونفذ الأمر في الحالات الثلاث، بلا تخلف، ولا اختلاف .. وهذه، في القرآن، من دقائق الإشارات إلى الوحدة، التي شملت الخلق بأسره .. وعن العوالم الثلاثة التي ذكرناها آنفا ترد الإشارة هكذا: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات .. فلهم أجر غير ممنون) .. قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) .. إشارة إلى (عالم الملكوت) .. وقوله: (ثم رددناه أسفل سافلين) .. إشارة إلى (عالم الملك) .. وقوله: (إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، فلهم أجر غير ممنون) .. إشارة إلى (عالم البرزخ) .. فإنه أشار بالأجر (غير الممنون) إلى الوشيجة التي ربطته، وهو في أسفل سافلين، بنشأته الكاملة في علم الله، ثم في إرادة الله، وذلك ما تفيده كلمة (الملكوت)، التي عبرنا بها قبل حين .. وهذه الوشيجة قد استنقذته، من أسفل سافلين، إلى عالم البرزخ، حيث يحقق كماله المقدور له، في علم الله .. وهذا الكمال يتمثل في رفع الجسد الترابي، بفضل الله، ثم بفضل العقل، إلى جسد ملكوتي .. (إلى جسد روحاني) ..

بدء الخلق

لقد برز الخلق عن الوحدة .. فالسموات، والأرض، نشأت من سحابة واحدة .. قال تعالى في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذلك: (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض، كانتا رتقا، ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شيء حي؟؟ أفلا يؤمنون؟؟ * وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم، وجعلنا فيها فجاجا سبلا، لعلهم يهتدون * وجعلنا السماء سقفا محفوظا، وهم عن آياتها معرضون * وهو الذي خلق الليل، والنهار، والشمس، والقمر .. كل في فلك يسبحون) .. السموات، والأرض، كانت سحابة واحدة، مرتوقة فانفتقت وكانت هذه السحابة من بخار الماء .. قال تعالى في ذلك: (ثم استوى إلى السماء، وهي دخان، فقال لها، وللأرض: ائتيا، طوعا، أو كرها .. قالتا: أتينا طائعين) .. وهذه السحابة، قبل أن تكون بخار ماء، قد كانت من غاز الهايدروجين .. وذرة غاز الهايدروجين هي أول مظاهر تجسيد الإرادة الإلهية ..

وعلى هذا الاعتبار، فإن قولك، في صفحتي 60 و61: (فإذا جئنا إلى مبدأ الكون كله .. بنجومه وشموسه وكواكبه فنحن أمام إجماع من علماء الفلك بأن كل شيء نشأ من الهواء من سحب الغاز والتراب الأولية) فقول يحتاج إلى مراجعة ..

قولك من صفحتي 65 و66: (فهو مرة يذكر أن الحياة خلقت من الماء ومرة يذكر أنها خلقت من تراب ثم يعود فيخصص ويقول من الطين أو على وجه الدقة الماء المنتن المختمر بالتراب وهو اتفاق غريب ودقيق مع اكتشافات العلم بعد 1400 سنة) .. فإنه قول يفوت الحكمة من وراء تنويع العبارة، في الآيات: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، و: (والله خلق كل دابة من ماء)، و: (أكفرت بالذي خلقك من تراب؟؟)، و: (وإذ قال ربك للملائكة: إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) .. فإن المقصود من تنويع العبارة إنما هو الإشارة إلى الوحدة التي تنتظم المظاهر المختلفة فإن الماء، والتراب، والصلصال من الحمأ المسنون، كلها، أصلها بخار الماء .. وهي، وإن بدت لنا مختلفة اختلاف نوع، فهي، في الحقيقة، لا تختلف إلا اختلاف مقدار ..

قولك من صفحة 66: (وفي هذه الآية يحدد أن خلق الإنسان تم على مراحل زمنية: (خلقناكم، ثم صورناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) والزمن بالمعنى الإلهي، طويل جدا (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)) فقول غير دقيق .. فإن خلق الإنسان، وتصويره، وإسجاد الملائكة له، لم يتم، وإنما هو مستمر، ولن ينفك، إنه سرمدي .. (خلقناكم) تعني أحطنا بكم علما، وهذه مستمرة، ولن تنفك .. (صورناكم)، تعني قلبناكم في الصور المتتالية في سلم التطور، وهذه مستمرة، ولن تنفك .. (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)، إشارة إلى صورة التطور في الذبذبة بين الخير، والشر – بين الخطأ، والصواب – وهذه مستمرة، ولن تنفك .. وليس صحيحا (أن الزمن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالمعنى الإلهي طويل جدا)، على إطلاق العبارة .. فإنه أيضا قصير جدا، لأنه قد جاء من (اللازمن)، ويخرج إلى (اللازمن) .. فهو في طرفي المجيء، والذهاب، موصوف بالقصر، وبالطول .. فإنه في قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن)، قصير قصرا يكاد يخرجه عن الزمن .. فالزمن، على كل حال، قيمة نسبية، وهو يختلف باختلاف الأمكنة.

قولك، من صفحة 67: ((وقد خلقكم أطوارا) .. ومعناها: أنه كانت هناك، قبل آدم، صور، وصنوف من الخلائق، جاء هو، ذروة لها ..

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟؟) إشارة إلى مرحلة بائدة من الدهر لم يكن الإنسان يساوي فيها شيئا يذكر) .. فإني ما أحب لك فيه، عبارة: (معناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها) فإن الدقة تقضي بأن تقول: أن آدم، نفسه، هو هذه الصور، متطورا في الأزمنة، فقد مر وقت كان فيه آدم ذرة (غاز هايدروجين)، ثم تقلب في الصور، ولا يزال، ولن ينفك .. وليس صحيحا قولك من هذه الصفحة نفسها: (حتى بلغت ذروتها في آدم) .. ذلك بأن آدم، هو في مرحلة نحو الإنسان – آدم مشروع إنسان – وهو مشروع ذروته الله .. أقرأ، إن شئت (وإن إلى ربك المنتهى) ولا منتهى!!

وأما قولك في صفحة 70 ((لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في مكابدة مستمرة وصراع وعناء. ولهذا أسجد الله له الملائكة وسخرهم لخدمته ومعونته لأنه علم سريرة ذلك المخلوق الذي له جسم الطين وروح الله. واستحقاقه للرعاية في كل أطواره)، فهو قول شديد الدلالة على ضعف تصورك لمصير الإنسان .. ذلك بأنه يخرج من الحاجة إلى الإستغناء .. وسينتهي وجود الملائكة، ولا ينتهي وجود الإنسان .. والطور الذي تراه فيه في حاجة للرعاية، إنما هو طور مرحلي فليس صحيحا، إذن، أن الله سخر لخدمته الملائكة، لأنه مستحق (للرعاية في كل أطواره)، كما قررت أنت ..

قولك من صفحة 71 ((والجان خلقناه من قبل من نار السموم) ونار السموم هي النار الصافية بلا دخان أو من الطاقة الخاصة ذاتها)، قول غير صحيح .. فالنار الصافية، وأنت تعبر عنها بـ(الطاقة الخالصة ذاتها)، لم يخلق منها إبليس، وإنما خلق من النار، المخلوطة بسواد الدخان .. وعبارة القرآن تقول: (من نار السموم) فمن أين جئت أنت بـ(النار الصافية بلا دخان .. والطاقة الخالصة ذاتها)؟؟ إن الملائكة هم الذين خلقوا من الطاقة الخالصة .. وهذا هو السر في أنهم لم يعصوا الله ما أمرهم، وإنما جاءت المعصية لإبليس لأنه لم يخلق من الصافي، وإنما خلق من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المخلوط – من نار السموم .. وأنا أعرف أن بعض المفسرين قد ذكر مسألة صفاء النار من الدخان وهو خطأ قد انسقت إليه أنت، أيضا، فالذين يخلقون من الصافي، لا يعصون .. وأما قولك، في صفحة 72 ((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين) .. (وأسفل سافلين) هي هاوية التيه المادي .. إلى طين المستنقعات .. هذه المرة إلى مجرد جرثومة، في طين الأرض. إلى نقطة بدء أولى .. من الصفر. وكان على آدم أن يخرج من هذا التيه المادي في إنبثاق متدرج عبر خمسة آلاف مليون سنة كما تقول لنا علوم البيولوجيا وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى والأميبيا صعدا إلى الإسفنج والرخويات والقشريات .. إلخ .. إلخ .. في رحلة قاسية وعبر صراعات دامية مع بيئات متعددة تكافح فيها الحياة الوليدة بالمخلب والناب)) فهو قول غير دقيق، أيضا .. أولا، فإن مسألة خمسة الآلاف مليون سنة، لا تعطيها علوم البيولوجيا، وإنما تعطيها علوم الفلك .. وهي تقدير، على كل حال، للزمن الذي يفصل بيننا، وبين بدء انفصال الأرض عن الشمس، حيث كانت معها (هي وأخواتها، الكواكب السيارة الأخرى) في سحابة واحدة، هي من بخار الماء .. ولقد كانت، من قبل، من غاز الهايدروجين .. وثانيا، فإن نقطة (طين المستنقعات)، ليست نقطة (الصفر)، وإنما هي حلقة متقدمة جدا في سلسلة التطور .. إن أسفل سافلين إنما هي (ذرة غاز الهايدروجين) .. هذا ليس ما يعطيه العلم المادي فقط، وإنما هو ما يعطيه العلم الروحي، أيضا .. هناك أمر ورد في هذه الصفحة بخصوص الأمانة، وقد وردت، من قبل، في فصل (مخير، أم مسير)، وقلت عنها، هناك في صفحة 34: ((إنا عرضنا الأمانة على السموات، والأرض، والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان .. إنه كان ظلوما، جهولا) ..

لقد جهل الإنسان تبعة هذه الأمانة، وأهوالها، ومهالك الغرور التي سيتعرض لها بحملها .. وكيف أنه سيظلم بها نفسه، وغيره .. ولكن الله كان يعلم بهذه المحنة الهائلة .. وكان يعلم أن هذه المحنة سوف تزكي الإنسان، وتطهره وتربيه: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء؟؟ ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك؟؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون) .. ولا نعرف كيف تم هذا العرض على الإنسان بأن يكون حرا أو لا يكون؟؟ ولا متى تم هذا العرض .. هل حدث في مبدأ الخلق مع آدم؟؟ أم مع الأرواح قبل نزولها إلى الأرحام؟؟ فهذا غيب مطلق.) وقلت في صفحة 72: ((إنا عرضنا الأمانة على السموات، والأرض، والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان .. إنه كان ظلوما جهولا)، والإنسان لم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يدرك مخاطر هذه الأمانة لجهله فظلم نفسه بحملها، ولأن الله كان يعلم مخاطر حمل هذه الأمانة .. وكان يعلم أنها سوف تلقي الإنسان في مهالك الغرور .. فإنه لطفا منه ورحمة .. أمره بالطاعة، وبالإسلام لكلمة الله بألا يأكل من الشجرة لتدوم له الجنة (جنة الطاعة والإسلام للناموس الإلهي) ..

ولكن الإنسان اختار أن يكون حرا مسئولا وأن يخرج على الأمر الإلهي (بإغراء إبليس) فيأكل من الشجرة .. وهكذا وقع عليه التكليف وأصبح محاسبا منذ تلك اللحظة .. وحق عليه العقاب .. وكان العقاب هو الطرد والإهباط من تلك الجنة إلى الأرض والنزول إلى التيه المادي) .. هذا وذاك هما ما قلته أنت في صفحتي 72 و34. ويهمني هنا بشكل خاص قولك، من صفحة 34: (ولا نعرف كيف تم هذا العرض على الإنسان بأن يكون حرا أو لا يكون، ولا متى تم هذا العرض؟؟ هل حدث في مبدأ الخلق مع آدم؟؟ أم مع الأرواح قبل نزولها إلى الأرحام؟؟ فهذا غيب مطلق) فإنما هو قول يشمل إعترافا صريحا، ومقبولا، بالجهل بأمر الأمانة .. وفي الحق أن مجرد هذا الإعتراف يحرمك الحق في الخوض في مسألة دقيقة، غاية الدقة، كأمر الجبر والإختيار في الإسلام .. وإني أرشح لك مقدمة الطبعة الرابعة من كتابي (رسالة الصلاة)، فإن فيها معالجة موجزة لهذا الأمر، منها يتضح أن الإنسان لم يكن مخيرا في حمل الأمانة، أو تركها، وإنما كانت مفروضة عليه فرضا لا يملك عليه امتناعا .. ثم، من الذي قال أن هذا الأمر – أمر عرض الأمانة – (غيب مطلق)؟؟ إن عبارتك هذه لشديدة الدلالة على ضعفك في التوحيد فإن الغيب المطلق هو ذات الله، وحدها .. قال تعالى، في ذلك: (قل لا يعلم من في السموات، والأرض، الغيب إلا الله .. وما يشعرون أيان يبعثون؟ * بل إدارك علمهم في الآخرة، بل هم في شك منها .. بل هم منها عمون) .. هذا هو الغيب المطلق .. وهو لا يعلمه الملأ الأعلى، ولا الملأ الأسفل .. (من في السموات والأرض) .. لا يعلمه إلا الله .. وهذه القاعدة التوحيدية التي تقول: (لا يعرف الله إلا الله) .. أما أمر الأمانة وتساؤلاتك عنها، فهي مما يدخل في علم، الراسخين في العلم .. وأنت، على كل حال، مدعو، ومرجو، أن تجد الإجابة على تساؤلاتك هذه في أمر الأمانة .. وليس لك إلى ذلك من سبيل غير تجويد التوحيد، وذلك عن طريق ممارسة العبادة في إتقان تقليد المعصوم .. ويومها سينكشف لك، أن شاء الله، أن الإنسان مسير، وأن آدم، حين عصى، (وعصي آدم ربه فغوى) فإنه لم يعص الأمر التكويني، وإنما عصى الأمر التشريعي .. والأمر التكويني محيط بالأمر التشريعي، وفي الأمر التكويني لا تدخل المعصية، وإنما هي الطاعة .. فمن عصى فإنه فيه فقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أطاع، في معنى ما قد عصى .. هذا وإنك لشديد الإصرار على أمر التخيير .. ويجئ في صفحة76 قولك: (يفطن الإنسان إلى أنه لا يملك إلا ضميره (قدس الأقداس الذي تركه الله حرا بالفعل) فيسلمه خالصا لله ويتجه به مختارا طائعا .. وقد وكل أمر نفسه إلى خالقه وخضع لنواميسه .. يفعل هذا وقد أدرك أن مشيئة الله واقعة أن طوعا وأن كرها .. وأن الله هو الخالق المهيمن على جميع الأسباب وأنه هو الوحيد الذي يملك الهداية والعلم والقدرة) وتواصل إلى أن تقول:- (وعلى آدم الأرضي هذا أن يكافح ليحقق لنفسه التكامل الأول وأن يعود إلى أحسن تقويم (ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)) ..

فأما أنا، فما أرى لك سبيلا إلى القول بالتخيير وأنت تورد في نصك الأول: (يفعل هذا وقد أدرك أن مشيئة الله واقعة، إن طوعا، وإن كرها .. وأن الله، هو الخالق المهيمن، على جميع الأسباب .. وأنه هو الوحيد، الذي يملك الهداية، والعلم، والقدرة) .. وتورد في النص الثاني الآية: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا، فملاقيه) تأمل هذه الآية، فإنها تقول: إن ملاقاة الله واقعة، أردت، أيها الإنسان، أم لم ترد!! فإنه ما من الله بد .. أم لم يقل: (إليه مرجعكم جميعا، وعد الله، حقا .. إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) ..

وفي صفحة 77 جاء قولك: ((وإذ أخذ ربك، من بني آدم، من ظهورهم، ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم .. ألست بربكم؟؟ قالوا: بلى!! شهدنا!! أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين .. أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟ وكذلك نفصل الآيات، ولعلهم يرجعون) .. إن الله يفصل لنا في هذه الآيات واقعة غريبة .. يفهم منها أننا كنا في حضرة الله، قبل النزول إلى الأرحام (في عالم المثال والملكوت) ربما كأرواح .. لا أحد يدري .. وأن الله أشهدنا على ربوبيته، وأخذ منا ميثاقا بهذا الشهود، حتى لا نعود فنكفر، ونبرر كفرنا، بأننا ضحية الآباء) أنت، في هذا، تعترف بأنك لا تدري ما يفصله الله في هذه الآيات الكريمات، وهو إعتراف محمود، على كل حال، ولكنه اعتراف يسلبك الحق في أن تخوض، بمثل هذه الجرأة، في أدق أسرار الدين .. وأنت، حين تعترف بأنك لا تدري، يطيب لك أن تؤكد، لنفسك أن أحدا لا يدري – ما تجهله أنت مبرر عندك بأن الآخرين يجهلونه أيضا .. تقول (يفهم منها أننا كنا في حضرة الله قبل النزول إلى الأرحام .. (في عالم المثال والملكوت) ربما كأرواح لا أحد يدري) ..

ولكننا نقول لك: إن هذا الذي جهلته يقع في العلم القريب من علوم الذين أوتو العلم ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

و(حضرة الله)، التي وردت في عبارتك، هي، إما حضرة إطلاق – حضرة ذات – ، وإما حضرة قيد – حضرة أسماء، وصفات، وأفعال .. وقد كنا، نحن، في جميع هذه الحضرات .. كنا في حضرة الإطلاق، ثم تنزلنا إلى حضرة القيد – حضرة العلم، فحضرة الإرادة، فحضرة القدرة .. فأما حضرة الذات فهي حضرة لاهوت، وأما حضرة العلم، وحضرة الإرادة، فهي حضرة ملكوت، وأما حضرة القدرة، فهي حضرة ملك .. وحضرة الملكوت حضرة أجساد لطيفة، تتفاوت في اللطافة، بين حضر العلم، وحضرة الإرادة .. وأما حضرة القدرة فهي حضرة أجساد كثيفة، تتفاوت في الكثافة، بين قمة وقاعدة .. ولقد أشهدنا: تبارك، وتعالى، على عبوديتنا، وعلى ربوبيته، في جميع حضرات اللطافة – في حضرة الذات، وفي حضرة العلم، وفي حضرة الإرادة – وقد شهدنا الشهادة .. ولكننا، عندما تنزلنا إلى عالم الكثافة، وبعد خروجنا من الأرحام كسفت كثافة الأجساد لطافة الأرواح، وأنسينا ما كان منا من شهادة، ومن إقرار على أنفسنا بالعبودية، فتكفل الله بتذكيرنا بشهادتنا .. وهو، من أجل هذا التذكير، خلق الأزواج .. وقال، تبارك من قائل: (ومن كل شيء خلقنا زوجين .. لعلكم تذكرون) ثم إنه، من أجل هذا التذكير أيضا، أرسل جميع رسله بشهادة: (لاإله إلا الله) .. وأنزل القرآن على نبينا .. ويسره لتذكيرنا بتلك الشهادة، فقال، تبارك من قائل: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟؟) ..

ويؤخذ من هذا، أيضا، أننا نحن لا نتعلم شيئا جديدا على الإطلاق .. ولكننا، حين نتعلم، إنما نتذكر علما، قديما، أزليا، نسيناه .. قال تعالى، في ذلك: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون) .. قوله: (إذا مسهم طائف من الشيطان)، يعني: إذا جهلوا .. قوله: (تذكروا)، يعني: ذكروا اسم الله .. (فإذا هم مبصرون)، يعني: إنقشعت عنهم الجهالة .. فإنه، تعالى، قد وصى نبيه في الآية السابقة التي أوردناها آنفا، فقال (وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله .. إنه سميع عليم ..) قوله: (فاستعذ بالله)، يعني: لذ بالله ..

وأحب أن ألفت نظرك، بصورة خاصة، إلى أننا في تجسيدنا، في الأرحام، لم ننس شهادة العبودية للربوبية، لأننا، إنما كنا مسيرين، ولا توهم لنا في تخيير .. ولكننا إنما نسيناها بعد أن برزنا من الأرحام إلى حيز الوجود الخارجي، حيث أصبحنا نمارس حركات إرادية، مدت لنا في توهمنا أننا مريدون، ونستقل بإرادة .. وهذه الإرادة هي عنوان نسيان الشهادة .. قال تعالى عن الإرادة، في حديثه لداؤد، وقد سبق أن أوردناه آنفا وهو: (ياداؤد!! إنك تريد، وأريد، وإنما يكون ما أريد .. فإن سلمت لما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أريد) .. هذه صورة من تسليم الإرادة المتوهمة، إلى المريد الأصيل .. وهذه الإرادة هي الأمانة .. والله تعالى يقول: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. أن الله نعما يعظكم به، إن الله كان سميعا بصيرا) .. و(العدل) هو إعطاء كل ذي حق حقه .. وعن عدم توهم الإرادة، ونحن في الأرحام، جاء قول ابن عربي:

دخلوا فقراء على الدنيا * * * وكما دخلوا، منها خرجوا

يعني: فقراء من الإرادة .. وإلى خلوة الرحم التي كان فيها الجنين يرمي الصوفية بدخولهم الخلاوي، فهم يريدون من خلواتهم أن يتمرسوا على ترك الإرادة للمريد، على نحو ما كان الجنين في الرحم .. ذلك مثلهم الأعلى، على شرط واحد، هو أن يكونوا، في تركهم للإرادة، مدركين لذلك الترك، موقنين به ..

آدم وحواء

وفي صفحة 80 عن الشجرة أنت ترى: (أنها رمز للجنس، والموت، اللذين تلازما في قصة البيولوجيا .. حينما أخذت الكائنات الحية، بطريق التلاقح الجنسي، تتكاثر، فكتبت على نفسها، طارئ الموت .. ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت، بل تتجدد، وتعود إلى الشباب بالإنقسام الذاتي: كان التلاقح الجنسي، هو الشجرة المحرمة، التي أكلت منها الحياة، فهوت من الخلود إلى العدم .. وبالمثل كان زواج آدم وحواء، هو زواج إثنين، من الخالدين في الجنة .. وفي مثل هذا الزواج لم تكن توجد وظيفة للنكاح، والتلاقح الجنسي .. فالخلود حقيقة قائمة، ولا حاجة للنسل، لاستمرار الحياة .. وكان الشيطان يعلم أن شجرة النسل هي إيذان ببدء الموت، والطرد من جنة الخالدين .. فكذب على آدم، وسول له أنها شجرة الخلود بعينها .. وأغراه بأن يخالط زوجه بالجسد) ..

أنت تقول هذا بعد أن تعرضت، في صفحة 79، لرفض رأي الذين يقولون: أنها شجرة المعرفة .. حيث تقول: (يقول بعض المفسرين أنها شجرة المعرفة وأنها رمز .. وهو تفسير غير مقبول .. فالله لم ينه الإنسان عن طلب المعرفة بل هو على العكس كان يحضه على طلب العلم .. (وقل ربي زدني علما) ..

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق))

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ونحن نرى معك أن الشجرة هي العلاقة الجنسية، ولكننا لا نرى رفض القول بأن الشجرة هي المعرفة، ذلك بأن الله لم ينه عن العلاقة الجنسية، وإنما نهى أن تكون تلك العلاقة بغير شريعة .. إن آدم هو زوج حواء في الحقيقة، لأنها انبثاق نفسه السفلى، عنه خارجه .. ولكن الله أراد له أن تكون زوجه في الشريعة .. والتكليف الذي وردت إليه الإشارة في الآية التالية، حين قال، تعالى: (ولا تقربا هذه الشجرة)، إنما هو بدء الشريعة .. قال تعالى: (ويا آدم اسكن، أنت وزوجك، الجنة، فكلا من حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري من سوآتهما .. وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور .. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. وناداهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟؟ وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين؟؟ * قالا: ربنا!! ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا، وترحمنا، لنكونن من الخاسرين * قال: اهبطوا!! بعضكم لبعض عدو .. ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تخرجون) .. فكأن القول بأن الشجرة هي شجرة المعرفة يستقيم مع القول بأن الشجرة هي اللذة الجنسية .. فاللذة الجنسية غير محرمة داخل الشريعة، وإنما هي محرمة خارجها – هي غير محرمة إذا أخذت بحقها – وحقها يقتضي معرفة الحرام، والحلال .. والذي يسمع قولك: (ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت بل تتجدد وتعود إلى الشباب بالإنقسام الذاتي) .. الذي يسمع هذا القول يشعر بأن مرحلة التجدد بالإنقسام الذاتي، أكمل من مرحلة الموت، وهذا خطأ جسيم .. وقولك: (كان زواج آدم وحواء هو زواج إثنين من الخالدين في الجنة .. وفي مثل هذا الزواج لم تكن توجد وظيفة للنكاح والتلاقح الجنسي فالخلود حقيقة قائمة ولا حاجة للنسل لاستمرار الحياة)، يدل على جهل بحقيقة وظيفة النكاح، إذ يجعل النسل هو همها الأول، والحق أن اتساع حياة كل من الزوجة والزوج، بممارسة اللذة التي بها يتسامى الحب، هو الوظيفة الأساسية للزواج .. فإنه، إن يكن كما زعمت، يكن الفرد وسيلة للجماعة .. وهذا أمر يضع العربة أمام الحصان .. ذلك بأن الفرد هو غاية الحياة .. وما الجماعة إلا وسيلتها إلى إنجاب الفرد، الحر، الكامل .. إن صورة الأمر كله هكذا: خلق الله خلقا هم عقول بلا شهوة، وهؤلاء هم الملائكة .. وخلق خلقا هم شهوة بلا عقول، وهؤلاء هم الأبالسة .. وخلق خلقا هم شهوة ركبت عليها العقول لتسوسها بشريعة الحرام، والحلال، وهؤلاء هم البشر .. وحين نقول: أن الشجرة هي اللذة الجنسية، أو نقول: أن الشجرة هي معرفة الحلال،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحرام، إنما نحن نتحدث عن شئ واحد، يختلف اختلاف مقدار .. فالمعرفة وسيلة الممارسة الصحيحة، وأنما ذكرنا العلاقة الجنسية في هذا الباب، لأنها أعمق اللذات، وأقربها من لذة الحياة نفسها .. وإلا فإن الشجرة تعني، في التنزلات، أي رغبة نفس، في قضاء لبانة من لباناتها .. وكل لبانة لا تقضى باسم الله، وفي سبيل الله، فهي حرام .. قال تعالى، في أمر الحلال، والحرام: (فكلوا مما رزقكم الله حلالا، طيبا .. واشكروا نعمة الله، إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به .. فمن اضطر، غير باغ، ولا عاد، فإن الله غفور رحيم * ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال .. وهذا حرام .. لتفتروا على الله الكذب .. أن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) فالحرمة إنما هي حكم شرعي، وليس شئ هو حراما في عينه .. وعند العارفين، الحرام من الكسب ما أخذ من غير يد الله، مهما كان حله في الشريعة .. إذا أخذت، ولم تر يد الله، وأنما حجبت عنها بيد الواسطة، فقد أخذت حراما .. هذا هو ما دلت علية الآية الأولى: (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا .. واشكروا نعمة الله، إن كنتم إياه تعبدون) .. فالحكمة من شريعة الحرام والحلال هي رؤية يد الله في كل شئ .. ومعنى هذا: أن كل عمل، نعمله أو ندعه، لا يكون اعتبار مرضاة الله فيه هو دافعنا للعمل، أو للترك، فهو عمل باطل .. قولك: (وكان الشيطان يعلم أن شجرة النسل هي إيذان ببدء الموت والطرد من جنة الخالدين فكذب على آدم وسول له أنها شجرة الخلود بعينها وأغراه بأن يخالط زوجه بالجسد) قول يعطي الشيطان فضيلة ليست له .. إن الشيطان لم يكن يعلم، وإنما كان يجهل .. ولولا أنه كان يجهل لما عصى الله .. هذا لا ينفي عن الشيطان مطلق العلم، وإنما ينفي عنه العلم النافع .. فقد كان يعلم بظواهر الأشياء فقط، ولذلك يقول الصوفية: إن علم الظاهر وحده علم شيطنة، وهو لا يورث التقوى .. وكذلك كان إبليس .. كان عالما بغير تقوى .. و التفاصيل التي وردت في الفقرة التي اقتبسناها لك آنفا لا يعرفها الشيطان .. وهو، إنما أضل آدم، لجهله هو لا لعلمه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (فدلاهما بغرور) يعني: خفض درجتهما، بنصيحته الجاهلة ..

هذا ما تيسر، في أمر باب قصة الخلق .. وهو باب يثير مسائل في غاية الأهمية .. ولكننا نكتفي بهذا القدر، ونرجئ الحديث عن أسرار العدد إلى أن يأذن الله في فرصة أخرى .. ربما في كتاب (القرآن بين التفسير، والتأويل) ..

الفصل الرابع

الجنة والجحيم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وصف الجنة والجحيم وارد في القرآن، ورودا مستفيضا، وفي القرآن، حرفية الوصف مقصودة، وباطنه مقصود .. والأمثال في القرآن ليست كالأمثال في حديثنا نحن، ذلك بأنها علم .. فهي تتوخى التفهيم، ولكنها لا تفارق الحق .. فإذا قال الله تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر، لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى)، فليس معنى هذا أن ظاهر الألفاظ غير مقصود، إلا لتقريب المعنى، وإنما هو مقصود بالذات .. ففي الجنة، حسيا، ما وعد الله، في القرآن، أنه فيها .. ثم تتفاوت صور الحس في اللطافة، حسب درجات الجنات .. وأدناها يفوق تخيل المتخيل: (أنزل من السماء ماء، فسالت أودية بقدرها، فاحتمل السيل زبدا، رابيا .. ومما يوقدون عليه في النار، ابتغاء حلية، أو متاع، زبد مثله. كذلك يضرب الله الحق، والباطل .. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. كذلك يضرب الله الأمثال) .. ههنا: (أنزل من السماء ماء)، يعني الماء المعروف .. (فسالت أودية بقدرها)، يعني الوديان المعروفة .. (فاحتمل السيل زبدا رابيا)، يعني، أيضا، الزبد الذي يثيره الماء الغزير في جريانه السريع، ويحمله على السطح .. ثم قال: (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية، أو متاع، زبد مثله) وههنا جاء بالعلم .. فإنه قرر أن: الذهب، والفضة والحديد، والنحاس – جواهر الحلي، ومعادن الأمتعة – كلها من أصل واحد، هو الماء .. وشبهها بالزبد، لأنها زيف زائل .. وما يبقى هو المعرفة التي تحصل عليها النفوس، وهي ترتفق إرتفاقا مرحليا، بالحلي، وبالأمتعة .. والماء أصل، وهو حق، والزبد باطل، ولذلك قال (كذلك يضرب الله الحق والباطل) ثم مضى ليقول: (فأما الزبد، فيذهب جفاء .. وأما ما ينفع الناس، فيمكث في الأرض) .. يعني: أما الباطل، فهو زاهق، وأما الحق فهو باق .. ثم جاء بقوله، عن كل هذه التشبيهات، (كذلك يضرب الله الأمثال) .. هذا في الجانب الحسي .. وفي الجانب المعنوي: (أنزل من السماء ماء)، يعني: من العقول، والماء المعرفة من القرآن .. (فسالت أودية بقدرها)، يعني: القلوب .. (فاحتمل السيل زبدا رابيا) يعني ذهبت أنوار القرآن عن القلوب بغواشي الغفلة، التي نسجت خيوطها شهوات البطن، والفرج .. (ومما يوقدون عليه في النار، ابتغاء حلية، أو متاع، زبد مثله) .. (في النار)، يعني نار الجبلة .. والحلية، والمتاع، شهوات الجبلة من حب الإستعلاء والرئاسة، (زبد مثله)، هي أيضا غواشي غفلة، كشهوات البطن، والفرج .. (كذلك يضرب الله الحق، والباطل) .. (الحق) المعرفة، (والباطل)، زيف الشهوات .. (فأما الزبد، فيذهب جفاء، وأما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما ينفع الناس، فيمكث في الأرض)، أرض القلوب.

هذا وجه موجز، من جملة وجوه، تتفاوت في اللطف في دقائق معاني القرآن حيث المثل ينطبق على الحس، وعلى المعنى، في آن معا .. ولأن الأمثال في القرآن علم قال تعالى عنها: (فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم، وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلا: عبدا مملوكا، لا يقدر على شئ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا، فهو ينفق منه سرا، وجهرا .. هل يستوون؟؟ الحمد لله!! بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا: رجلين: أحدهما أبكم، لا يقدر على شئ، وهو كل على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير .. هل يستوي هو، ومن يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم؟؟) .. ومن أجل أنها علم أيضا، قال عنها: (نحن أعلم بما يستمعون به، إذ يستمعون إليك، وإذ هم نجوى .. إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * أنظر!! كيف ضربوا لك الأمثال، فضلوا، فلا يستطيعون سبيلا؟؟) ..

ومن ههنا، فإن قولك من صفحة 85، عن قوله تعالى: (مثل الجنة وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) قولك عنها، بأنها ضرب مثل (وليست إيرادا لأوصاف حرفية. فهذا أمر مستحيل لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا لا يمكن تصويرها في كلمات من قاموسنا)، قول غير صحيح .. والجنة والجحيم، على كل حال، ليست أمورا غيبية تماما، فإنا نعيش طرفا منها، في هذه الحياة .. فإن غيبا، لا يكون حاضرا طرف منه، اليوم، لا وجود له .. وكل ما هناك، أن الاختلاف بين ما نعيشه اليوم، من صور الجنة والجحيم، وبين ما يكون عليه الأمر غدا، إنما هو اختلاف مقدار .. ومن ثم، فإن الجنة، والجحيم، في طرفها الذي يناسب الدنيا، يمكن تصويرها (في كلمات من قاموسنا) .. وأما قولك من نفس الصفحة: (وبالمثل كان موقف القرآن في مخاطبة البدوي البسيط. وكل أمنية البدوي الذي يعيش في هجير الصحراء أن يعثر على نبع ماء عذب .. فكل ما يجد من مياه ما هو إلا ينابيع مالحة آسنة .. وكذلك اللبن .. فما أسرع مايختمر ويتغير طعمه في حر الصحارى .. فيضرب له القرآن المثل من أعز ما يتمنى). فإنه قول من الكبائر .. ذلك بأن القرآن، إذا كان كما تصف فما هو إلا كتاب محلي .. وكأنك تراه، لو نزل على غير قوم الصحراء، لما نزل بصورته الحاضرة .. وكأنك، بذلك، تقول: أنه ليس كتابا علميا، في الوقت الذي نحن فيه نعرف، أن قيمة القرآن إنما هي في كونه كتاب علم نفس، يسوق آيات الآفاق .. ليصل بها إلى آيات النفوس: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يكف بربك أنه على كل شئ شهيد؟؟) .. أقول قولي هذا، ولا أذهل عن حقيقة بيانية، هي أنه لو نزل على غير قوم الصحراء، لساق لهم من آيات الآفاق ما يناسب بيئتهم .. ولكن هذه الظاهرة ما يجب أن نحملها إلا على أنها .. ظاهر، لباطن .. يجعل القرآن كتاب علم، وليس كتاب بيان يستقيم مع اللسان، والمنطق، فحسب ..

ومن العجب أنك تورد الآية، أو الأصح طرفا من الآية (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما، بعوضة فما فوقها) ثم تقول عنها: (فكل الغاية هي تقريب تلك المعاني المستحيلة بقدر الإمكان .. وكل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال وألوان من التقريب وألوان من الرمز) .. فاستمع إذن إلى كل الآية التي أوردت طرفا منها: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما، بعوضة، فما فوقها .. فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم .. وأما الذين كفروا فيقولون: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟؟ يضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا، وما يضل به إلا الفاسقين) فما معنى (إن الله لا يستحي)؟؟ إن استحياء أحدنا خجل، وليس كذلك استحياء الله، تعالى الله عن ذلك .. وإنما استحياء الله علم، وهو (لا يستحي أن يضرب مثلا ما، بعوضة فما فوقها)، يعني لا يترك أن يضرب هذا المثل، لأنه حق، وهذا هو معنى إشارته، تبارك، وتعالى، من نفس الآية: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم .. وأما الذين كفروا فيقولون: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟؟)، وانما يقول الذين كفروا قولتهم هذه لاستصغارهم لشأن البعوضة ، وذلك لحقارة شأنها في عالم الأجساد .. وهم لا يعلمون ما وراء الأجساد من حقائق .. قوله: (يضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا .. وما يضل به إلا الفاسقين) .. يعني يضل بهذا المثل، ويعني يضل بالحق أيضا، ويعني يضل بالقرآن .. يضل بكل أولئك، ويهدي .. (وما يضل به إلا الفاسقين) ..

أنت في أشد الحاجة إلى مراجعة رأيك في أمر القرآن، فإنك، إن تفعل، يتضح لك أن قولك: (وكل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال وألوان من التقريب وألوان من الرمز)، قول باطل، شديد البطلان .. ومن عجب، أنك تنساق إلى التدليل على هذا الراي الباطل، باقتباس وصف أشعيا ليوم الرضوان عن العهد القديم، وتسوق في التدليل أيضا، تراتيل القديس أفرايم، ثم تقول: (إنها صورة مشتركة في جميع الأديان) وأنت بذلك تذهل عن حقيقة ما ينبغي الذهول عنها، هي أن كتب العهد القديم، والعهد الحديث، إنما هي بمثابة أحاديث يمكن مقارنتها بالحديث النبوي، حيث المعنى موحى، واللفظ من عند النبي، ولكن القرآن موحى كله، لفظه، ومعناه .. وليس للنبي فيه شئ، غير تبليغه .. (لاتحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) وقال أيضا في هذا الشان (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه .. وقل ربي زدني علما) ..

قولك من صفحة 87: ((فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .. إنه يحيل القضية كلها إلى غيب لا يمكن التعبير عنه بلغة الأرض هنا كل من العين والقلب مما لا يمكن تصويره بألفاظ) .. ألا ترى أنه قد عبر؟؟ ثم في حق من قيلت هذه الآية؟؟ أقرأ!! (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا، وسبحوا بحمد ربهم، وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا، وطمعا .. ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .. قوله (قرة أعين) يعني: طمأنينة القلب بسكون جيشان الخواطر، بفضل الوجدان، بعد الفقدان – وجدان الله في القلب، بعد فقدانه خلف الحجب– قوله: (فلا تعلم نفس) .. يعني: فلا يعلم أحد غير الله، ما يكون عليه كمال حالهم يوم الوجدان .. وبذلك تكون العبارة قد أوفت بالمراد .. إن العبارة يراد منها أن تقول أنهم يجدون ذات الله في قلوبهم، فتقر القلوب، بهذا الوجدان من الجولان .. وكيفية وجود الله مجهولة ..

جهنم

أنت تقول من صفحة 87 أيضا: (أما جهنم فهي شيء فظيع .. لا هو بالحياة ولا هو بالموت. (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) .. (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ثم يشرح لنا أكثر (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون) ها هو ذا يبين لنا حقيقة جديدة فيقول أنه يورد الألفاظ للتخويف) .. فلعمري أن الألفاظ مراد بها إلى التخويف ، ولكن ليس هذا قصاراها ، وانما هي تصف واقعا في الحق ، وهي النار .. والنار ، نفسها ، مراد بها الى التخويف .. والمراد من التخويف، في الحكمة، سوق العباد إلى الله، بإظهار افتقارهم إليه .. وأنت، حين تجعل الألفاظ للتخويف فقط، ينتهي بك الأمر إلى القول بان القرآن إنما يهول، ويبالغ، من غير ارتكاز على دقة في وصف الحقيقة، وبهذا لا يكون القرآن كتاب علم، كما هو واقع الأمر ..

وأكثر من ذلك!! فإنك يخشى عليك أن تنساق إلى التقليل من شأن العذاب، وإلى إنكار العذاب .. فإنك، في صفحة 88، وفي صفحة 89، يجري على قلمك: (أن العذاب حق .. والثواب حق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

..

وهنا يعترض معترض ..

ألا يتنافى مع رحمته ومع عظمته أن يعذب .. ويعذب من؟؟ .. إنسانا مسكينا لا يساوي ذرة أو هباء في مملكة الله اللانهائية ..

وهو اعتراض كان يشغلني دائما, وكان يصرفني دائما عن قبول فكرة العذاب وبالتالي عن القرآن وعن الدين كله: والسؤال يحتاج منا أن نتعمق معنى كلمة عذاب ..

والله بالفعل لا يعذب.

إنما فقط يعدل.) .. وهذا قول خطأ .. فإن الله يعذب، ولكن له حكمة وراء العذاب .. والسؤال لا يحتاج منا أن نتعمق معنى كلمة عذاب، وإنما يحتاج منا أن ننظر في الحكمة وراء العذاب .. إن قولك: (والله بالفعل لا يعذب إنما هو فقط يعدل)، ينبع من الرأي الخاطئ، وهو أن الإنسان مخير .. إن النار حق، والعذاب فيها حق – النار حق، كما ورد وصفها في القرآن، والعذاب فيها حق، كما ورد وصفه في القرآن حسا، ومعنى .. ومن ظن، كما ظننت، في صفحة 92: ((سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله) إن هذا الصغار هو الذي سيعذب ويحرق .. لأنه سيكون حسرة على صاحبه حينما يرى مكانته، ومكانة الآخرين، ومقدار ما خسر ومقدار ما كسبوا (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) ..

الله يعتبر الخزي في هذه الآية أشد من النار إيلاما.) .. فهو واهم .. ويجب أن يكون واضحا، فإن العذاب الحسي، والعذاب المعنوي، مجموعان في النار ..

إني أعلم انك لا تقول بنفي العذاب الحسي بصورة قاطعة، فقد قلت في صدر صفحة 88 عن التخويف: (ولكنه ليس تخويفا على غير أساس) ولكن اللبس في هذه العبارة قائم، ثم إنك لم تزد على أن قلت، في صفحة 94: (وهذا لا ينفي أن يكون العذاب المذكور حسيا، بل إنه من الممكن أن يكون معنويا وحسيا، في نفس الوقت) ... وهذا القول لا يكفي .. فإن الإيمان واجب بظاهر القرآن، وعلى ما تعطيه ألفاظه، وشك الشاك، في وجود النار الحسية، والعذاب الحسي، كما جاء في ظاهر ألفاظ القرآن، قد يطعن في إيمانه ..

وأنت تقول في صفحة 109: (أكاد أجزم بأن ألفاظ القرآن، بما فيها من جلجلة، و صلصلة، حينما تصف الجحيم إنما هي نذير حقيقي بعذاب فوق التصور سوف نعذبه لأنفسنا بأنفسنا عدلا وصدقا على رتبة استحقها كل منا بعمله .. وأكاد أضع يدي على الحقيقة .. لاريب فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

.. تعالى الله عن أن يعذبنا شهوة في عذاب .. وهو الحق العدل الحكم.) ..

وهذا قول يؤكد انك تذهب إلى العذاب المعنوي، وتنكر العذاب الحسي .. (نعذبه لأنفسنا بأنفسنا) .. وكأنك تسوق عبارة (تعالى الله عن أن يعذبنا شهوة في عذاب .. وهو الحق العدل الحكم) لتدلل بها على مذهبك في العذاب المعنوي، لأنك قد قلت من قبل، في صفحة 89: (والسؤال يحتاج منا أن نتعمق معنى كلمة عذاب) وواضح، بالطبع، أن عبارة: (تعالى الله عن أن يعذبنا شهوة في عذاب)، إنما تجد الإجابة عليها في البحث، وراء حكمة العذاب، لا في معنى العذاب .. فإن العذاب حسي، ومعنوي .. والإيمان بالجانب الحسي منه، أوجب، من الإيمان بالجانب المعنوي .. لأن الجانب الحسي قد جاء به ظاهر القرآن .. والإيمان بظاهر القرآن، وبما جاء به، وعلى وفق ما يأتيه الظاهر، هو أول مداخلنا على مراتب الدين .. وعلى كل حسن ظنك بسعة الرحمة الإلهية في هذا الفصل، لم أظفر لك برأي يشير إلى أن العذاب في النار مرحلي، وأن النار ستنتهي، وأن من يدخلونها يصيرون من رحمة (الرحمن)، وهي الرحمة المشوبة بالعذاب، إلى رحمة (الرحيم)، وهي الرحمة الخالصة من العذاب .. وتجب لهم يومئذ الجنة .. يجري لهم هذا بصرف النظر عن أعمالهم في الحياة الدنيا .. بل قد ورد منك عن الجنة ما يدل على ضعف علمك بالجنة وبالنار .. ورد ذلك في صفحة 96: (وأتصور أن أعلى الناس قدرا في الجنة هم الذين سيرتفعون عن متع الحواس وجنة الحواس ويختار لهم الرحمن درجة الحياة الروحية الخالصة إلى جواره في سدرة المنتهى حيث لا تكون اللذة هي لذة طعام ولا لذة شراب ولا لذة حور عين وإنما لذة النظر إلى الله في كماله ولذة تأمل الحق والجمال وصورة الخير المطلق إنها لذة الجالس على يمين الله (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)). والذي يجب أن يتقرر، في ختام هذا الفصل، هو أن سعة الرحمة الإلهية: (ورحمتي وسعت كل شئ)، إنما تعني: أن كل مخلوق مرحوم .. وأن كل من دخل النار، بما في ذلك إبليس، لايعذب انتقاما، تعالى الله عن ذلك، وإنما يعذب رحمة، وحكمة .. والحكمة تتجه إلى أن تجعل العذاب فرصة للتعلم .. والعلم، ههنا، هو معرفة الله، ومعرفة الله تطفئ النار الحسية، والنار المعنوية، وتتداعى بصاحبها إلى الجنة .. والخلق، في الخروج من النار، يتفاوتون في الميقات، حتى إذا خرج آخر من يخرج، وهو إبليس، أكلت النار بعضها، وفنيت، وانتهت، وصار الأمر كله إلى الجنة .. والجنة تتفاوت بأصحابها، (هم درجات عند الله .. والله بصير بما يعملون) .. وتفاوت الدرجات في الجنة هو الذي يحكي العذاب المعنوي، الذي أسهبت أنت فيه .. ولكن مع وجود أهل النار في النار، لا يكاد يسمى عذابا .. وما يمكن أن يقال فيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هو أن جنة أناس، نار آخرين .. والقاعدة العرفانية تقول: (حسنات الأبرار سيئات المقربين) .. ثم ان الجنة تنتهي أيضا .. فإذا ما انتهت النار في الأبد، فإن الجنة تنتهي فيما بعد الأبد، وذلك لمكان قربها من الأصل، إذا ما قورنت بالنار .. وذلك الأصل هو الخير المطلق – هو الله- ولما كان السير إلى الله إنما هو في السرمد، ولما كان الإنتهاء إليه إنما هو في غير مكان ولا زمان، فإن هذه الحقيقة هي التي تقرر نهاية الجنة .. والآية التي أوردتها أنت فيما اقتبست لك آنفا ترد هكذا: (إن المتقين في جنات، ونهر * في مقعد صدق، عند مليك مقتدر) .. والتقوى درجات، أدناها إتقاء محارم الله .. قال تعالى: (تلك حدود الله فلا تقربوها .. كذلك يبين الله آياته للناس، لعلهم يتقون) أدناها الإئتمار بالأوامر، والإنتهاء عن النواهي .. وأعلاها الإستقامة في السير خلف الله .. وفي هذه جاء قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه .. وإلى الله المصير) .. فهو تبارك، وتعالى، بعد أن حذرنا حرامه، وحلاله .. وأمره، ونهيه، انتهى بأن يحذرنا نفسه .. وفي مقابل درجات التقوى درجات الجنات .. قوله، من الآيتين السابقتين، (إن المتقين)، في أدنى درجات التقوى، (في جنات)، يعني في أدنى درجات الجنات .. فإذا زادوا في التقوى، فقد ارتفعوا في الدرجات، فجاءت، (ونهر) .. فإذا زادوا، ارتفعوا، فجاءت (في مقعد صدق) .. فإذا جاءوا إلى قمة التقوى، فصاروا عند الله، حيث لا حيث، فقد خرجوا، أو كادوا يخرجون، عن المكان والزمان، وجاءت، ههنا، عبارة: (عند مليك مقتدر)، فإن هذه هي مرتبة هؤلاء .. و(عند)، هنا، ليست للزمان، ولا للمكان، إلا في الفينة بعد الفينة .. ههنا تنتهي الجنة .. بمعنى أنها مكان، وزمان..

هاتان الآيتان، ترسمان التدرج، الذي، في مضماره، تنتهي الجنة .. (إن المتقين في جنات)، هذه درجة، وتشتمل على درجات .. (ونهر) هذه درجة، وتشتمل على درجات .. (في مقعد صدق)، هذه درجة، وتشتمل على درجات .. (عند مليك مقتدر) هذه درجة، لها بداية، وليست لها نهاية، لأن نهايتها في الإطلاق .. أين هذا القول، من قولك الذي اقتبسناه آنفا: (ويختار لهم الرحمن درجة الحياة الروحية الخالصة إلى جواره في سدرة المنتهى)؟؟ إن سدرة المنتهى قريبة!! قريبة!! بهذا ننهي مراجعتنا لفصلك هذا .. وعند الله نلتمس حسن القبول ..

الفصل الخامس

الحلال والحرام

(التحريم في القرآن، ليس لمجرد التحريم، ولا التحليل، لمجرد التحليل، وإنما هو تحليل، لكل ما هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

طيب، وتحريم، لكل ما هو خبيث .. (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)) قولك هذا، حق .. ولكنه يجيء في المرتبة الثانية .. فليست الحكمة، وراء التحريم والتحليل، في المكان الأول، هي الخبائث، والطيبات، وإنما الحكمة هي التعليم .. قال تعالى، في ذلك: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا، وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل .. وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) .. وفي موضع آخر، يقول تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم وآمنتم؟؟ وكان الله شاكرا عليما) .. فإنما من أجل أن نشكر، وأن نؤمن، وظفت وظائف التكاليف، وحرم الحرام، وحلل الحلال .. وإنما في سبيل العقوبة على الطغيان، حرمت الطيبات على اليهود .. وفي الحق، أن الحرام والحلال حكم شرعي، أو قل: حكم عقلي، يتوجه به العقل القديم إلى العقل الحديث، ليجعل قانون تعليمه على وفقه .. يحاكيه، ويسير إليه في مصاقبة، وتقليد .. والأعيان ليس فيها حرام .. كلها حلال .. ولكن حكم الوقت ينزل حلالها منازل، لتنطبق على التشريع، ولتجد كلمة خبيث مدلولها، ولتجد كلمة طيب مدلولها .. وحكم الوقت يتدرج بالعقول إلى النضج .. فإذا جاء وقت نضج العقول، برزت الأعيان إلى مقامها، وهو الطيبة .. وانتهت مرحلة الخبث، وعادت الأشياء كلها إلى الحل، حيث استغنت العقول، بفضل الله، ثم بفضل المعرفة، عن الزجر، والعنف المتمثل في التحريم .. مرة أخرى!! (ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم، وآمنتم؟؟ وكان الله شاكرا عليما) .. وإلى ذلك اليوم، الذي تعود فيه الأعيان إلى أصلها من الحل باستغناء العقول، بفضل الله، ثم بفضل العلم، عن عنف التحريم، ورد قوله تعالى: (ليس على الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، جناح فيما طعموا، إذا ما اتقوا، وآمنوا، وعملوا الصالحات، ثم اتقوا، وآمنوا، ثم اتقوا، وأحسنوا .. والله يحب المحسنين) .. هذه هي درجات التقوى التي أشرنا إليها في فصل: (الجنة والجحيم) .. فإذا ما انتهت تقوانا إلى الله، نفسه، فقد أصبحنا في سعة .. وجاء مشهد: (والله يحب المحسنين)، التي جعلت فاصلة للآية أعلاه .. وفي الحق، إن هذا الأمر – أمر تحريم الأعيان كوسيلة إلى تحريم عيوب السلوك – هو الأساس الذي تدور عليه حكمة الدين .. وعيوب السلوك جماعها اتباع هوى النفس .. وهوى النفس يخلص منه أحد أمرين: إما الضرورة الملجئة، أو العلم النافع .. وإلى العلم النافع وردت الإشارة بالآية السابقة، وبه انتهى التحريم، وأفضى الأمر إلى الحل .. وإلى الضرورة الملجئة الإشارة بقوله تعالى: (إنما حرم عليكم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله .. فمن اضطر، غير باغ، ولا عاد، فلا إثم عليه .. إن الله غفور رحيم) .. جمع المحرمات في أربع .. ثم تجاوز عنها ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحللها للمضطر، غير الباغي، ولا العادي .. وذلك لأن الإضطرار قد نفى عنه هوى النفس .. فإنما هي الحياة، أو الموت ..

وعن كون الأصل، في المكان الأول، تحريم عيوب السلوك، وإنما جاء تحريم الأعيان، في المكان الثاني، جاء قوله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق؟؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة .. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل إنما حرم ربي الفواحش .. ما ظهر منها، وما بطن .. والإثم، والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) .. وهذا هو نهج القرآن، وأسلوبه، وحكمته، في تهذيب النفوس، جريا وراء قاعدته العامة: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم ..) فقد جاء تحريمه للأعيان في مرتبة آيات الآفاق، ثم دنا قريبا من النفس، فحرم عيوب السلوك الخارجية: (الفواحش)، ما ظهر منها .. و(الإثم) و(البغي) بغير الحق .. و(أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) .. ثم دخل إلى السريرة، فقال: الفواحش، ماظهر منها، (وما بطن) .. وقال: (وذروا ظاهر الإثم، وباطنه .. إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) .. و(ظاهر الإثم) عيوب السلوك المختلفة، في جانب الحق، وفي جانب الخلق .. وباطن الإثم ما يحوك في السر، وفي سر السر .. (في السرائر) .. من دقائق، وخوافي، الشرك، ومن سوء الظن بالله، وبالناس .. فالمقصود من وراء تحريم ظواهر ما حرم، إنما هو تحريم بواطنه، فما الظاهر إلا مجاز للباطن .. (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم ..) وظاهر التحريم إنما قام على ظاهر القرآن .. لا لف، ولا دوران .. ولذلك فإن قولك من صفحة 111: (لو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحا في الذهن فسوف نجد أن الحياة الطبيعية في زماننا (زمن الميني جيب – والديكولتيه، والجابونيز، والصدر العريان، والشعر المرسل، والباروكات الذهب)

أمر صعب وهناك أكثر من نوع من النظر فما هو نوع غض البصر المقصود؟؟

لا بد من العودة إلى جوهر التحريم لنفهم الاية ..

والله حرم الضار الخبيث. ومجرد إرسال النظر لا ضرر منه ولكن الضرر فيما يجري في القلب والعقل نتيجة إمعان النظر الخبيث)، هو قول يتورط في الخطأ حين يحاول أن يتحلل من نص التحريم القائم على النهي، ليجعل التحريم مسألة إعتبارية: (ومجرد إرسال النظر لا ضرر منه ولكن الضرر فيما يجري في القلب والعقل نتيجة إمعان النظر الخبيث)، كما تقول أنت .. ولا عبرة برأيك في أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحياة الطبيعية في زماننا، (زمن الميني جيب – والديكولتيه، والجابونيز، والصدر العريان، والشعر المرسل، والباروكات الذهب)

أمر صعب)، ذلك بأن الشريعة لا تزايل إلزامها اعتبارا للصعوبات التي تواجهنا بها حياة التحلل، والتفسخ والتبذل .. بل أنها لتطالب برد الناس –كل الناس– إلى الجادة .. فإن عجزنا نحن عن إلتزام الشريعة، في أنفسنا، وعن إلزام غيرنا بها، فلنعترف بالعجز، ولنعرف أننا نعيش ناصلين عن الشريعة .. ذلك خير من أن نحاول أن نفصل الشريعة على تقصيرنا، وعلى عجزنا عن الإلتزام .. وأنت تسأل: (فما هو نوع غض البصر المقصود؟؟) .. والجواب: هو مجرد غض البصر .. والقرآن يقول، في ذلك من الآيتين اللتين سقت أنت طرفا منهما: (قل للمؤمنين: يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم .. ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن، إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، أو آبائهن، أو آباء بعولتهن، أو أبنائهن، أو أبناء بعولتهن، أو أخوانهن، أو بني أخوانهن، أو بني أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن، أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .. ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .. وتوبوا إلى الله جميعا، أيها المؤمنون، لعلكم تفلحون) .. غض البصر، إذن، هو مجرد غض البصر .. طاعة للأمر: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .. هذا من جانب الرجال .. وطاعة للأمر: (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) .. هذا من جانب النساء .. وقد جاءت الشريعة تفصل، فلم تزد على أن قالت: النظرة الأولى لك .. والنظرة الثانية عليك .. يعني: إذا وقع بصرك على الحرام، في المرة الأولى، فهو مغفور لك، لأنك لم تتعمد النظر .. فإذا عاودت النظر بعد ذلك كتب عليك، وحوسبت به .. والمطلوب، في المكان الأول، في هذا المقام، هو حفظ الفروج .. وقد فرض حفظ النظر حماية، ودرأ، للجريمة الشنيعة – جريمة الزنا .. فكأن غض البصر حمى مضروب حول الجريمة، فمن استخف بالحمى، واقتحمه، فقد أوشك أن يواقع الجريمة. أحب لك أن تذكر، دائما، أمرين اثنين: أحدهما، أن الشريعة تقوم على الظاهر .. وثانيهما، أنها تعمم ..

بين الشريعة والحقيقة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولقد نبهتك على الأمرين السابقين لأنك بهما تحرز المقدرة على أن تميز بين الشريعة والحقيقة، فلا تتورط في التخليط .. ذلك التخليط الذي يطالعني حيثما نظرت في أقوالك، في أمر الحلال والحرام، في هذا الفصل .. خذ، مثلا، قولك، من صفحة 112: (والرجل العابد الزاهد المشغول القلب بالله يرى الجمال فيرى فيه الخالق الذي صور وليس المخلوق. فلا تكون نظرته حلالا فقط .. وإنما تكتب له حسنة .. وهي نظرة لا يقدر عليها إلا متصوف عابد يرى قدرة الله في كل شئ وإبداع صنع الله على وجه كل شئ ..

(وصوركم فأحسن صوركم). وهو رجل قد غفل عن الخلق فلم يعد يرى إلا الخالق) .. هذا قولك، وهو قول يدل على عدم التمييز الدقيق، في الأمور .. وصاحبك، هذا العابد، الزاهد، الذي وصفته إنما هو رجل مذهوب العقل: (هو قد غفل عن الخلق فلم يعد يرى إلا الخالق). وهو، من ههنا، قد رفع عنه تكليف الشرع .. هو في حالة فناء .. فإن أفضى به فناؤه إلى البقاء، فإنه يصبح صاحب حقيقة .. ولا بد لصاحب الحقيقة، الباقي، من شريعة .. وقد تكون شريعته فردية، فهو يعيش بها فوق مستوى شريعة الجماعة .. ولها ضابط، هذا الضابط هو، دائما، عصمته من أن يخرق شريعة الجماعة، مما يترتب عليه ضرر على أحد .. وخرق شريعة الجماعة، في المعاملات، دائما يترتب عليه ضرر .. لأن المعاملة لا تقع إلا بين طرفين، على الأقل .. وفي صفحة 113 يرد قولك: (وهنا نصل إلى جوهر التحريم.

فالتحريم دائما لضرر والله أقام شريعته محبة ورحمة لا تسلطا وغطرسة. فإذا انتفى الضرر .. فأنت في المنطقة الحلال. وغض البصر ليس فقط غض البصر عما يتعرى من الجسد وإنما هو أيضا غض البصر عما في يد الناس من مال ونعمة، وهو الحياء والترفع عن النزول بالنفس إلى مواطن الشهوة والحسد والحقد والغيرة) .. هذا ما قلته أنت .. وسيقوم سؤال بسيط: إذا كانت هناك قاعدة تشريعية، في المعاملة، وخرقها إنسان، على اعتبار أنه، في نظره، لم يضر نفسه، ولا غيره، بهذه المخالفة، فهل يترك ليكون هو قاضي نفسه، حين أخذ القانون في يده؟؟ أم هل يجلس، في القضاء على باطل، وحق دعواه رجل غيره؟؟ فإن قلت بالأولى، فقد عطلت تنفيذ الشريعة، حين جعلتها أمرا يخضع لاعتبار كل فرد .. وإن قلت بالثانية، فإن مجرد خرق شريعة المعاملة جريمة، وإن لم يكن هناك خصم يشكو الضرر .. وأما قولك: (وغض البصر ليس فقط غض البصر عما يتعرى من الجسد وإنما هو أيضا غض البصر عما في يد الناس من مال ونعمة)، إلخ، إلخ .. فهو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

قول طيب .. وقد وردت فيه الآية على النبي الكريم، تأمره: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم، زهرة الحياة الدنيا، لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى) .. وقد ظل النبي الكريم يغض بصره عن المحارم، ويكفكف نفسه أن تتمنى ما في أيدي الناس، تنفيذا لهذا الأمر .. وقد كان النبي الكريم صاحب شريعة فردية، وصاحب حقيقة كبرى، وصاحب شريعة جماعية لأمته .. وقد كان يعيش في رعاية تامة لشريعته الفردية، وهي فوق مستوى الشريعة الجماعية، ومع ذلك، فقد كان يعتبر نفسه محكوما بقواعد الشريعة الجماعية في المعاملة .. وقواعد الشريعة الجماعية، في المعاملة، تقوم على ظاهر النص .. والضرر يترتب على مجرد مخالفتها .. وغض البصر عن المحارم، الذي نحن بصدد الحديث عنه، خير مثال على ذلك .. فقوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) وجبت طاعته بغير تأول فيه .. ومن خالفه، اتكالا على أن عمله، في تقديره هو، لا يضر أحدا – لا هو ولا غيره – لأنه هو إنما: (يرى الجمال فيرى فيه الخالق الذي صور وليس المخلوق)، على حد تعبيرك، لا يقبل منه هذا العذر، ويعزر، وإن لم يكن له خصم يقاضيه، لأن الدوله هي خصمه في هذا ..

وأنت تقول: (ولذا جعل الطلاق مكروها لكنه ممكن إذا استحالت الحياة) .. هذا قولك في صفحة 123، وهو قول يحتاج إلى ضبط العبارة، ذلك بأن الطلاق حلال .. ولكنه أبغض الحلال إلى الله، كما قال المعصوم .. وعبارة: (جعل الطلاق مكروها) لا تؤدي هذا المعنى .. والطلاق شريعة مرحلية، الغرض منه، كما قلت، تصحيح خطأ وقع فيه أحد الزوجين، أو كلاهما، عند الاختيار، مما تستحيل معه الحياة الزوجية، وذلك بإعطاء فرصة جديدة، لاختيار جديد .. وهو قد جعل على مرتين .. فإذا كانت الثالثة فإنها تفرق بين الزوجين تفريقا، نهائيا، لا عودة بعده لهما إلى بعضهما، إلا إذا نكحت الزوجة رجلا آخر، نكاحا صحيحا .. قال تعالى في ذلك: (الطلاق مرتان .. فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .. ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله .. فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به .. تلك حدود الله، فلا تعتدوها .. ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * فإن طلقها فلا تحل له، من بعد، حتى تنكح زوجا غيره، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا، إن ظنا أن يقيما حدود الله، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) .. فهو قد جعلت فيه فرص كافية ليغير أي من الشريكين، أو كلاهما، طريقة سلوكه ليجعل استمرار الحياة الزوجية مع شريكه ممكنا .. فإن استنفدت الفرص الثلاث، فقد رسم الطريق إلى فرص ثلاث جديدة: (فإن طلقها فلا تحل له، من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعد، حتى تنكح زوجا غيره، فإن طلقها، فلا جناح عليهما أن يتراجعا، إن ظنا أن يقيما حدود الله) .. وهذه الرغبة الحكيمة، الرحيمة، في استمرار علاقة إنسانية بدأت بوفاق، هي التي أتاحت كل فرص الإستمرار، وهي التي جعلت الطلاق حلالا، حين يستحيل الاستمرار في جو من التسامح، والمجاملة، لأنه، ساعتئذ، سيكون خير حل لوضع ميئوس منه .. ومع ذلك، جاء التنفير عنه .. بقول المعصوم: (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) .. وسيجئ يوم يبطل فيه الطلاق، لقلة الحاجة إليه .. وذلك حين تكون فرص إحسان الإختيار متاحة بقدر كاف .. فإن لكل رجل زوجة في الحقيقة، هي صنو نفسه، وله زوجة في الشريعة، هي محاولة لمصادفة زوجته في الحقيقة .. فإذا وقع الخطأ، وهو، في المرحلة الحاضرة، كثيرا ما يقع، وكان الخطأ بدرجة يستحيل معها استمرار الحياة، فإن الطلاق هو العلاج .. لأنه يتيح فرصة جديدة، لمحاولة جديدة .. فإذا وقع اختيار الرجال على زوجاتهم في الحقيقة، ووقع اختيار النساء، ونهض، على هذا الاختيار، زواج الشريعة، فإن المحبة التي تلحم بينهما تجعل شريعة الطلاق، في حقهما، شريعة منسوخة .. وإنما يجئ ذلك اليوم بزيادة أنوار القلوب، والعقول، لدى الرجال، والنساء، مما تتضح معه الرؤية في بواطن السرائر .. ويومئذ يكون لكل رجل امرأة واحدة، ولكل امرأة رجل واحد .. وتكون علاقة الرجل بجميع النساء الأخريات، وتكون علاقة المرأة بجميع الرجال، عدا زوجها، علاقة براءة، وطهارة، ونقاوة .. ولا تتجه الغريزة الجنسية فيهما، ولا تستيقظ، لغير شريكها .. وهذه هي حكمة التشريع في تحريم الزواج بين الأخوات، وبين الأم وابنها، وهو ما أوردته أنت في صفحة 123 حيث قلت: (ويحرم الدين الزواج بين الأخوات وبين الأم وابنها والأب وابنته لأنه يريد أن تنمو في الأسرة ألوان أخرى من العاطفة غير الشهوة كالأمومة والأبوة والأخوة والمودة وأن يكون الرباط الأسري هو التراحم) .. سيجئ وقت، قريبا، إن شاء الله، تكون فيه العفة، والصون، أمرا ثابتا في صدور النساء، والرجال .. ويكون جميع النساء، إلا امرأة واحدة، لدى كل رجل، كأنهن أخواته، أو أمه .. فلا تتحرك فيه رغبة جنسية لإحداهن، على الإطلاق .. ومثل هذا يقال عن المرأة بين الرجال، إلا رجلا واحدا، هو زوجها .. فكأن التحريم الشرعي اليوم في الدوائر المحرمة هو مقدمة لتلك الحالة التي يصحب مجيئها مجيء الموعود الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .. وحالة العفة هذه هي من ضمن العدل الذي ستملأ به الأرض يومئذ ..

الفصل السادس

أسماء الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن هذا فصل ممتع .. ولقد تحدثت أنت فيه عن الصوفية حديثا، هو في جملته مقبول، وفي تفصيله نظر .. ولقد جعلت الصوفية قوما يهيمون وراء الأخيلة، والصور الشفافة، حتى ليخيل للقارئ أنهم من طينة غير طينته .. هذا، مع أن الصوفية هم أنصار السنه النبوية، وهم يمشون في الأرض، وترتبط أفكارهم، وآراؤهم بالأرض، وتتسامى إلى السماء .. هم، كل واحد منهم، الشجرة الطيبة، التي قال الله عنها: أن أصلها ثابت، وفرعها في السماء .. وهم بذلك، أصحاب شريعة، وحقيقة .. أما قولك عنهم، في صفحة 131، مثلا: (والمتصوفة أهل أطوار وأحوال ولهم آراء طريفة لها عمقها، ودلالتها فهم يقولون لك أن المعصية تكون أفضل أحيانا من الطاعة .. فرب معصية تؤدي إلى الرهبة من الله وإلى الذل والإنكسار .. وطاعة تؤدي إلى الخيلاء والإغترار .. وهكذا يصبح العاصي أكثر قربا وأدبا مع الله من المطيع)، فهو قول يظهرهم كأنهم بعيدون من صاحب الشريعة العادي .. إن قولهم هذا قد أجمله ابن عطاء الله في حكمه، فقال: (رب معصية أورثت ذلا، وانكسارا، خير من طاعة، أورثت عزا، واستكبارا) .. والأمر مأخذه جد بسيط، وهو أن الرب إنما هو رب قلوب، وأن حاجته إلى العباد إنما هي صلاح قلوبهم .. فإذا كانت الأعمال لا تؤثر على القلوب بالإنكسار، والذل اللائق بالعبودية، فهي أعمال باطلة .. ألم يقل النبي: (رب مصل لم يقم الصلاة)؟؟ بلى!! وقال: (رب مصل لم تزده صلاته من الله إلا بعدا) .. وإنما كان ذلك كذلك لتمكن الغفلة من قلبه .. وأشد الغافلين غفلة من يستطيل بصالح العمل حتى يورثه (عزا واستكبارا)، في حين أن حكمة العمل الصالح، في الطاعة، تقوم على أنه يورث (ذلا وانكسارا) .. ذلك لأن أعمال العبادة منهاج إلى العبودية .. فإذا فشلت الطاعة في أن تحقق الذل، والإنكسار، وأسوأ من هذا، إذا أشعرت بالعز والإستكبار، فإن المعصية أقرب منها إلى الله، حين تحقق ما فشلت الطاعة في تحقيقه .. ألم يقل المعصوم: (إن لم تخطئوا، وتستغفروا، فسيأت الله بقوم يخطئون، ويستغفرون، فيغفر لهم)؟؟ فالغرض دائما واحد، هو انكسار القلوب لله، وقد قال تعالى: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) .. فإذا كان هذا الغرض لا يتأدى بالطاعة، وإنما يتأدى بالمعصية، فقد انتقلت الفضيلة إليها، في تلك اللحظة .. ولكن الكمال دائما في أن يتحقق الإنكسار عن طريق الطاعة، وهذا شأن الكبار، فإنهم لسعة معرفتهم بالله، وما يجب له على العبد، لا يرون في عملهم إلا ما يوجب الذل، والإنكسار .. فهم إذ ينصرفون عن صلاتهم، ينصرفون وكأنما قد أتوا عملا مخزيا، وقد اطلع عليه الناس.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما أحب لك أن تتصور الصوفية وكأنهم قوم يمشون في الهواء، بغير جذور تربطهم بالأرض .. أكرر مرة أخرى: أن الصوفية هم أنصار السنة النبوية .. هم أنبياء، ورسل، بالمعنى الذي يستقيم في الفهم الديني بعد ختم النبوة .. وقولك في صفحة 132: (والمتصوف واليوجي والراهب كلهم على درب واحد وأصحاب منطق واحد وأسلوب واحد في الحياة والزهد) قول منكر .. وهو يجيء من عدم إدراك لحقيقة الصوفية .. يمكنك أن تقول عن الصوفي المسلم أنه يطلب القرب من الله بترسم سنة النبي، فهو يحاول أن يضع قدمه حيث وضع النبي قدمه، من قبل .. وهو، بتجويد التقليد، يرجو أن يصب نفسه في القالب النبوي، حتى يتوكد له كمال إتقان التقليد برؤية النبي في المنام، ثم، بتوفيق الله، برؤيته في اليقظة .. فليس هناك علاقة بين اليوجي، والراهب، والصوفي .. إلا إذا كانت هناك علاقة بين اليوجي، والراهب، والنبي الكريم .. ولكن يبدو أنك أخذت على الصوفية أعمال بعض أدعياء التصوف، من الهمهمة بألفاظ غير معروفة .. وقد كثرت، في أخريات التصوف، وهي لا تحسب على التصوف إلا إذا حسب سلوك المسلمين اليوم على الإسلام .. إنها فترة انحطاط فما يحكم بها على حقيقة التصوف .. أجد نفسي مضطرا إلى أن أكرر، مرة أخرى، أن الصوفية هم أتباع السنة النبوية .. وقد يبدو لي أن الذي عزلهم عن أن يعرف لهم هذا الدور هو أنهم اعتبروا كل أعمال النبي، منذ أن كان في غار حراء، خلال خمسة عشر سنة، وإلى أن بعث، لاحقة بعمله بعد البعث .. فهي جميعها سنة، لأن النبي قد كان على نهج السداد، وهو يتحنث في غار حراء .. وعن هذه الفترة، بالذات، قال النبي المعصوم: (أدبني ربي فأحسن تأديبي، ثم قال: (خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين)) فصدر هذا الحديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) نبوة، وعجزه: (ثم قال: خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين)، رسالة .. ولقد ختمت المرحلة التي بدأت في غار حراء، من مراحل النبوة، بنزول أول القرآن: (أقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * أقرأ، وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) .. وبدأت الرسالة، بعيد ذلك، وذلك بقوله: (يا أيها المدثر * قم فأنذر) .. ومنذ أن بدأت الرسالة برز النبي للدعوة .. وبدأ التشريع في بطء، ثم تواتر بعد الهجرة .. و(لقد تعارف) الناس على أن سنة النبي، إنما هي بعد البعث .. ولا يعتبرون فترة ما قبل البعث، كما يعتبرها الصوفية .. وهذا هو الذي عزل التصوف، في أفكار بعض الناس، عن حياة النبي .. هذا، ويمكن القول بأن الصوفية قد زادوا على سنة النبي أشياء أملاها حكم الوقت، واعتبروها بدعة حسنة، وذلك كإتخاذهم المسابح، مثلا، والطويلة منها بصورة خاصة .. وهناك حق فيما قلت في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

صفحة 133: (والتسبيح الحقيقي في نظر الغزالي لا يكون بمسبحة ولا يكون باللسان وإنما بالقلب .. في الخلوة والسكون والصمت .. مع دق القلب تتلو الروح في صمت وبدون صوت .. أسماء الله: (واذكر ربك في نفسك تضرعا، وخيفة، ودون الجهر من القول ..). وهي أرقى درجات التصوف ولا يستطيع بلوغها إلا من بلغ سكون النفس وصفاء الروح وامتلك القدرة على حصر الانتباه والتركيز والإنصراف إلى التأمل بجماع القلب والهمة، وقويت عزيمته فقهر شهواته وشواغله الدنيوية وصعد درب السالكين إلى الله. وهو صعود أشق من الصعود إلى القمر. لأنه يقوم على الجهاد الهائل مع النفس.) .. هذا ما قلته أنت، وهو قريب من التصوف .. ولكن يجب أن نفهم أن التصوف يبدأ من بداية، ويترقى إلى التسبيح الحقيقي .. وبدايته الأولية التسبيح باللسان، ولو بغير حضور، إلى جانب الصلوات، والصيام .. ثم يكون التدرج في المراقي .. ويجب أن يكون واضحا أن هذا الذي وصفته عن الغزالي ليس هو (أرقى درجات التصوف)، كما ذكرت أنت، وإنما أرقى درجات التصوف ان يبرز الصوفي من الخلوة، إلى الجلوة، فيعامل الخلق بالشريعة، ويعامل الخالق بالحقيقة — (هويعامل الخالق في الخلق) ثم لا تكون له خلوة بعد ذلك لمعاملة ربه إلا قيام الليل ..

وعن موسى في أمر الله له: (فاخلع نعليك .. إنك بالوادي المقدس طوى)، أنت تقول: (إن المقصود بالنعلين هما النفس والجسد .. هوى النفس وملذات الجسد .. فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسان النعلين: نفسه وجسده بالموت أو بالزهد. والله يصورهما كنعلين لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح في عالم المادة وعن طريقهما نزلت من سماواتها إلى الأرض. ولهذا يبادر المتصوف بأن يخلع النعلين ليخطو أول خطوة في الوادي المقدس) .. هذا قولك في صفحة 135: ما من شك أن للصوفية تأويلات تختلف في أمر النعلين، ولكن أنضج التأويلات ما يتمشى مع واقع حال موسى يومئذ .. ذلك أنه بعد أن قضى الأجل لشعيب، وهو عشر سنوات، أنفقها في رعي غنم شعيب، وقضاء حوائجه المختلفة، وقد كانت بمثابة مهر لزواجه من إحدى بنتي شعيب، سار بأهله قاصدا مصر .. فلما كان في بعض طريقه، في سيناء، وكان ظلام ليلته تلك شديدا، وبردها قارسا، وكان قد ضل طريقه، آنس نارا من جانب الطور .. فترك أهله، ويمم شطر النار .. وقد قص علينا القرآن من خبره، فقال (وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى نارا، فقال لأهله: امكثوا!! إني آنست نارا، لعلي آتيكم منها بقبس، أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي: ياموسى!! * إني أنا ربك .. فاخلع نعليك .. إنك بالوادي المقدس: طوى * وأنا اخترتك .. فاستمع لما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يوحى) .. فالنعلان هنا، هما نفسه وزوجته .. فقد كان، في المكان الأول، مشغولا بزوجته، إذ تركها في الظلام الدامس .. وكان البرد عليها شديدا .. فلما أتى النار، وسمع الخطاب، إنزعج، وخاف، وانشغل بنفسه .. فخوطب: أن أترك همك بنفسك، وهمك بزوجك، وفرغ بالك منهما، جميعا: (أخلع نعليك) .. و(استمع لما يوحى) .. فكأنه أعد لاستماع الوحي، بتفريغ باله، وبجمعية نفسه .. فإنه قد كان باله مشغولا بزوجه، وبنفسه، موزعا بالخوف بينهما .. وفي إشارات الصوفية من القرآن يجيء معنى النعلين: الدنيا والآخرة .. وتفريغ البال من الدنيا معلوم، ولكن أمره دقيق فيما يخص الآخرة .. فقد روي أن أبا يزيد البسطامي قال: (الزهد عندي ليس بشئ .. فقد مكثت فيه ثلاثة أيام .. ففي اليوم الأول زهدت في الدنيا، وفي اليوم الثاني زهدت في الآخرة، وفي اليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله .. فقيل لي ما تريد؟؟ فقلت: أريد ألا أريد ..) .. يعني أن أترك الإرادة للمريد الحقيقي – أريد أن أسلم إرادتي لله، وأن أرضى بما يريده هو– وفي حكم ابن عطاء الله السكندري: (لا ترحل من كون إلى كون، فتكن كحمار الرحى، المكان الذي انتقل منه هو المكان الذي يصل إليه .. ولكن انتقل من الأكوان إلى المكون) .. أراد: لا يكن همك في الدنيا العمل لإحراز درجات الآخرة، فإنها كون أيضا، وعملك، بهذه الصورة، إن هو إلا انتقال من كون إلى كون .. فاترك الدنيا، والآخرة، وارتحل إلى رب الدنيا، والآخرة، جميعا .. وزوج الرجل هي نفسه، منبثقة عنه، خارجه .. فإذا قال الله تعالى: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم)، فإن جماع آيات الآفاق في المرأة .. وأقرب النساء، لكل رجل، هي زوجه .. وهي عنده، في التحليل الأخير، وزان الكون .. فإذا هيئ لتلقي الوحي بتفريغه من همه بزوجه، ومن همه بنفسه، فقد تهيأ .. وهو تهيؤ، لا يتم في مجلس واحد، كما قد يتبادر إلى ذهن القارئ للقرآن، وإنما بدأ في تلك الليلة، واستغرق وقتا طويلا .. فإنه، فيما يخص المعصوم، قد استغرق وقتا طويلا .. فأما في القرآن، فقد وردت وسيلته هكذا: (يأيها المزمل * قم الليل، إلا قليلا * نصفه، أو انقص منه قليلا * أو زد عليه، ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) .. وهو تهيؤ مسبوق بتهيؤ آخر، استغرق خمس عشرة سنة في غار حراء .. وقد أوجزه المعصوم في قوله (أدبني ربي فأحسن تأديبي، ثم قال: خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين) .. (خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين) هذه حالة هي ثمرة القول الثقيل في حالة النبي (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) .. وهي ثمرة ما يوحى في حالة موسى: (فاستمع لما يوحى) .. وكانت تحتاج لإعداد وقد جرى هذا الإعداد في حالة نبينا، كما جرى في حالة موسى ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعن رؤية الله أنت تقول، بعد أن تورد بعض الآيات: (وقد أنكرت بعض الفرق الإسلامية إمكانية رؤية الله في الآخرة، وفسرت هذه الآيات بأنها رموز وإشارات ومجاز لا حقيقة وانها تفهم على باطنها لا على ظاهرها، وكانت حجتها أن العين لا ترى إلا المحدود المتناهي في الزمان والمكان، والله لا محدود ولا متناه ومتعال على الزمان، وبالتالي لا يمكن لعين أن تراه .. وهي حجة واهية وتصور مادي دنيوي .. فهم يتصورون أن الروح سوف تبصر بعين مادية في الآخرة وستكون لها حدقة وأجفان وستظل ملابسة للزمان والمكان المعروف في الدنيا .. وهو أمر ينكره القرآن فيقول عن النشأة الأخرى: (وينشئكم فيما لا تعلمون) أي أنه سينشئنا نشأة مختلفة تماما عن كل ما نعلم .. ولا غرابة في أن يكون للروح بصر شامل يدرك اللامحدود وأن نرى الله كما يراه الملائكة) .. هذا ما تقوله أنت في صفحتي 136 و137 .. وإنه لغريب حقا أن تعتقد أن الملائكة يرون الله .. يبدو أنك قد ضللت بظاهر النص في المحاورة التي جرت بين الله تبارك وتعالى والملائكة، في مشهد إسجادهم لآدم .. فإن ظاهر النص يوهم ذلك، ولكن التوحيد يقول ما قال المعصوم: (إن الله قد إحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه) .. والله ذات – نفس–، والملائكة لا ذات لهم، لا نفس لهم .. ومن أجل ذلك فإنهم لا يطيقون رؤيته .. هم مخلوقون من نور العقل، والعقل نفسه حجاب دون الذات .. وأما البشر فإن شأنهم جد مختلف، ذلك بأن لهم أنفسا، وهم، من ثم، يشبهون الله ويطيقون رؤيته .. إن مطلق بشر أكمل من أي ملك، في المآل، وإن كان الملائكة أكمل في الحال .. فكمال الملائكة كمال درجة .. وكمال البشر كمال نشأة .. فكأن الملائكة معالم – (حجار كيلو)– في طريق تطور البشر مترقين نحو الذات الإلهية .. فالبشر يتطورون، ويترقون، ويلقون الله .. ولكن الملائكة ثابتون على هيئتهم، إلا قليلا .. وسبب كمال نشأة البشر هو النفس الأمارة، التي امتازوا بها على الملائكة، والتي تخطئ وتصيب .. وإلى ذلك الإشارة بحديث المعصوم (إن لم تخطئوا، وتستغفروا، فسيات الله بقوم، يخطئون ويستغفرون، فيغفر لهم) ..

معرفة الله

مرة أخرى، يطالعني إغراقك في الحديث عن الصوفية: (وهو لايرى شيئا إلا رأى الله فيه، والله عنده ليس في حاجة إلى عبادتنا، وهو يفسر الآية القرآنية: (وما خلقت الجن والإنس إلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ليعبدون)، أن معناها ماخلقت الجن والإنس إلا ليعرفون، فلا يمكن أن تتم عبادة بدون معرفة، ولا يمكنك أن تعبد مالا تعرف .. أنها لا تكون عبادة وأنت لا تكون عابدا الله إلا إذا كنت عارفا بالله ولا يمكن أن تعرف الله إلا إذا عرفت نفسك أولا ثم تجاوزتها مهاجرا إلى خالقها. وتتضمن الآية جميع هذه المعارف فالله خلق الإنسان ليعرف نفسه ثم يعرف ربه فيتم بذلك للإنسان جلاء البصيرة الكامل والارتقاء الحقيقي عبر صراع الجسد والروح) .. هذا ما قلته أنت في صفحتي 139 و140 .. وأنا، إنما أبغض لك الإغراق في وصف التصوف بهذه الصورة، لأنك بذلك إنما تعزل التصوف عن الممارسة اليومية، ولا تدع للشباب سبيلا إليه، لأنك تشعرهم بأن الصوفي رجل (يمشي على الهواء)، ويبدأ من نقطة لا يتفق للناس العاديين أن يبتدئوا منها .. هذا في حين أن بداية الصوفي إنما هي بداية الرجل العادي، باختلاف واحد، بسيط، هو أن الصوفي شحذ همته، وشمر عن ساعد الجد، فأظمأ نهاره، وأسهر ليله .. وأنظر قولك: (والله عنده ليس في حاجة إلى عبادتنا)!! أليس هذا هو واقع الأمر عند المسلم العادي؟؟ ألا يقول الله، في ظاهر نصه في القرآن: (يأيها الناس!! أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد ..)

ألم يقل: (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه .. إن الله لغني عن العالمين)؟؟

ألم يقل: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة .. ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد)؟؟

ألم يقل: (إن تكفروا: أنتم، ومن في الأرض جميعا، فإن الله لغني حميد)؟؟

بلى!! قد قال كل أولئك .. وفي الحديث يرد ما يشير إلى أن الله ليس في حاجة إلى العبادة .. فما الذي أوجب أن تورد أنت هذه الحقيقة منسوبة إلى الصوفية وكأنها أمر غريب على المسلم العادي .. وقولك: (فلا يمكن أن تتم عبادة بدون معرفة ولا يمكنك أن تعبد ما لا تعرف) قول مغرق في عزل الصوفي عن المسلم العادي .. فإن الصوفية يبدأون بالإيمان، ولا يبدأون بالمعرفة .. وعندهم تجب معرفة ما لا تصح العبادة إلا به من أمور الشريعة، ثم يعبدون، ويترقون إلى معرفة الله بهذا الأسلوب .. ودليلهم في ذلك قول الله: (واتقوا الله ويعلمكم الله) .. وقول المعصوم: (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم) .. وكل ما هناك، أنهم يؤكدون أن من يعمل بالشريعة لا بد أن يصل إلى الحقيقة .. فهم، إذ يبدءون بداية بسيطة، يعلمون الشريعة، فيعملون، ويتطلعون، أثناء عملهم، إلى معرفة الحقيقة، إلى معرفة الله .. فالمعرفة عندهم ثمرة العبادة .. والعبادة لا تقوم إلا على الإيمان، والتصديق برسالة محمد .. أليس هذا نهج المسلم العادي؟؟

وقولك: (وأنت لا تكون عابدا الله إلا إذا كنت عارفا بالله ولا يمكن أن تعرف الله إلا إذا عرفت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نفسك أولا ثم تجاوزتها مهاجرا إلى خالقها)، قول يتسم، إلى جانب الإغراق، والمبالغة، في أمر الصوفي، بعدم دقة في حقيقة ما هو عليه الأمر .. ذلك بأن الله يقول: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) .. والمعصوم يقول: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .. يبدو لي أن الأمر قد لبس عليك .. فإن النفس التي تتجاوزها لتصل إلى الله هي النفس السفلى التي عبر عنها نبينا الكريم فقال: (إن أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) .. وهذه هي جماع الجهالات، والرعونات .. أما نفسك المشار إليها في الآية أعلاه، وفي الحديث، فإنك لا تتجاوزها وتسير بعدها إلى الله، وإنما أنت تعرف الله في معنى ما تعرفها هي، لأنها هي نفس الله .. قال تعالى، في ذلك: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها) .. فإن النفس الواحدة التي خلقنا منها إنما هي نفسه، تبارك، وتعالى: (وخلق منها زوجها) .. هذه هي نفس الإنسان الكامل .. هي النفس العليا، لكل إنسان .. ومن هذه، في تنزل، جاءت النفس الدنيا .. إن قيمة كتابك هذا، عندي، هي أنه يملك قدرة، أكبر من كتابات جميع الفقهاء، على إثارة الإهتمام بالدين في صدور الشباب .. وليس إلى الدين من سبيل غير ممارسة النهج الصوفي، فإن جعلت أنت، كما هو واضح في كتابك هذا، هذا النهج معزولا عن البدايات البسيطة، من الأرض، فإنك تؤيس الشباب من الممارسة تأييسا، وتجعل قراءتك متعة ذهنية صرفة، لا تقدم النهج التعبدي النافع .. وهذا ما كرهته لك .. إنك لأنت، بالذات، في أشد الحاجة إلى ممارسة النهج الصوفي، (أقرا السنة النبوية)، ذلك لأن مواهبك الفذة التي تطالعني في هذا الكتاب تحتاج الى صقل، وإلى تهذيب، يرسخ فيها وحدة الفكر، ووحدة الشعور .. وليس إلى ذلك من سبيل غير ممارسة العبادة في تقليد المعصوم بإتقان .. والصوفية هم زملاء طريقك على هذا النهج .. وهم أساتيذك ..

وعن الصوفية، مرة أخرى، تقول: (ويقولوا للفقهاء أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. تقولون حدثنا فلان عن فلان عن فلان وكلهم موتى .. والواهب الحق علام الغيوب أقرب إليكم من حبل الوريد وهو معكم أينما كنتم .. مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. فكيف تتركونه وتأخذون العلم عن سواه؟ ..

ولهذا يقول المتصوفة عن علمهم بأنه علم لدني .. من لدن الله .. لا علم نقلي من الكتب. ويصفون أنفسهم بأنهم أهل الحضرة .. ويأخذون أنفسهم بالرياضات الروحية العنيفة والصيام والعبادة المتصلة إلى درجة إفناء الذات في الله وسيلتهم إلى الله أسماؤه الحسنى ومحبته القصوى التي تملأ كل ذرة من القلب فلا يعود لهم شاغل إلا ذكره ولا يرون شيئا إلا رأوا الله فيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هؤلاء هم أهل السر والقرب والشهود. الأولياء الصالحون حقا. وهم ندرة شحيحة) هذا ما قلته أنت في صفحة 142 .. أسمع قولك: (ويصفون أنفسهم بأنهم أهل الحضرة)!! وأسمع قولك: (هؤلاء هم أهل السر والقرب والشهود. الأولياء الصالحون)!! ألا تدخل مثل هذه الأقوال التصوف في متاهات من الغموض تحول بينه وبين الشباب، في الوقت الذي فيه يمكن، بشرح هذه المسائل، وبردها إلى أصولها في السنة المطهرة، أن يكون هذا الكتاب حافزا للتقليد النبوي، وداعيا إلى الارتفاق في ذلك التقليد، بتجاريب الصوفية؟؟ ما ينعيه الصوفية على الفقهاء هو تعطيل الفكر، اعتمادا على النقل، حتى لقد لج بهم النقل فانتهوا إلى القول بأن (الدين نقل، لا عقل) .. وهذه العبارة لا تصح إلا في حد ضيق، هو أن شريعة الدين المأثورة عن المعصوم تؤخذ بالنقل، وتمارس في العمل .. فإذا ظهر لنا أن بعض أسرارها غير معقول لنا فإن علينا أن نلغي اعتبار عقولنا، ونلجأ إلى الإيمان بما جاء به النبي، ونعمل بما جاء به، ابتغاء أن يعلمنا الله، من أسرار تشريعه، ما يصلح حال عقولنا .. فمثلا، ليس من حقنا أن نقول لماذا فرض الله خمس صلوات، في اليوم، والليلة؟؟ وبالعدد الذي فرضه، وبالكيفية التي عينها، وفي الأوقات التي حددها؟؟ ثم نقرر أن هذا ليس معقول .. وإنما علينا أن ننقل ذلك عن النبي، وأن نعمل به، طاعة لأمره: (صلوا كما رأيتموني أصلي) وذلك رجاء أن يعلمنا الله من عنده العلم اللدني .. وهذا موعوده حين قال: (واتقوا الله، ويعلمكم الله) يعني بـ(واتقوا الله) أعملوا بالشريعة كما بلغتكم عن المعصوم .. (ويعلمكم الله) يعني: يعلمكم الحقيقة، وهي الأسرار، ومنها أسرار الحكمة وراء شريعة العبادة .. قال الله على لسان النبي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ..) .. وعند الصوفية أن الشريعة إنما شرعت لتوقظ الفكر، وتشحذه، وذلك أخذا من قول الله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .. ولعلهم يتفكرون) .. وقال المعصوم: (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) .. فهل في نعي الصوفية على الفقهاء غرابة؟؟ أليس هو من طبيعة الأشياء في أمر الدين؟؟ ومسألة (العلم اللدني) تبدو غريبة على الأسماع، ولكن أليست هي عبارة (ويعلمكم الله)، من آية: (واتقوا الله، ويعلمكم الله)؟؟

(ويصفون أنفسهم بأنهم أهل الحضرة) فما هي هذه الحضرة؟؟ إنها، ببساطة، حضرة القلب مع الله في العبادة .. وهذه مطلوبة من كل مسلم، وكل مصل لا يحضر، في صلاته، ولو لحظة، فصلاته باطلة .. فإذا طالت حضرة قلب العابد، في عبادته، صار إلى حضرة الله .. ألم يقل المعصوم: (لي ساعة مع الله لا يسعني فيها ملك مقرب، ولا نبي مرسل)؟؟ وأي غرابة في هذه؟؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما أخذهم أنفسهم (بالرياضات الروحية العنيفة، والصيام، والعبادة المتصلة إلى درجة إفناء الذات في الله)، فإنما هو تقليد النبي الكريم، وكل ما هناك أنهم أخذوا أنفسهم بتقليده منذ تحنثه في غار حراء، واعتبروا كل عمله، قبل البعث وبعد البعث، سنة، ونهجا مسددا .. وقد أسلفنا إلى ذلك القول، وإنما أنكر عليهم ذلك من أنكره لقلة بصره بحقائق الدين .. ألم يقل المعصوم في أمر تسديده: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)؟؟ فهو إذن، من ثم، قد كان على سنة واضحة، ونهج مسدد، منذ غار حراء .. وما إفناء الذات في الله هذا الذي ذكرت، حين قلت: (إلى درجة إفناء الذات في الله)، إلا الأمر الذي اتفق للنبي، في بدء بعثه، حتى لقد ظهر عليه من الوله ما ظنه الناس جنونا، فبرأه الله مما قالوا: (ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون) .. والحديث الذي أشرت إليه آنفا، وهو: (لي ساعة مع الله، لا يسعني فيها ملك مقرب، ولا نبي مرسل)، هو حديث إفناء الذات البشرية في الذات الإلهية، في جمعية مستغرقة للحادث في القديم .. والسر، أيضا، ما هو إلا المعرفة الدقيقة بصفات الألوهية، مما لو ذكر للناس لا يزيد على أن يفتنهم، لأنهم ليست لهم فيه مشاركة .. وفي هذا إنما هم يتأسون بالمعصوم .. ألم يقل: (أوتيت ثلاثة علوم فعلما أمرت بتبليغه، وعلما خيرت في تبليغه، وعلما نهيت عن تبليغه) .. فأي شئ يكون العلم الذي نهي عن تبليغه إن لم يكن السر؟؟

أما قولك: (هم ليسوا دراويش الأرصفة ولا شحاذي المساجد ولا المجاذيب ولا الثرثارين ولا المدعين ولا محترفي الشعوذات. إنما هم الأتقياء الأخفياء. يقول عنهم الله في حديثه القدسي: (أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري)) هذا ما قلته أنت في صفحة 143 .. وهو قول لا يدل على تعمق .. فإنه، على التحقيق، ما من صوفي كبير إلا وقد مر، على الأقل، بمرحلة من مراحل من تسميهم: (دراويش الأرصفة) .. و(شحاذي المساجد) .. و(المجاذيب) .. و(الثرثارين) .. و(المدعين) .. و(محترفي الشعوذات) .. وكل الذي يحصل هو أن بعض الصوفية، بتوفيق الله، ثم بحسن تأديبهم، يقطعون هذه المرحلة، ويبرزون إلى مقامات عزهم، بينما تظل الأغلبية الغالبة تتخبط فيها .. ثم ان من هؤلاء من هم على درجة من الولاية .. وأنت تقول، في حديثك الذي اقتبسناه آنفا، : أن الله يقول عنهم: (أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري)، فما ظنك بكلمة (قبابي) هذه؟؟ ألا تخشى أن تكون هي المظهر الزري الذي ساقك إلى أن تصفهم هذه الأوصاف المرذولة التي أوردت فتكون بذلك، قد تورطت في هلكة بالإساءة إلى ولي خفي من أولياء الله؟؟ أكرر!! إن أخشى ما أخشاه على كتابك هذا أن يكون كتاب متعة ذهنية، لا يسمو إلى حفز

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشباب إلى عمل بالدين، مقلدا للنبي، ومرتفقا بأقوال الصوفية، ذلك لأنك قد عزلت الصوفية عن واقعهم، عزلا مؤسفا ..

ونلاحظ، في هذا الفصل، فصل أسماء الله، أنك لم تتحدث عن أسماء الله إلا في أسطر، في صفحة 137 .. وقد تورطت في خطأ كبير حين زعمت أن اسم (الله) إسم علم على الذات الإلهية .. والحق، أن (الله) إنما هو علم على الذات الحادثة، وهي الإنسان الكامل .. وما هو، في حق الذات القديم، إلا مجرد إشارة، لأن هذه الذات، قبل أن تتنزل من صرافتها، إنما هي فوق الاسم، وفوق الصفة، وفوق الإشارة أيضا .. وعندما تنزلت من صرافتها تقيدت، في أول مراتب القيد، فكانت: (الحقيقة المحمدية) .. وهذه هي مرتبة الإنسان الكامل .. واسم (الله) اسم علم في حقها هي .. لقد تحدثنا في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا: (لا إله إلا الله) عن أسماء الله بما يكفي عن الإعادة هنا .. فليراجع في موضعه ..

ولقد تورطت، في نفس الصفحة، في خطأ آخر، وذلك حين قلت: (ولا غرابة في أن يكون للروح بصر شامل يدرك اللامحدود وأن ترى الله كما يراه الملائكة) .. هذا ما زعمته أنت، وهو زعم قد أشرنا إلى باطله .. فإن الملائكة لا يرون الله ما يراه البشر .. ومعلوم أنه لدى المعراج تخلف جبريل عند سدرة المنتهى، وتقدم المعصوم إلى مقام: (ما زاغ البصر وما طغى) حيث تم الشهود الذاتي .. بين الذات البشرية، والذات الإلهية .. وإنما تخلف جبريل لأنه لا طاقة له بالشهود الذاتي .. ذلك لأنه لا ذات له – لانفس له – فالبشر – مطلق بشر – أكمل من مطلق ملك وذلك لكرامة النشأة البشرية المتمثلة في الخطأ والصواب، والتي إليها الإشارة بحديث المعصوم: (إن لم تخطئوا، وتستغفروا، فسيأتي الله بقوم يخطئون، ويستغفرون، فيغفر لهم) .. وقد أسلفنا القول بأن كمال الملائكة كمال درجة، وكمال البشر كمال نشأة .. وفي التحليل الأخير، لا يصل الملائكة إلى كمالات البشر إلا بدخولهم في البنية البشرية .. وهناك حديث نبوي، كريم أوردناه، ونعيده، هو يقول: (إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار .. وأن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه) .. ومن ههنا يتضح لك خطأ قولك: (وأن ترى الله كما يراه الملائكة)، من العبارة التي أسلفنا الإشارة إليها ..

وهذا الخطأ جرك إلى خطأ آخر، من نفس الصفحة، وذلك حيث تقول: (والذات الإلهية سر مطلسم ليس لبشر أن يخوض فيه .. أما الصفات والأفعال فلنا أن نتأمل فيها) .. هذا ما قلته أنت .. وما عليه العارفون هو أن الذات هي مقصد العباد، ولكنها لا يتوسل إليها بوسيلة الفكر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

.. وذلك لأن الذات لا ضد لها .. ولا يدرك الفكر إلا ما كان له ضد .. ومن أجل ذلك جاءت التوصية النبوية الكريمة: (تفكروا في مخلوقات الله، ولا تتفكروا في ذاته فتضلوا) .. وليس معنى هذا أن الذات ليس لبشر أن يخوض فيها، وإنما معناه أنها لا تلتمس عن طريق الفكر .. فإنما هناك طريق القلب .. فما في سويداء القلب إلا الذات .. ولقد قال تعالى، في ذلك: (ما وسعني أرضي، ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن) .. والعقول هي قوة الإدراك الشفعي .. فهي لا تقوى إلا على إدراك ما كان له ضد .. ولذلك فقد تقيد إدراكها بمراتب الاسم، والصفة، والفعل الإلهي .. وهذا معنى: (تفكروا في مخلوقات الله) لأن لأسماء الله، ولصفاته، ولأفعاله ضدا من أسماء، وصفات وأفعال المخلوقات .. وأما القلوب فهي قوة الإدراك الوتري، وهي بذلك قد أوتيت القدرة على شهود الذات الوترية – الذات التي لا ضد لها- .. والشهود معنى من الإدراك يتنزه عن الإحاطة .. ويقع بلا كيفية .. وهذا القدر، من الخوض في الذات الإلهية، وهو قدر يزيد كل لحظة عند العباد المجودين، هو مرمى جميع كبار العباد .. ولذلك فإن قولك: (والذات الإلهية سر مطلسم ليس لبشر أن يخوض فيه) قول غير سليم ..

الفصل السابع

رب واحد ودين واحد

أصل الدين هو الإرادة الإلهية التي قهرت الوجود، وسيرته، من البعد الى القرب، طوعا وكرها .. وفي ذلك قال تعالى: (أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا، وكرها .. وإليه يرجعون؟؟) وهذا هو الدين العام، هو الإسلام العام .. وهناك الإسلام الخاص الذي أرسل الله به الرسل، وخاطب به البشر، وشرع فيه الشرائع، وأقام التكليف .. وإنما سمي هذا بالإسلام الخاص لأن الخطاب به يتوجه إلى ذوي العقول، في حين أن الخطاب بالإسلام العام يتوجه إلى جميع عناصر الوجود .. وفي هذا لا تقع المعصية .. ففي شريعته من عصى فقد أطاع في معنى ما قد عصى .. وأما الإسلام الخاص ففيه تقع المعصية، وتقع الطاعة .. والحكمة في شرع الإسلام الخاص هي إخراج الناس مما أراد الله، إلى ما يرضى .. فإن هناك دقيقة عرفانية تقرر أن الله أراد شيئا لم يرضه .. فهو أراد الكفر، مثلا، ولكنه لم يرضه .. قال تعالى، في ذلك: (إن تكفروا فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر .. وإن تشكروا يرضه لكم .. ولا تزر وازرة وزر أخرى .. ثم إلى ربكم مرجعكم، فينبئكم بما كنتم تعملون .. إنه عليم بذات الصدور) .. فالكفر، والإيمان،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والشر، والخير لا تدخل في الوجود إلا بإرادة .. ولكن الكفر غير مرضي، والشر غير مرضي، وإنما المرضي الإيمان، والخير ..

فمثل الدين العام كمثل ماء المحيطات الملح، ومثل الدين الخاص كمثل ماء الأنهار العذب، وكما تستصفي الشمس ماء الأنهار العذب من ماء المحيطات الملح، فكذلك الرسل: هم، بواسطة العقول، يستصفون الدين الخاص من الإرادة العامة .. ويسوقون الناس إلى اتباع رضوان الله طوعا، بعد أن كانوا مسخرين بإرادته كرها ..

ولم يبدأ الدين الخاص بالأديان الكتابية المعروفة عندنا – اليهودية، والنصرانية، والإسلام .. وإنما بدأ بالوثنيات البدائية التي صحبت النشأة البشرية الأولى، في الأزمان السحيقة .. فإنه قد مر وقت كانت فيه عبادة الصنم مرضية عند الله، وذلك بحكم الوقت .. ثم اطرد سلم الترقي نحو ديانات التوحيد، إلى أن توج الدين الخاص بدعوة التوحيد التي نزلت، أول منازلها الشاملة، الكاملة، برسالة موسى .. حيث قامت شريعة المعاش، وشريعة المعاد، حول (لا إله إلا الله) لأول مرة، بصورة موسعة، انتظمت شعبا كاملا .. ثم جاءت النصرانية، تطويرا لليهودية .. ثم جاء الإسلام تماما على الذي بدا باليهودية، والنصرانية، فكان جامعا لهما، ومطورا .. وقد جاء الإسلام نفسه على مرحلتين: مرحلة الإيمان، ومرحلة الإسلام .. فأما مرحلة الإيمان فهي مرحلة أقرب إلى بدائية اليهودية .. وأما مرحلة الإسلام فهي أقرب إلى روحانية النصرانية .. ومن ثم، فإن الإسلام جامع لخصائص اليهودية، والنصرانية، وممثل لهما، كليهما .. والسر في ذلك أنه قد جاء وسطا بين تفريط اليهودية، وإفراط النصرانية .. قال تعالى، في ذلك (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا) .. فأمة الإسلام وسط، بين أمة اليهودية، وأمة النصرانية .. وكذلك الإسلام، فهو وسط بين اليهودية، والنصرانية .. وكذلك القرآن، فهو وسط بين التوراة، والإنجيل .. ومن ثم، فقد جمع في سياقه بين ما جاءت به التوراة، من شريعة القصاص – العين بالعين، والسن بالسن – وشريعة العفو التي جاء بها الإنجيل – (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الآخر كذلك – على حد تعبير الإنجيل .. وقد كان سياق القرآن، في ذلك: (وجزاء سيئة، سيئة مثلها، فمن عفا، وأصلح، فأجره على الله .. إنه لا يحب الظالمين) .. (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .. أقرب إلى خصائص التوراة – القصاص – و (فمن عفا، وأصلح فأجره على الله) .. أقرب إلى خصائص الإنجيل – العفو– والقرآن في هذا أكمل من التوراة، وأكمل من الإنجيل، ذلك بأنه قد رسم الطريق، ووضع السلم لتحقيق ما دعا إلى تحقيقه الإنجيل من غير أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يرسم منهاجا تسليكيا لتحقيقه .. والمرحلتان اللتان اشتمل عليهما الإسلام، وهما: مرحلة الإيمان، ومرحلة الإسلام، اشتمل عليهما القرآن، في آيات فروعه، وفي آيات أصوله .. فأما آيات فروعه فهي الآيات المدنية .. وأما آيات أصوله فهي الآيات المكية .. وقد قامت على آيات الفروع شريعة الرسالة الأولى، وهي التي فصلها المعصوم تفصيلا .. واعتبرت آيات الأصول منسوخة في القرن السابع، وأرجئ العمل بها إلى يوم يتهيأ لها فيه المجتمع البشري .. وستبعث، يومئذ، شريعة الرسالة الثانية، ببعث هذه الآيات، التي كانت منسوخة .. وقد فصلنا كل أولئك تفصيلا، في كتابنا: (الرسالة الثانية من الإسلام)، فليراجع في موضعه .. ولكنا، لا نزايل مقامنا هذا، قبل أن نقرر أن تطور الإنسان الروحي في مضمار آيات الفروع، وآيات الأصول – بين الإيمان، والإسلام – تطور سرمدي، لا نهاية له .. لا في الدنيا، ولا في الآخرة .. ويكفي أن نقرر هنا أن الأرض، إلى اليوم، لم تشهد الكمالات البشرية الموعودة، وإنما هي ترتقبها .. ولذلك فإن قولك: (وقد علم الله أنه لن يحدث تطور روحي بعد ذلك .. وأن الإنسان لن يتطور إلا في أدواته فيصنع العربات والقطارات والطائرات والصواريخ والعلوم الوضعية والمعارف العقلية دون أن يتقدم خطوة واحدة في روحه فختم الرسالات بمحمد ..) .. إن هذا القول الذي قررته أنت في صفحة 149 هو قول منكر أشد النكر .. ثم، من الذي قال أن الرسالات ختمت بمحمد؟؟ لقد تورطت أنت فيما يتورط فيه العوام من الفقهاء .. فإن الله قد ختم النبوة بمحمد، ولم يختم الرسالة .. ثم كيف جاز لك أن تزعم أن الإنسان سيتطور في (المعارف العقلية) دون أن يتقدم (خطوة واحدة في روحه)؟؟ إن الكلمات ليست واضحة المدلولات في ذهنك، وإنما هذه من الدلالات على ضعف أثر التوحيد في فكرك .. ثم ما هو برهانك على الذي ذهبت إليه من تقريرك وقف النمو الروحي للإنسان على الأرض؟؟ إنك تقرر: (لأن لا شيء جد في روح الإنسان على كثرة ما جد في عقله ومعارفه وحياته المدنية) .. هذا ما تقرره أنت في صفحة 149 .. ولكن، ما ظنك بمن يخبرك أن مرحلة الإنسان الحاضرة إنما هي احتشاد لظهور الطفرة الروحية المقبلة، التي بها يدخل الإنسان، من حيث هو إنسان، دين الإسلام، الذي قال الله عنه: (إن الدين عند الله الإسلام)، والذي قال عنه: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .. وهو في الآخرة من الخاسرين)، والذي قال عنه: (اليوم، أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا ..)؟؟ إن غد الإنسان المعاصر هو الغد المأمول، الذي ستملأ الأرض فيه عدلا، كما ملئت جورا .. ولا يكون ذلك إلا بفضل الله، ثم بفضل تطور الإنسان الروحي الى درجة لم يسبق لها مثيل في سوالف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحقب ..

إن مرحلة الإسلام التي وردت، في الآيات السالفات، الإشارة إليها، لم يحققها غير طلائع البشرية، وهم الأنبياء، والرسل .. ومن ثمن فإن قولك: (أنه يقول عن المسيح أنه مسلم والحواريون مسلمون .. وموسى مسلم والسحرة الذين آمنوا له قد أسلموا وفرعون وهو يتوب لحظة الموت أسلم ويوسف مسلم وإبراهيم مسلم وإسماعيل مسلم ونوح مسلم ..

الكل أسلم ..

بمعنى أسلم الأمر لله إذ أدرك أنه لا موجود بحق سواه ولا مقدر للأقدار ومالك للملك سواه ..) .. قولك هذا، من صفحة 151، يفقد الدقة .. فلم يكن الحواريون مسلمين .. ولم يكن السحرة، ولا فرعون، مسلمين، بالمعنى الذي به المسيح مسلم، ويوسف، وإبراهيم، وإسماعيل، ونوح، مسلمون .. إن الإسلام بداية، ونهاية .. بدايته دون الإيمان .. ونهايته فوق الإيمان .. فقد كان موسى مسلما، وكانت أمته اليهود .. وقد كان المسيح مسلما، وكانت أمته النصارى .. وكان محمد مسلما، وكانت أمته المؤمنين، أو الذين آمنوا، في مقابلة الذين هادوا .. وهذا ما جاء في سياق الآية: (إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين، من آمن بالله، واليوم الآخر، وعمل صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون) .. فإذا جاء اليوم المقبل، الذي يتأذن الله فيه بتطبيق الإسلام، فلن يقبل الله من أحد هذه الأمم – لا من الذين آمنوا، ولا من الذين هادوا، ولا من النصارى، ولا من الصابئين – غير الإسلام .. (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو، في الآخرة، من الخاسرين) ..

إن الإسلام دين واحد، بدايته، في الأرض، في التعدديات، والوثنيات البدائية .. ونهايته عند الله، في إطلاقه، حيث لا عند .. والسير في مراقيه سير سرمدي .. والديانات الكتابيات – اليهودية، والنصرانية، والمرحلة الأولى من الإسلام – (مرحلة الإيمان) كلها منازل من منازل السير فيه .. وقد رسم القرآن، في آيات أصوله، وفي إشاراته بالحروف الهجائية التي جاءت تتويجا لآيات أصوله، طريق السير في معارجه السرمدية .. وقد جعل الله حياة محمد مفتاحا لمغاليق أبواب هذه المعارج .. فمن ابتغاها فعليه الممارسة في دقة تقليد عمل محمد، في العبادة، وفي المعاملة .. فإنه ليس سبيل إلى الله غير هذا السبيل .. (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني .. يحببكم الله) ..

الفصل الثامن

الغيب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الغيب هو ما غاب عن الحواس .. والإيمان بالغيب أول واجبات العقول .. ذلك بأننا نعلم خداع الحواس .. ونعلم أن واجب العقول هو أن تتخلص من هذا الخداع .. فإذا نظرت في النجوم فإنك تراها صغيرة كالعنب، وقد أدركت العقول، وفي غير كبير مشقة، وبفضل التجربة المعاشة في اليوم والليلة، أن هناك خداعا للنظر، سببه بعد المسافة بيننا وبين النجوم .. هذا الخداع هو الذي أظهر للنظر النجوم صغيرة .. واكتشفت العقول، من ثم، ومنذ زمن بعيد، أن النجوم أكبر، بكثير جدا، مما تظهر للعين .. هذا الكشف هو صورة من كشف الغيب .. والغيب يتمادى، من هذه الصورة، إلى أن يبلغ قمته عند الله .. فالله هو غيب الغيوب .. وهو قمة الغيب .. ولما كان الإيمان بالغيب فيه تعريف للعقل بحقيقة نفسه، كان أهم أركان الإيمان .. وكل السلوك، في معارج المراقي إلى الله، يتركز في تعريف العقل بحقيقة نفسه .. فإن العقل الذي يصعب عليه أن يؤمن بما لا يقع تحت إدراكه، فينكره من ثم، إنما هو عقل جاهل بحقيقة نفسه .. وهو لا يرجى له أن يعرف ما يجهل إلا إذا تواضع، وأدرك حقيقة قصوره .. وإلى هذا إشارة المعصوم في قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .. يعني: من عرف نفسه بالقصور عرف ربه بالطول .. يعني: من عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم .. من عرف نفسه بالكره عرف ربه بالإرادة .. من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة .. (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فالغيب، إذن، ليس طلاسم، وإنما هو عنصر الوجود حولنا، لأن حواسنا لا تكاد تدرك منه شيئا .. فمن الغيب، الأجساد الدقيقة، كالمكروب .. ومن الغيب، المعاني الدقيقة، كالأسرار الإلهية .. ومن الغيب، حوادث الدقيقة المقبلة .. ولإستجلاء كل غيب وسيلته .. فحين استخدم العلم المادي المجاهر لرؤية الجسيمات الدقيقة، وهي غيب، استعمل الدين الإيمان، والمنهاج التعبدي، لرؤية حوادث المستقبل، ولرؤية الأسرار الإلهية، وهي غيب أيضا .. والإيمان، أو قل عدم إنكار ما لا يقع تحت إدراك عقولنا، من دلائل الفهم، ومن أوليات العلم .. سواء في ذلك: العلم التجريبي، أو العلم الروحي — الدين ..

وأنت تقول عن (الذين يؤمنون بالغيب) من صفحة 161: (المقصود هم المؤمنون بالقلب الذين لا يطلبون القرائن ولا يلحون في براهين ولا يدخلون في مجادلات .. ولا يقولون .. أرنا الله لنؤمن به .. وإنما يؤمنون غيبا وقلبا) .. فمن أنبأك هذا؟؟ وما ظنك بقول إبراهيم: (وإذ قال إبراهيم: ربي!! أرني كيف تحيي الموتى!! قال: أولم تؤمن؟ قال بلى!! ولكن ليطمئن قلبي .. قال: فخذ أربعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الطير، فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا، ثم ادعهن يأتينك سعيا!! واعلم أن الله عزيز حكيم ..)؟؟ ..

إن المؤمنين (بالقلب)، الذين لا (يطلبون القرائن، ولا يلحون في البراهين)، كما تصفهم أنت، إنما هم جهلة، لا يشرفون الإيمان .. ذلك بأن الإيمان إنما هو عكاز (العقل) يتوكأ عليه في منطقة الغيب، ريثما يصبح الغيب شهادة، وذلك عن طريق الفكر الملحاح في طلب البراهين، بعد أن يتخذ الوسائل الصحائح للسير في أودية الغيوب .. وأما قولك، من صفحة 162: (فالدين إحساس قبل أن يكون نظرية تؤخذ بالبرهان. وهو حالة قلبية أولا قبل أن يكون حالة عقلية)، فهو قول سليم في معنى أن القلب بيت الله .. وهو بيت قديم .. هو أول بيت وضع للناس .. وأما العقل فهو حادث، وهو يسعى أن ينفتح على القلب، على بيت الرب، حتى يطلع على مكنونه .. وهذه هي وظيفة الدين .. ومن أجل ذلك فإن الدين خطاب موجه للعقل، وترويض له، وتسليك .. وهذا هو الذي جعل الفكر المسدد هو قمة العبادة. وهو الغرض المقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتشريع التشاريع .. قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .. ولعلهم يتفكرون)

وفي هذا الباب أنت تتحدث كثيرا عن الملائكة، والجن .. فتقول، مثلا: (وأمثال هذه الطلاسم .. الملائكة .. والجن .. والساعة .. والعرش .. والكرسي .. والصراط .. والجنة .. والميزان .. واللوح .. والقلم .. والبرزخ .. وأكبر طلسم، ولا شك، هو الشيطان نفسه) هذا قولك!! ولكن، كل هذه هي مسائل مادية، ومحسوسة، وكل ما هناك أنها تحتاج لإدراكها، إلى الحاسة السادسة، والحاسة السابعة .. وهاتان الحاستان تقعان في خط تطور النشأة البشرية التي بدأت، في سحيق الآماد، بحاسة واحدة، هي الحس .. ثم اكتسبت بقية الحواس الخمس التي نعرفها، نحن، اليوم، والتي كثيرا ما تورطنا في الخطأ فظنناها نهاية المطاف بالنسبة لتطور الإنسان .. ألم تقل أنت، في الفصل السابق، في صفحة 149: (وقد علم الله أنه لن يحدث تطور روحي بعد ذلك .. وأن الإنسان لن يتطور إلا في أدواته إلخ .. إلخ)؟؟ بلد!! قد قلت!! وهو قول قد أعظمت به على الله الفرية .. وفي صفحة 176 يرد قولك: (إن البرزخ .. والحجر المحجور .. والمنع الممنوع .. كلها إشارات إلى القوانين الفيزيقية التي تمنع وتضبط وتحفظ لكل شيء حدوده ومكانه. وهذا يفسر لنا ما قاله القرآن عن الموتى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) فليس معنى البرزخ هنا فاصل مكاني يفصل أرواح الموتى عن دنيا الأحياء .. وإنما معناه القوانين المانعة .. فالأرواح بعد الموت تبدأ حياة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذات قوانين مختلفة. ولهذا يستحيل عليها أن تخاطبنا ويستحيل علينا أن نخاطبها لأن بيننا برزخا .. هو اختلاف القوانين بين عالمنا وعالم الأرواح .. مع أنها قد تكون حولنا في اللحظة والمكان، ولكن الإتصال يظل مستحيلا ومعدوما لاختلاف قوانين وجودها عن قوانين وجودنا وهذا هو البرزخ) .. هذا ما تقرره أنت، بكل ثقة .. وهو كله خطأ .. ثم إنك، حين تتحدث عن الموت، تتحدث عن: (القوانين الفيزيقية)، مما يدل على صدق اتهامنا إياك، في غير هذا الموضع، من هذا الكتاب، من أنك إنما تعني بالموت الظاهرة البيولوجية .. وإلا، فقد كان أولى أن تتحدث عن القوانين (الميتافيزيقية) .. ثم من الذي قال: (فليس معنى البرزخ هنا فاصل مكاني يفصل أرواح الموتى عن دنيا الأحياء)؟؟ أليس (اللحد) فاصلا مكانيا؟؟ أم هل تظن أن الأرواح لا تستقر مع الأجساد في (اللحد)؟؟ وما ظنك بقول المعصوم: (القبر إما روضة، من رياض الجنة، أو حفرة، من حفر النار)؟؟ وأنت تقول من السياق الذي اقتبسناه آنفا: (فالأرواح بعد الموت تبدأ حياة ذات قوانين مختلفة) .. فما هو نوع هذا الإختلاف؟؟ أهو اختلاف نوع؟؟ أم هل هو اختلاف مقدار؟؟ .. أنت، لا شك، تظنه اختلاف نوع .. وآية ذلك قولك: (ولهذا يستحيل عليها أن تخاطبنا ويستحيل علينا أن نخاطبها لأن بيننا برزخا) .. فما ظنك بخطاب النبي لأهل القليب، غداة بدر، إذ ظل يخاطبهم، ويذكرهم، بأسمائهم، ويقول لهم: (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا) .. فلما قال له أصحابه: (يا رسول الله !! ما تخاطب من جيف أنتنت؟؟) .. قال: (والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون)؟؟ ما ظنك بهذا؟؟ وأنت، في نهاية هذا الفصل، تقول (ونأتي إلى ذروة الغيب .. وهي الساعة.

والساعة هي ذروة الغيب المغيب التي لم يكشفها الله لأحد ولا حتى لأنبيائه (يسألونك عن الساعة أيان مرساها؟؟ قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) ..

إنه لعلم اختص الله به نفسه دون الخلق جميعا وإنه لعلم رهيب كما سوف نرى) هذا ما قررته أنت في صفحة 180 .. وأحب أن أقول: ان الساعة ليست ذروة الغيب، إلا عندما تصبح هي الذات الإلهية .. فإن الذات الإلهية، وحدها، هي ذروة الغيب .. قال تعالى، في حقها: (قل لا يعلم من في السموات، والأرض، الغيب، إلا الله) فالغيب هنا هو ذات الله .. وكل علم عداها، هو غيب، دونه غيب – هو غيب نسبي – ومعرفته مبذولة للعارفين، وكل ما هناك، أن المعرفة تتكشف لأهلها في وقتها .. قال تعالى، في ذلك: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) .. وهو تبارك،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتعالى، يشاء لنا كل يوم أن نحيط بشيء من علمه .. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) .. وما شأنه، تبارك، وتعالى، إلا إبداء ذاته لعباده ليعرفوه .. وليس يومه أربعا وعشرين ساعة، وإنما يومه (زمنية) تجلي ذاته لعباده .. وهي (زمنية) تتناهى في الصغر، حتى لتكاد أن تخرج عن الزمن .. وأحب أن أقرر هنا أن الله لم يختص نفسه بعلم، كما هو شائع عند الناس، وكما قررته أنت في آخر العبارات التي اقتبسناها لك آنفا .. إن علم الله هو ميراثنا نحن، نباشر، كل حين، القدر الذي يؤهلنا لمباشرته رشدنا، وذلك رشد يزيد، كل حين، بفضل الله، ثم بفضل تعرضنا لرحمته: (واتقوا الله ويعلمكم الله) .. أو كما قال تعالى: (فتعالى الله، الملك، الحق .. ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه .. وقل ربي!! زدني علما ..) .. أو كما قال تعالى لنبيه عن القرآن: (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) .. وما يكون بيانه على الله لا يقع الفراغ منه، وإنما هو بيان سرمدي، يسير إلى الذات، حيث لا حيث .. وحين لا حين ..

الفصل التاسع

الساعة

الساعة هي نقطة لقاء الماضي والمستقبل .. وهي أصل الزمن .. وتدق حتى لتكاد أن تخرج عن الزمن .. هي في ملتقى الزمن مع الإطلاق .. هي، من وجهها الذي يلينا، زمن، ومن وجهها الآخر، إطلاق .. وعلمها، لذلك، مبذول لنا، بشرط واحد، هو أن نتوسل إلى منازله بالوسائل الصحائح، وفي قمتها التوحيد .. والتوحيد هو صفة الموحد .. وهذا يعني توحيد القوى المودعة في البنية البشرية – العقل والقلب – وسبيل ذلك العبادة، في إتقان، لتقليد المعصوم، في سنته، – عبادة ومعاملة – وآية توحيد القوى المودعة في البنية البشرية أن يفكر الرجل كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول . ثم لا تكون عاقبة قوله، ولا عمله إلا خيرا، وبرا، بالأحياء، والأشياء .. وإلى المدخل على هذا المقام الإشارة بقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .. وقمة هذا المقام قد بلغها المعصوم في معراجه، بعد أن تخلف عنه جبريل، وبعد أن جاوز سدرة المنتهى، وواجه أنوار التجلي الذاتي، الذي استغرقه من جميع أقطاره .. ولقد جاءت الحكاية عنه في القرآن: (إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى) .. فعندما توحد النبي، وحدة، ذاتية، مطلقة، خرج عن الزمان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمكان، أو كاد، فرأى المطلق، الذي لا يحويه الزمان، ولا المكان – رأى الله – ولقد كان في تلك اللحظة هو الساعة .. ثم تغشته غواشي الجبلة، وهو في الأرض، فشمر يطلب ذلك المقام بنهج العبادة الذي رسمه الله له في سنته المطهرة ..

الساعة ساعتان

ومن ثم، فإن قولك: (الساعة ذروة الغيب وعلمها محجوب عن الكل، اختص الله به نفسه دون العالمين) هذا القول، الذي به افتتحت أنت هذا الفصل قول خاطئ .. ولقد قررنا، في الفصل السالف، أن ذروة الغيب هي الغيب المطلق – هي ذات الله .. والساعة ساعتان: ساعة التعمير، وساعة التخريب .. فأما ساعة التعمير فهي لحظة مجيء المسيح ليرد الأشياء إلى ربها، حسا ومعنى، وليملأ الأرض عدلا، كما ملئت جورا .. ويومئذ يظهر الإسلام على جميع الأديان .. ويتحقق موعود الله: (هو الذي أرسل رسوله، بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله .. وكفى بالله شهيدا) .. ويتأذن الله بالتطبيق، كما تأذن بالإنزال .. وذلك فيما يتعلق بقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا ..) وهذه هي ساعة التجلي الكمالي .. وأما ساعة التخريب فهي لحظة مجيء المسيح، للمرة الثانية، ليرد الأشياء إلى الله حسا، وقد أبطأ المعنى .. وذلك: (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب .. كما بدأنا أول خلق نعيده .. وعدا علينا .. إنا كنا فاعلين) ..

والساعتان منضويتان، في بعضهما، في سياق القرآن .. فهو عندما يقول: (الساعة) إنما يعني: المعنى القريب للساعة، وهي ساعة التعمير، والمعنى البعيد للساعة، وهي ساعة التخريب .. وإنما يقع التمييز بينهما، عند القادرين عليه، بفضل الله، ثم بفضل التفريد في التوحيد .. وتلك هي المقدرة على إدراك مثاني القرآن وقد أشار إليها تبارك، وتعالى، في قوله: (الله نزل أحسن الحديث كتابا، متشابها، مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. ثم تلين جلودهم، وقلوبهم، إلى ذكر الله .. ذلك هدى الله، يهدي به من يشاء .. ومن يضلل الله فما له من هاد) .. (مثاني) يعني: ذو معنيين، معنيين: معنى قريب، ومعنى بعيد .. ولعجز الناس عن المقدرة على تفريد التوحيد لم يقع في خلد المتحدثين عن الدين إلا معنى واحد للساعة، وتلك هي ساعة التخريب .. وعندما يجئ المسيح بساعة التخريب يكون الوقت وقت التجلي الجلالي، حيث تنصهر الأحياء،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والأشياء تحت سطوة الجبروت، وحيث تسير جميعها إلى الله كرها، بعد أن سارت إليه طوعا في وقت التجلي الكمالي، في ساعة التعمير .. وساعة التعمير هي المقصودة من قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها، بإذن ربهم، من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر) .. قوله (خير من ألف شهر) يعني خير من ألف سنة .. قوله: (تنزل الملائكة)، يعني أعوان المسيح .. قوله (والروح) إشارة إلى المسيح .. قوله (سلام هي حتى مطلع الفجر) يعني يعم الأرض السلام، وذلك لملئها عدلا، كما ملئت جورا .. وهذه الألف سنة هي يوم الله المشار إليه في قوله تعالى: (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وهو، نفسه، اليوم الآخر الوارد في عديد الآيات، ومنها، على سبيل المثال: (وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال: يا قومي!! اعبدوا الله، وارجوا اليوم الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين ..) .. وإنما سمي (اليوم الآخر) لأنه آخر أيام الدنيا، وأول أيام الآخرة، وفيه تتحقق جنة الأرض، وهي نموذج من الجنة الموعودة .. وبعد انقضاء هذا اليوم، ذي الألف سنة، تتراجع المعارف، والعلوم، والفهوم .. ويأخذ الخط البياني للحياة الإنسانية في الإنحدار ويوالي ذلك، حتى يبلغ الكتاب أجله، وحتى تحل ساعة الخراب، التي أشرنا إليها آنفا .. فإذا انتهت دورة الوجود الأولى، بعودة السموات والأرض إلى الرتق بعد الفتق، وبدأت الدورة الجديدة، للوجود الجديد، ببروز أهل النار للنار، وأهل الجنة للجنة، فقد بدأ اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، والمشار إليه في قوله تعالى: (تعرج الملائكة، والروح، إليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .. وفي هذا المقام يطيب لي أن أردك إلى صفحة 78 لتراجع قولك عن هذين اليومين: (ومعنى هذا أن أيام الله هي كما يشاء الله، فإذا شاء يكون اليوم بألف سنة وإذا شاء يكون بخمسين ألف سنة .. فهو ليس خاضعا لزمنه مثلما نحن خاضعون وإنما هو يخلق زمنه .. وهذا شرح فلسفي رفيع لمعنى الأبدية .. أو زمن من لا زمن له) .. هذا قولك الذي أحب لك أن تعيد النظر فيه، فإنه في أشد الحاجة إلى المراجعة ..

لقاء الإنسان ربه

هذا التخليط، بين الساعتين، أراك قد تورطت فيه، كما تورط فيه أغلب المتحدثين باسم الدين .. وفي صفحتي 192 و193 أنت تتحدث عن لقاء الإنسان لربه، وتذكر الآيات التي تسوق ذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

اللقاء من أمثال: (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .. وأمثال: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) .. وأمثال: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) .. ثم تقول: (وهو لقاء لا يمكن أن يتم والإنسان في صورته البشرية)، وهو قول لن تجد له من الصحة سندا .. والحق، أن الصورة البشرية هي أكمل الصور، وأصلحها لملاقاة الله .. وذلك لأن ملاقاته إنما تكون بتقريب صفات الإنسان من صفات الرب .. وقد أسلفنا القول إلى أن فعل التوحيد في البنية البشرية إنما هو بعث القوى المودعة فيها، وشحذها، وتوحيدها .. فإذا كان الإنسان يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم هو، في جميع أولئك، إنما يسوق الخير، ويهب البر، لجميع الأحياء، والأشياء، فقد توحد توحيدا به يتم لقاؤه لربه .. ولقد كنت أظن أن (الفردية) الواردة في قوله تعالى: (وكلهم آتيه، يوم القيامة، فردا)، وفي قوله تعالى: (ولقد جئتمونا، فرادى كما خلقناكم، أول مرة) تستأثر بفكرك، وتزيد في تعلقك بأمر الدين، وبمنهاج الدين، حيث جعل وكده، في التربية، إبراز فردية الفرد، من قطيع الجماعة .. فإننا لا نلقى الله بقطع مسافات السموات، ولا بقطع مسافات الأرض، وإنما نلقاه في أنفسنا .. وفي هذا المضمار– مضمار المقدرة على التوفيق بين حاجة الفرد، وحاجة الجماعة، تلك المقدرة النابعة من وضوح الرؤية للعلاقة بين الفرد والجماعة – تبرز ميزة الإسلام بروزا يقصر عنه تطاول كل متطاول من أصحاب مختلف الفلسفات والأديان ..

الصورة البشرية صورة الإنسان

وعن الصورة البشرية!! فإنها صورة الإنسان الكامل، وهي غاية التطور .. ولا يقع فيها تغيير إلا في لطافة حسها بتطور حدة حواسها، وبظهور الحاسة السادسة – العقل المكتمل – والحاسة السابعة – القلب السليم – ثم لا يقع فيها تطور، في السرمد، إلا باستمرار الخروج من العجز الى القدرة وذلك باستمرار الخروج من الكثافة إلى اللطافة .. ومن ههنا تجيء زيادتها، في الكمال والجمال، وهي زيادة لا تتناهى .. إن لقاءك الله إنما يتم فيك .. (سيرك منك، وصولك إليك) ..
إن أمرك لعجب!! حين تقول: (لأننا نقوم كلنا للقيوم. ومن هنا كان إسمها قيامة (لمن الملك اليوم؟؟ لله الواحد القهار) ..
إنتهت الخلافة الوهمية التي كان كل منا يتصرف فيها كأنه إله وملك له ملك ورعية، وحاكم يحكم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في بيته ومملكته .. حتى ظن بنفسه الظنون وتخيل أنه شيء ..

هنا يعود الملك للمالك الحقيقي.

لقد حضر صاحب الشأن، الخالق الذي خلق كل شيء .. وإليه يعود كل شيء.

القيامة باختصار هي تجلي الله بذاته.

ولا شك أن الله موجود دائما في كل مكان وفي كل آن ولكن .. فرق بين وجوده وبين تجليه بذاته.

وبالتجلي الذاتي يحدث القهر التام لكل شيء والفناء للصور المادية بأسرها فلا صورة بالمادة يمكن أن تقوم أمام ذات الله في توحده وكماله وتجليه.

هذا حدسي في مسألة القيامة.) هذا ما قلته أنت في صفحة 194 .. والعجيب حقا، في أمرك، أنك تخوض في أدق دقائق العلم الإلهي – في التجلي الذاتي – بغير علم، وتعترف بأنك تحدس (هذا حدسي في مسألة القيامة) .. والحدس هو الظن، والتخمين، والقول بالرأي الفطير .. فكيف سولت لك نفسك مثل هذه الجرأة العظيمة على الحق؟؟ ..

القيام لله والقيام بالله

انظر لقولك: (لأننا نقوم كلنا للقيوم. ومن هنا كان اسمها قيامة)!! إن هذا قول خاطئ، فإن القيام للقيوم عبادة .. قال تعالى في ذلك: (حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين) .. قوله (قوموا)، يعني: قفوا لله .. يعني انتصبوا .. قوله: (قانتين)، يعني: متواضعين .. يعني: متذللين .. والقيام لله، في العبادة، مدخل على مقام الاستقامة في العبودية .. ولقد تحدثنا عن الاستقامة في هذا الكتاب، وقلنا أنها أعز مطالب الرجال، إذ فيها تسقط الدعاوي، ويتفرد القيوم بالقيومية، ويتحقق للعباد مشهد القيام بالله .. ويومئذ يتم بعثهم من قبورهم، التي هي أجسادهم – يتم بعثهم من الموت، الذي هو ظلام جهلهم وينهضوا في مدارج الحياة الكاملة، ومعارج الأنوار الساطعة: (أومن كان ميتا، فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات، ليس بخارج منها؟؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ..) .. (ميتا)، يعني بالكفر (فأحييناه)، يعني بالإيمان .. القيام لله عبادة، وهو دعوى .. وهو مع ذلك، سبيل إلى التخلي عن الدعوى وذلك في مقام الإستقامة .. ويومئذ يحل محله القيام بالله ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القيام لله عبادة، والقيام بالله عبودية .. والعبادة دعوى، والعبودية تخلي عن الدعوى، وإستسلام .. القيام لله جهل، والقيام بالله علم .. القيام لله غفلة، والقيام بالله يقظة .. والموتى رفع عنهم بالموت حجاب الغفلة .. قال تعالى عنهم: (لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد ..) فهم لا يقومون لله، وإنما يقومون بالله، وقد سقطت عنهم دعاوي الغفلة، ومن ههنا – من (القيام بالله)، لا من (القيام لله)،- سميت القيامة (القيامة) .. فالقيامة بعث من موت القبور .. أو بعث من موت القلوب .. وهي، في الحالتين كلتيهما، صيرورة إلى الكمال، كل بحسب حاله .. فأما في حالة القيام من موت القلوب – في حالة بعث موتى القلوب – فإنما هي كمال بالخروج من ظلام الجهل إلى نور العرفان ..

ولقد عناها العارف النابلسي حين قال: (إن تكن (بالله) قائم * * لم تكن .. بل أنت هو ..) .. والذي تجب ملاحظته هو أنه لا يمكن أن يقول: (إن تكن (لله) قائم * * لم تكن .. بل أنت هو ..) .. قوله: (إن تكن بالله قائم) .. يعني إن تخلصت من وهم قيامك بأمر نفسك، وشاهدت شهودا ذوقيا، حسيا ألا حول لك، ولا قوة، وأنه: (لا حول، ولا قوة، إلا بالله)، فقد أمحت عنك رعونات نفسك .. يعني: تخليت من نقص صفاتك، وتحليت بكمال صفاته ..

(إن تكن (بالله) قائم * * لم تكن .. بل أنت هو)

أرجو أن يكون قد وضح لك أن قولك: (لأننا نقوم كلنا للقيوم، ومن هنا كان إسمها قيامة)، قول ممعن في الخطأ .. وأرجو أن يكون واضحا عندك أنه، وإن كان في لغة العرب قد ينوب بعض حروف الجر عن بعض، غير أنها تشكل إختلافا كبيرا في لغة العرفان: فالصبر (مع الله)، والصبر (بالله)، والصبر(في الله)، والصبر(على الله)، والصبر(عن الله)، كلها تختلف إختلافا كبيرا فيما بينها .. وللعارفين فيها مشاهد، ومقامات .. وما يقال عن هذه يقال عن: (القيام لله)، و(القيام بالله) ..

التجلي الذاتي

وعجيب حديثك عن التجلي الذاتي!! وواضح أنه لا حظ لك فيه .. ومع ذلك، فأنت تتحدث عنه على هينة، وفي يسر .. (القيامة باختصار هي تجلي الله بذاته ..

ولا شك أن الله موجود دائما في كل مكان وفي كل آن ولكن .. فرق بين وجوده وبين تجليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بذاته.

وبالتجلي بالذات يحدث القهر التام لكل شيء والفناء للصور المادية بأسرها فلا صورة للمادة يمكن أن تقوم أمام ذات الله في توحده وكماله وتجليه.

هذا حدسي في مسألة القيامة) .. هذا قولك من صفحة 194، أعيد إقتباسه عليك، مرة أخرى، لعله يحدث في نفسك ما أحب له أن يحدث فيها. من تهيب هذا الأمر الخطير، الذي ما كان ينبغي لها أن تخوض فيه قبل أن تخلع النعلين، وتواصل التلبية، وتستشعر الخشوع ..

والقيامة ليست تجلي الله بذاته، وإنما هي تجلي الجبروت .. فالتجليات ثلاث: التجلي الجلالي، والتجلي الجمالي، والتجلي الكمالي ..

فأما التجلي الجلالي فهو تجلي القهر الإرادي الذي، تحت وطأته، سارت العناصر جميعها في طريق الإسلام العام: (وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا وكرها ..) والمقصود، في هذه المرحلة من التجليات، (الكره) .. وما دخل (الطوع) في العبارة القرآنية: (طوعا وكرها) إلا باعتبار ما يؤول إليه الأمر، كنتيجة لقهر الأشياء تحت سطوة التجلي الجلالي، وذلك حين تبرز العقول من المادة الصماء، وساعتئذ، يبدا طرف من التجلي الجمالي، في الفينة بعد الفينة، وذلك لتدريج العقول الناشئة .. وهذا تجل يزيد، كل حين بروزه عن التجلي الجلالي، وذلك كلما زادت العقول في ترقيها نحو النضج .. ثم يبرز التجلي الكمالي. وإلى بروز العقول الإشارة بقوله تعالى: (وإليه يرجعون) .. من الآية الكريمة (أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من في السموات، والأرض، طوعا وكرها، وإليه يرجعون؟؟) فإن الرجوع إلى الله لا يكون إلا عن طريق العقول .. وإنما غرض التجلي الجلالي قهر المواد، لإبراز العقول منها .. فتجلي القيامة هو تجل جلالي .. أقرأ قوله تعالى (يأيها الناس!! اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى .. ولكن عذاب الله شديد ..) .. وهذا مشهد ساعة التخريب، وهو مشهد مستمر، إلى أن يبرز أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار .. فيلازم التجلي الجلالي أهل النار في النار .. ويصير أهل الجنة، في الجنة، إلى التجلي الجمالي، والتجلي الكمالي .. كل حسب مقامه .. (هم درجات عند الله) .. وترد هذه الصورة في الآيتين الكريمتين (وإن منكم إلا واردها .. كا على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا .. ونذر الظالمين فيها جثيا) .. ويتوق أهل التجلي الجلالي إلى شيء من برد التجلي الجمالي، وذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات، للذين آمنوا: انظرونا نقتبس من نوركم) فيرد عليهم الخطاب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الجلالي: (قيل ارجعوا وراءكم، فالتمسوا نورا، فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب) قوله .. (باطنه فيه الرحمة) فهذه رحمة (الرحيم)، وهي جمالية، وكمالية .. قوله: (وظاهره من قبله العذاب)، فهذه رحمة (الرحمن)، وهي جلالية، في غالب أحوالها، والحكمة وراءها صهر العناصر واستخراج اللطائف من الكثائف – العقول من الأجساد – فهذا معنى قوله تعالى: (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) .. فإذا برزت اللطيفة فقد وجب التجلي الجمالي بحكمة تدريجها، وتربيتها .. فإذا قويت اللطيفة (العقل) فقد وجب التجلي الكمالي .. والتجلي الكمالي هو تجلي ذات الله .. ذلك بأن ذات الله خير صرف، لا مكان للشر فيه، وإنما الشر في تنزلات الذات إلى مرتبة الحكمة.

ولقد تم تجلي الله بذاته على نبينا في مقام معراجه .. ذلك المقام الذي قال عنه تعالى: (إذ يغشى السرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى) .. وعبارة: (مازاغ البصر وما طغى)، إنما هي وصف لاستعداد المحل، من النبي، لتلقي هذا الأمر العظيم .. واستعداد المحل يعني أن النبي، بفضل الله، قد أصبح وحدة ذاتية، فيوحدة زمانية ، في وحدة مكانية – اكتمل له التوحيد اكتمالا كبيرا – تأهل بذلك لشهود المطلق – لتجلي الله بذاته .. واستعداد المحل عند النبي قد كان مقدمة، وكان نتيجة، في آن معا ..

إن تجلي الله بذاته تجلي ربوبية، وهو لا يتم إلا إذا استعد المكان بصفة العبودية لتلقي أنوار الربوبية .. وأحب أن تعلم أن كبار العباد قد يكون لهم حظ من تجلي الله بذاته عليهم، وهم في هذه الحياة الدنيا، وذلك بفضل الله، ثم بفضل تجويدهم العبادة، ونزولهم منازل العبودية .. وإلى نزول هذه المنازل وردت التوصية النبوية الكريمة: (موتوا قبل أن تموتوا) .. فإذا بلغ العابد، من الرضى بالله بحيث يكون كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف شاء، من غير اعتراض فقد بلغ مقامات شهود التجلي الذاتي .. ومن نقص الرضا بالله، ومن ثم، من نقص العبودية، أن تسأل الله شيئا لم يكن قد أعطاك إياه .. وهم يقولون، في ذلك: (من وثق بحسن اختيار الله له، لم يتمن غير الحالة التي هو فيها ..) ومن ههنا جاء منع موسى، عليه السلام، من شهود الذات .. قال تعالى، في ذلك: (ولما جاء موسى لميقاتنا، وكلمه ربه، قال: ربي أرني أنظر إليك!! قال: لن تراني .. ولكن أنظر إلى الجبل، فإن إستقر مكانه فسوف تراني .. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا، وخر موسى صعقا .. فلما أفاق، قال: سبحانك!! تبت إليك .. وأنا أول المؤمنين) .. سؤاله الرؤية: (ربي أرني أنظر إليك)، دل على نقص العبودية .. فجاء الرد من جانب القدس .. (قال لن تراني) .. السبب؟؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن المكان منك لم يستعد بالعبودية لتجلي الذات – ذات الربوبية – أن ذاتك لم تستعد لترى ذات ربك – فحجبت، بمحض الفضل، عما طلبت .. وإلا، لعطبت كما عطب الجبل، ولذهبت هباء، منثورا، كما ذهب الجبل .. وقد جعل الفضل الإلهي الجبل فداء لموسى، ومع ذلك، فلم يكن الذي وقع للجبل تجليا ذاتيا، وإنما كان تجليا جبروتيا، وذلك لأن الجبل لا ذات له – لا نفس له – تتلقى التجلي الذاتي .. أما محمد، سيد الأنبياء، وسيد ولد آدم، فلم يطلب الرؤية، ولم يطلب المعراج، فكان ذلك منه دليلا على تمام سكونه تحت مجرى الأمر الإلهي، فجاء وصفه بالعبودية من ربه .. قال تعالى عنه: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا .. إنه هو السميع البصير) .. فتجلي الله بذاته إنما هو خير محض، لا مكان للشر فيه .. وتجلي الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، إنما هو إعداد لذات العبد لتتهيأ، بخروج الأغيار عنها، وخلوصها إلى العبودية الصرفة لتلقى الخير الصرف – لتلقى التجلي الذاتي – ومن ههنا فإن قولك الذي اقتبسناه آنفا: (وبالتجلي بالذات يحدث القهر التام لكل شيء والفناء للصور المادية بأسرها فلا صورة بالمادة يمكن أن تقوم امام ذات الله في توحده وكماله وتجليه) إنما هو قول باطل، ومسرف في البطلان .. وإني أعيذك بالله أن تخوض فيما ليس لك به علم، بمثل هذه السهولة، واليسر .. (إذ تلقونه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم) ..

إنما نعرف الله بأفعاله

وأنت تقول: (أما تفسيرالقيامة بنظريات علمية من اصطدام القمر بالأرض أو فناء الشمس .. أو تقلص الكون واحتراقه أو تمدده في الفضاء .. أو اصطدام المادة بالمادة المضادة .. فكل هذا فضول لا مبرر له .. فالإنسان يموت بأسباب وبدون أسباب. وكما يموت الإنسان الفرد تموت الأمة وتموت الحضارة وتموت أجناس الحيوان بأسرها .. وتموت النجوم في أفلاكها. لا حاجة إلى كدح الذهن في أسباب للنهاية والتناهي. إنه الناموس الذي أقامه الصانع الذي صنع كل شيء. وإذا قال لنا الصانع انه سيقيم قيامة .. فإننا لسنا بحاجة إلى اصطناع نظريات .. وأسباب .. ومبررات .. والمبررات لمن .. إنه الآمر الذي يأمر ولا سواه) ذلك قولك من صفحة 195، وهو قول لا مبرر له، ولا موضع له، وبخاصة ممن يتحدث عن تجلي ذات الله .. إن الذي كان واجبا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عليك هو أن تحصر نفسك في الخوض فيما صرفت القول عنه بقولك (فكل هذا فضول لا مبرر له) وألا تخوض فيما خضت فيه من تجلي ذات الله .. ألم يقل المعصوم: (تفكروا في مخلوقاته، ولا تفكروا في ذاته فتضلوا)؟؟ وكيف يجوز لرجل مثلك أن يقول: (أما تفسيرالقيامة بنظريات علمية من اصطدام القمر بالأرض أو فناء الشمس إلخ .. إلخ) إلى أن تقول: (فكل هذا فضول لا مبرر له)؟؟ أليس هذا الذي تحاول التزهيد فيه يتفق مع القرآن الذي هو موضوع كتابك؟؟ أولم يقل الله: (أولم ير الذين كفروا أن السموات، والأرض، كانتا رتقا ففتقناهما؟؟ وجعلنا من الماء كل شيء حي .. أفلا يؤمنون؟؟) ؟؟ من السحابة الواحدة المرتتقة فتق الله السموات، والأرض .. ثم أنه، في نهاية الدورة، سيعيدها إلى الرتق، بعد الفتق .. قال تعالى في ذلك: (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب .. كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا .. إنا كنا فاعلين) : أقرأ، مرة أخرى: (كما بدانا أول خلق نعيده) .. ثم، دعوتك هذه: (فكل هذا فضول لا مبرر له)، أهي دعوة إلى العلم؟؟ أم هل هي دعوة الى الجهل؟؟ أهي دعوة إلى التوحيد؟؟ وكيف؟؟ .. والله تعالى يقول (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟؟) وأنت رجل عالم، وطبيب في ذلك، ثم تطيب نفسك أن تقول: (فالإنسان يموت بأسباب وبدون أسباب)!! أليس هذا قولا نكرا؟؟ لقد كان الواجب العلمي يقضي أن تقول: فالإنسان يموت بأسباب نعرفها، وبأسباب لا نعرفها .. وقد تكون هذه الأسباب هي مجرد انقضاء أجله الذي أجله الله .. فهذا في حد ذاته سبب ..

أما والله إن الصدر ليكاد يضيق عند قراءة قولك: (وإذا قال لنا الصانع أنه سيقيم قيامة .. فإننا لسنا بحاجة إلى اصطناع نظريات .. وأسباب .. ومبررات .. والمبررات لمن .. إنه الآمر الذي يأمر ولا سواه) .. وكيف بربك تريد أن تعرف ربك إن لم تفكر في دقائق صنعه، وفي الحكمة التي يقوم عليها صنعه؟؟ إنك يا صديقي مضطرب، متناقض، تخوض فيما لا يصح الخوض فيه، وتمسك عما يجب الخوض فيه، وتنسب هذا، وذاك، إلى الدين، في مظهر المتحرج، المتورع، تارة، وفي مظهر العالم، المتمكن، تارة أخرى ..

وفي صفحة 196 أنت تقول إشارة إلى بعض كلمات القرآن: (وكلها رموز للأمر .. ولكلمة (كن فيكون).

لقد جاء الأمر .. وهذا كل شيء.

إنه الناموس أن يكون لكل شيء قيامته. أن تكون هناك قيامة صغرى لكل منا بالموت. وقيامة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كبرى يفنى فيها الزمن في الأبد ويعود الكل إلى أصله ومنبعه.

لا محل لشك أو ريبة.

وإنما هناك كل الدواعي والشواهد لأن يسلم الإنسان بالقلب بلا مجادلة وبلا مساءلة.) هذا قولك وهو قول، جميعه، بحاجة إلى تصحيح .. والذي يبدو لي أنك تهون من الأمور ما كان ينبغي عليك أن تعرف له مكانته من الصعوبة، والإمتناع .. أقرأ، مرة أخرى: (وإنما هناك كل الدواعي والشواهد لأن يسلم الإنسان بالقلب بلا مجادلة وبلا مساءلة)، وقل لي، بربك، كيف يؤمن الإنسان بالقلب: (بلا مجادلة وبلا مساءلة)؟؟ إن القلب ليغلي بالشك، كغليان القدر، وكل غليانه ثورة خواطر، وثرثرة داخلية – مجادلة، ومساءلة – وهذه المجادلة، وهذه المساءلة لا تطمئن، ولا تجد سبيلها إلى الهدوء، ولا يجد صاحبها فرصة للطمانينة، وبرد الراحة، وسلامة القلب، إلا بعد أن يجد جوابا لكل سؤال يثور، مما به يصل إلى برد اليقين .. واليقين علم يقع على مراتب ثلاث: هي علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين .. ولا تكون هناك فرصة (لأن يسلم الإنسان بالقلب)، إلا بعد علم حق اليقين .. استمع إلى إبراهيم الخليل، وهو على ما هو عليه من رفيع المكانة .. هو يقول، فيما يحكي الحق عنه: (وإذ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى؟؟ قال: أولم تؤمن؟؟ قال: بلى!! ولكن ليطمئن قلبي) .. أنظر إلى هذه المجادلة، وهذه المساءلة ..

ثم قولك: (لقد جاء الأمر .. وهذا كل شيء) هو قول منكر، أشد النكر .. وقد قال الله غير ذلك، قال تعالى: (أتى أمر الله .. فلا تستعجلوه .. سبحانه، وتعالى، عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره، على من يشاء من عباده: أن أنذروا: أنه: لا إله إلا أنا .. فاتقون) .. قوله: (فلا تستعجلوه)، جمع كل الأدب .. أدب الشريعة، وأدب الحقيقة، وفي مضماره تقع مجاهدة المجاهدين في كليهما .. لأن، في هذه المجاهدة، الخروج من الشرك إلى التوحيد .. وهذا هو سر الإشارة بقوله: (سبحانه، وتعالى، عما يشركون) .. ثم، ما ظنك بالآية الثانية؟؟ أقرأ، مرة أخرى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره، على من يشاء من عباده: أن أنذروا أنه: لا إله إلا أنا .. فاتقون) ..

الأبد زمن له نهاية ..

وقولك: (كن فيكون)، جمعت كل الوقت، من اللحظة إلى السرمد .. والإشارة إلى الوقت في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدين تتضمن الإشارة إلى أدب الوقت، في الحياة .. وأدب الوقت في الحياة: أن تعيش اللحظة الحاضرة، في جمعية لا يوزعها الخوف من المستقبل، ولا الأسف على الماضي .. وفي قمة الوفاء بهذا جاء قوله: (ما زاغ البصر وما طغى) ومن أجل الوفاء بهذا جاء التعليم: (ما أصاب من مصيبة، في الأرض، ولا في أنفسكم، إلا في كتاب من قبل أن نبرأها .. إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم .. والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون، ويأمرون الناس بالبخل .. ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) .. و(كن فيكون) إشارة إلى: العلم، والإرادة، والقدرة – (العالم، المريد، القادر) – وهي، إشارة، قبلها، إلى: (الله، الرحمن، الرحيم)، وهي إشارة، بعدها، إلى: (الخالق، البارئ، المصور) .. قوله: (كن)، في عالم (العلم) .. قوله: (ف)، في عالم (الإرادة) .. قوله (يكون)، في عالم (القدرة) .. أصلها: (كن، يكن، يكون) .. وقد جاءت (الفاء)، إشارة إلى (يكن) .. و(الفاء)، في لغة الأرقام – في (الأبي جاد) – تساوي ثمانين .. و(يكن) تساوي ثمانين أيضا .. وقولك: (وقيامة كبرى يفنى فيها الزمن في الأبد ويعود الكل إلى أصله ومنبعه) يدل على علم قاصر، ومضر، في نفس الوقت .. وما هو الزمن الذي تفنيه في الأبد؟؟ يبدو أنك تظن الأبد غير متناه، كما يظنه علماء اللغة، وكما يظنه (رجال الدين) .. وقد جاء الضرر من هذا الظن، حيث زعموا أن النار لا تنتهي، لأن الإشارة قد وردت في القرآن إلى أهلها بالعبارة الكريمة: (إن الله لعن الكافرين، وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا .. لا يجدون وليا، ولا نصيرا) .. والقول بعدم نهاية النار باب من أعظم الأبواب التي يجيء منها الجهل بالله .. إن الأبد زمن ينتهي .. وقد أشار، سبحانه، وتعالى، إلى نهايته فقال: (فأما الذين شقوا ففي النار، لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا ما شاء ربك .. إن ربك فعال لما يريد) .. فالأبد هو مدة دوام السموات والأرض .. وذلك دوام محدود .. هو الزمن بين (الفتق) و(الرتق)، من قوله تعالى: (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما؟؟) ثم هو، بعد الفتق، يعيد الأمر إلى الرتق: (كما بدانا أول خلق نعيده) .. فما بين (الفتق)، وإعادة الأمر إلى (الرتق)، مرة أخرى، يمتد الأبد .. هذا هو الأبد .. وهو زمن له بداية، وله نهاية ..

الفصل العاشر

البعث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا فصل عن البعث .. والبعث يعني اليقظة بعد النوم، ويعني الحياة بعد الموت .. وبين النوم والموت اختلاف مقدار، لا اختلاف نوع .. قال تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى .. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .. وعن البعث من النوم قال تعالى، عن أهل الكهف، الذين ضرب عليهم النوم: (ثلاثمائة سنين)، قال عن بعثهم: (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل منهم: كم لبثتم؟؟ قالوا: لبثنا يوما، أو بعض يوم .. قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم .. فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة، فلينظر: أيها أزكى طعاما؟؟ فليأتكم برزق منه .. وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) .. وكان بعثهم هذا عن حالة نوم عميق ضربه الله عليهم .. وقال في وصفه: (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا أمدا) .. وعن حالة رقادهم ذلك قال: (وتحسبهم أيقاظ وهم رقود .. ونقلبهم ذات اليمين، وذات الشمال .. وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد .. لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا، ولملئت منهم رعبا) .. فالبعث، ههنا، هو اليقظة من النوم وعن البعث الذي هو الحياة بعد الموث قال تعالى: (لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ..)، ولقد قال في وصف حالة ما قبل هذا البعث: (ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان، عن اليمين، وعن الشمال، قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد * وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور، ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس، معها سائق، وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد) .. وعن حالة الغفلة التي يكون منها البعث قال المعصوم: (الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا ..

فالبعث هو تيقظ الفكر، واستيفاز الشعور، بعد أن يكون النوم، أو الموت، أو الجهل .. قد أرخى عليهما أستار التبلد، والإنحلال .. والفكر هو الإدراك الدقيق، اللطيف، الذي يميز بين الأشياء، وأدناها شيئان: الشيء، وضده .. ولذلك فقد صح أن نقول: إن الفكر هو قوة الإدراك الشفعي .. والفكر وظيفة العقل .. والعقل يعمل في الدماغ .. وأما الشعور فهو الحياة الملتذة بما يلذ، المتأذية مما يؤذي، الفارة مما يؤذي، إلى ما يلذ .. وهي، في فرارها ذلك، تستخدم الفكر، استخدام المخدوم للخادم .. وهي، من ثم، تحاول أن تصير، أو أن تسير، من الشفعية إلى الوترية — من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإدراك الشفعي، إلى الإدراك الوتري .. والشعور وظيفة الفؤاد .. والفؤاد يعمل في القلب، وحصيلة الشعور الحب .. ومع أن الحب ضده البغض، غير أنه ليس للبغض مكان في سويداء القلب، وإنما هو على حواشيه، وسببه الخوف الناتج من نقص العلم .. وحواشي القلب هي قوى الإدراك الشفعي – هي العقل .. فليس في سويداء القلب إلا الحب .. ومن ثم، فإن القلب هو قوة الإدراك الوتري .. وهذه الخاصية هي التي رشحت القلب ليكون بيت الرب .. قال تعالى، في الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي، ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن ..) .. وحين كان على حواشي القلب العقل، وهو قوة الإدراك الشفعي، فإن على حواشي العقل الجسد .. والجسد هو قوة الإدراك التعددي .. والإدراك التعددي يتمثل في الحس .. وهذا ظاهر، وبخاصة في بداية الحياة، قبل ظهور الحواس .. فقد كان الحي الأول يحس بجسده كله – يحس بكل ذرة من جسده – فلما تقدمت الحياة، وتعقدت، توظفت الوظائف، وانحصر الحس في مواضع بعينها، هي الحواس .. وأصبح على الجلد أن يكون درقة، ودرعا واقيا للحي، يقيه عوادي البيئة، وهكذا ضعف إحساسه .. والحياة الآن في ترقيها، وتطورها، راجعة إلى إشاعة الحس في جميع ذرات الجسد، على نحو ما كان عليه الشأن عند الحي البسيط، البدائي .. فهذه المهمة هي وظيفة العبادة – هي وظيفة التوحيد .. وسبيله إليها محاربة الخوف .. ذلك بأن الخوف العنصري هو الذي حفز الحياة في مراقي التطور، فوظف الوظائف لأعضاء الجسم المختلفة .. ومن هذه الوظائف، كما سلفت الإشارة، ظهور الحواس، وظهور العقل .. ومنها إسناد الوقاية لبقية الجسم – للجلد .. ولقد إقتضى هذا أن يتبلد حسه .. ومن أجل بلوغ الغاية المرجوة، وهي إعادة الحس إلى الجلد، إتجه التوحيد إلى محاربة الخوف العنصري، فابتدأ بتحويله إلى خوف واع، موحد في واحد، فجاء القول: (رأس الحكمة مخافة الله) .. ثم ان السير، في هذا الإتجاه، يفضي بنا إلى المعرفة التي تقرر أن الله لا يخاف، وإنما يحب – يؤنس به، ويطمأن إليه، ويحب ..

قال تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. ثم تلين جلودهم، وقلوبهم إلى ذكر الله .. ذلك هدى الله، يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد) ..

قوله: (ثم تلين جلودهم)، إشارة إلى تخلص الجلود من التحجر، وبلادة الحس، ومن القشرة الكثيفة التي فرضتها عليه وظيفة الوقاية .. فإنه، بعد الإطمئنان من الخوف، يلين الجلد، وينعم، ويلطف، ويكون قوي الإحساس، مرهف الشعور ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإنما تكون الطمأنينة من الخوف بفضل العلم بعواقب الأمور .. قال تعالى، في ذلك: (قل لا أملك لنفسي نفعا، ولا ضرا، إلا ما شاء الله .. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء .. إن أنا إلا نذير، وبشير، لقوم يؤمنون) .. والعلم أوله إيمان باللسان، وعمل بالجوارح .. ثم إيمان بالعقل وطمأنينة بالقلب .. ثم إيقان بالعقل وسلامة بالقلب .. وعند الإيقان، يعني عند حصول علم اليقين للعقل تحصل السلامة للقلب، بالخلاص من الخوف .. وعندها يتسع القلب، ويقوى، وينتظم، ويدفع دم الحياة قويا نقيا في كل ذرات الجسد، وفي كل ذرات الجلد، فتنشط الحياة في مواته بنشاط، وانتظام إفرازات الغدد الصماء، وغيرها من الغدد ذات الوظائف المختلفة، ويقفز الجسد كله إلى الحياة الكاملة، ولا يبقى فيه موضع كثافة، ولا موطن بلادة، ويتحقق موعود الله فيه .. قال تعالى: (يأيها الناس!! إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، لنبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء، إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا .. وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج) .. هذه الأرض هي أرض الجسد .. والماء هو العلم الذي ينزل من سماء العقول الصافية على هذه الأرض فيجدد شبابها، ويبعث فيها الحياة جديدة، دفاقة، جياشة بالحس المرهف، والعاطفة الصادقة .. وإلى هذا أشار شيخ الطائفة الصوفية، أبو القاسم الجنيد، فقال:

تطهر بماء الغيب، إن كنت ذا سر * * وإلا تيمم بالصعيد و بالصخر،
وقدم إماما كنت أنت إمامه * * وصل صلاة الفجر، في أول العصر،
فتلك صلاة العارفين بربهم * * فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

قوله: (ماء الغيب) يعني العلم بالله .. وقوله: (فأنضح البر بالبحر) يعني أفض على الجسد من أنوار العلم ما يحيي مواته، كما يحيي الماء موات الأرض الهامدة .. ولقد قلنا أن العلم يحرر صاحبه من الخوف، فيقع الإتزان الذي يدفع الدم القوي حاملا إفرازات الغدد السليمة، فينعش، ويغذي كل خلايا الجسد غذاء صحيا، يبعثها من موتها جديدة، ومتجددة باستمرار ..

هذا هو البعث الأعظم – بعث موتى القلوب .. وهو الموت الأعظم عند الله .. قال تعالى: (أومن كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات، ليس بخارج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منها؟؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ..) قوله: (أومن كان ميتا) بالجهل بالله .. (فأحييناه) بالعلم بالله .. يعني أومن كان ميت القلب بظلام الكفر، فبعثنا قلبه، وأحييناه بنور الإيمان، كمن هو في ظلمات الجهالات يتخبط فيها على غير هدى؟؟ وإلى غير خروج؟؟ وبعد .. فإني أحب أن يكون البعث هو على هذا النحو .. هو بعث حياة القلوب، لأن به السلوك، وبه السير من البعد عن الله إلى القرب من الله .. وهذا هو الحياة ..

أما البعث من الموت الحسي فهو حق، وواجب، وما ينبغي أن يأخذ من وقتنا أكثر مما أخذ .. ولولا أن هذا الكتاب قد طال لتحدثت عن بعث موتى القلوب .. ولكنني قد تحدثت عنه، بما يغني عن الإعادة ههنا، وذلك في كتابي (رسالة الصلاة)، في مقدمة الطبعة الرابعة .. فليراجع في موضعه ..

ثم تحسن مراجعة مقدمة كتاب (أسئلة وأجوبة)، فإنها مقدمة ترسم طريق السير من البعد إلى القرب، والبعد موت، والقرب حياة — بعث من الموت ..

الفصل الحادي عشر

لا كهنوت

لا كهنوت في الإسلام!! مافي ذلك أدنى ريب .. ولله الحمد ..

وإنما كان الكهنوت مرذولا لأنه ادعاء وصاية على الناس، والقيام بينهم وبين ربهم إلى الحدود التي تدعي التحدث بلسان الله .. وتقوم بتحرير صكوك الغفران لبعض الناس، وحرمان البعض الآخر من رحمة الله الواسعة .. وليس هناك دين يقوم في أصله على الكهنوت .. لا!! ولا المسيحية!!

وإنما اشتهرت المسيحية بالكهنوت لأن فيها أسرارا دقيقة، ومعاني رفيعة، وكان الجهل سايدا بين الناس، والكلمة المقروءة عسيرة، والكتب المتداولة قليلة .. فأصبح تعليم الدين محصورا في دوائر ضيقة، وعند رجال بأعيانهم فاتخذوا منه حرفة، وحفوه بالمصاعب، وجعلوه مهنة يرتزقون منها، ويتسلطون عن طريقها على رقاب العباد ..

وفي الإسلام، مامنع من الكهنوت بالمعنى الذي عرف في النصرانية مثلا، إلا وجود القرآن، كتابا مقروءا، ومحفوظا في الصدور، وإلا بساطة التعاليم التي تجد كل تعبيرها في كون الإسلام دين الأميين: رسوله أمي، وأمته أمية .. فهو واضح، كل الوضوح، بسيط كل البساطة .. يبدأ من أرض الناس، ولا يكلف أمرا يستحيل على الإنسان العادي فهمه أو إتيانه في يسر، وسهولة .. هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للرجل العادي .. ثم أنه، للذين يتعمقونه، من هذه البدايات يسير في طريق مطروق، واضح المعالم، هو طريق المعصوم .. فأنت، إن كنت مسلما، صاحب شريعة، عاديا، فما تكلف إلا يسيرا .. وإن كنت صاحب طريقة، تركب العزائم، فإنك مهدي بنهج سليم واضح، قد سار عليه من قبل الهادي، المهدي – محمد النبي، الأمي، الأمين ..

ومع ذلك فإن عصور إنحطاط المسلمين قد شهدت، ممن يسمون أنفسهم (رجال الدين)، محاولات نحو رتب الكهنوت .. ولا تزال هذه المحاولات قائمة باسم حماية الدين .. وما علموا أن حماية الدين، وحتى التبشير بالدين، إنما يتم على خير الوجوه، بأن تعيش أنت الدين، في تطبيق صادق، ونظيف، وأمين، حتى تكون حياتك تجسيدا لكمالاته، وفضائله، فتكون دعوتك إليه، وحمايتك إياه، بلسان حالك، قبل لسان مقالك.

ومهما يكن من الأمر، فليس هناك، منذ اليوم، خوف على الناس من الكهنوت، ما دامت العقول سايرة في طريق النضج والفهم .. وما ينبغي أن يدفعنا الخوف من الكهنوت أن نجنح إلى طرف الشطط الثاني، فنتورط في خطأ آخر، قد بدا لي طرف منه في قولك: (إن الصلة بين الإنسان وربه صلة مباشرة .. وأن الله يرعى شؤون مخلوقاته مباشرة بدون مجلس إدارة وبدون سكرتارية وبدون وسطاء ..

(قل لله الشفاعة جميعا)

(وإذا سالك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)) .. هذا قولك، من صفحة 220 .. وهو قول يسير إلى الشطط الآخر .. فإن الوسطاء قائمون، ولكن قيامهم مرحلي .. فأنت لا تستطيع أن تعرف الله إلا بواسطة العارفين به .. فما كان يمكنك الإستغناء عن وساطة محمد، مثلا، وما كان لمحمد أن يستغني عن وساطة جبريل .. ولكن، بعد أن إرتفق محمد بجبريل في المرحلة، أمكنه أن يسير إلى ربه بدون جبريل، كما هو محكي في قصة المعراج حين تخلف عنه جبريل عند سدرة المنتهى .. هذا وقول الله من الآية التي سقتها أنت للتدليل على سقوط الوسطاء أصلا، وهي قوله تعالى: (قل لله الشفاعة جميعا)، لا ينهض بقضيتك .. أليست (قل) هذه، في حد ذاتها، وساطة؟؟ وفي الآية الثانية، التي سقتها أنت أيضا: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) .. أليست وساطة التعليم فيها ظاهرة؟؟

إن إخواننا يقولون: (إنما أفلح من أفلح بصحبة من أفلح) .. ومهما يكن من الأمر، فإن الوساطة موجودة، ولكنها مرحلية لحين يتم، عن طريقها، اللقاء بين العبد والرب، فيكون حينئذ، التلقي بلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

واسطة .. ولكن يجب أن نكون دقيقين، حتى لا يقع تخليط بين وساطة النظاف، الأنقياء، الأتقياء، الموسلين، الموصلين، وبين كهنوت كلاب الدنيا، الذين يقطعون على السالكين طريق الوصول، ويدنسون الدين بسخائم نفوسهم، ويستغلونه لمآرب دنياهم .. إن الوسيلة قائمة، ومطلوبة .. وأن الكهنوت موضوع، ومرفوض .. والفرق بينهما واضح .. وعلى من يريد التمييز الدقيق أن يأخذ دينه ممن استقاموا، وألا يأخذه ممن قالوا!!

ولما كان هذا الفصل ليس بالفصل المهم فإني ما أحب أن أطيل في متابعته، وبخاصة أن الكتاب قد طال .. ولكن ما ينبغي أن أختم تعرضي له، في مقامي هذا، قبل الإشارة إلى خطأ أساسي قد تورطت فيه أنت، وذلك حين قلت، من صفحة 224: (أما الضجة التي أثيرت والكلام الذي قيل حول إقامة الحد في القرآن بقطع يد السارق فهي ضجة مفتعلة .. لأن الآية تفسح المجال للعفو عن التائب فمن يسرق ويقل صادقا تبت ولن أسرق بعد الآن يعطي لولي الأمر مجالا لرفع الحد عنه (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم)) .. فإن قولك هذا قول غير صحيح، ذلك بأن أمر السرقة، إذا بلغ ولي الأمر، وقامت أركان الحد فإنه لا يستطيع أن يعفو، ولا أن يرفع الحد عن السارق .. لا يستطيع أحد أن يرفع الحد عمن قام به الحد .. لا يستطيع ذلك أحد، حتى و لا النبي الكريم ..

ما أحب لك أن تعتذر للإسلام، فتبرره، أمام الذين يهاجمونه بغير علم من المستشرقين، بمحاولة التنصل عن الحدود، أو عن الرق، كما فعلت، وكما فعل كثير من جهلاء المسلمين الذين حاولوا الدفاع عنه بمثل هذا الأسلوب .. إن الإسلام مبرر بما يكفي، ولو فهمنا نحن المسلمين دقائق حكمه، فأبرزناها، لكان في ذلك الإقناع، كل الإقناع .. والإفحام، كل الإفحام ..

الفصل الثاني عشر

المعمار القرآني

هذا أقل فصول الكتاب أهمية، ولكنه، مع ذلك، أقربها إلى نفوس القراء ..

والذي لا يروقني في هذا الفصل هو تركيزه على مباني القرآن إلى الحد الذي يجعلني أخشى على القراء أن ينصرفوا عن المعاني إلى المباني .. ألست أنت تدعو إلى ذلك، بإرادة منك، أو بغير إرادة، حين تقول من صفحة 20: (إنا لسنا أمام معنى فقط .. وإنما نحن بالدرجة الأولى أمام معمار ..)؟؟ أنظر إلى عبارة: (بالدرجة الأولى)!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن القرآن قد استخدم اللغة العربية استخداما معجزا، ما في ذلك أدنى ريب، ولكن، مع ذلك، ولعله، رغم ذلك، فإن إعجاز القرآن في المعاني، وليس في اللغة .. والقرآن، (بالدرجة الأولى) علم – هو علم نفس .. وما موسيقاه الباطنية التي تشير أنت إليها، بدون أن تتحدث عنها، إلا ذلك العلم .. القرآن استخدم التنغيم الخارجي ليحدث به تنغيما داخليا في تضاريس النفس البشرية التي شوش عليها الخوف العنصري أمرها ..

وأخشى ما أخشاه عليك، وعلى القراء، هو ظنك هذا الذي وردت العبارة عنه، في صفحة 20، بقولك: (إنه قرآن في لغته. أما في اللغات الأخرى فهو شيء آخر غير القرآن. وإنا أنزلناه قرآنا عربيا، وفي هذا تحديد فاصل) .. وأنا إنما كرهت لك هذا الفصل لأنه يمد في ضلال قديم هو اعتبار أن معاني القرآن إنما تلتمس في اللغة العربية .. هذا الضلال قد أبى له أن يصحح، ولقد كنت أنت، ولا تزال عندي، من المرجويين لتصحيحه، ذلك لأنك ذكي، ولأنك زكي، ولأنك عالم ..

إن القرآن ليست له لغة، وإنما اتخذ اللغة العربية وسيطا إلى الوصول إلى لغته .. ما هي لغته؟؟ هي أناغيم النفس الإنسانية التي تنساب في أودية قد تحجبت بحجب الأنوار، وبحجب الظلمات .. ولقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا، في هذا الكتاب، عند الكلام عن الحروف .. إن القرآن ليست له لغة بالمعنى الذي نعرفه للغة .. أقرأ: (حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وإنه، في أم الكتاب، لدينا، لعلي حكيم) ..

هذا هو القرآن، وهذه هي لغته .. وإنما صب في قوالب التعبير العربية لتدركه عقولنا القواصر: (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .. فإذا عقلتم فما ينبغي لكم أن تقفوا عند جمال مظهره، وإنما ينبغي أن تقصوا آثاركم راجعين إلى المنبع حيث تجدون أنفسكم التي أضللتموها، فضللتموها .. (وإنه، في أم الكتاب، لدينا، لعلي حكيم) .. (أم الكتاب) هي النفس الإنسانية الكاملة!! أين هي؟؟ هي عند الله، حيث لا عند ..

والقرآن هو علم هذه النفس .. وهو هي ..

الفصل الثالث عشر

لماذا .. إعجاز القرآن؟

وهذا، أيضا، فصل قليل الأهمية .. وهو بسبيل من الفصل السابق، وفي معناه .. ولكنه أكثر ضررا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالعقول منه ..

وأنت تفترعه بقولك: (القرآن كتاب حافل بالنبوءات) .. ثم تمضي لتقص علينا كيف أنه تنبا بأحداث، ثم كيف تحققت هذه الأحداث على وفق ما أنبأ .. وما قيمة هذا؟؟ قيمته أنك تريد أن تقول: أن القرآن كتاب منزل من الله الذي يعلم الغيوب، وما هو بكتاب موضوع من لدن محمد بن عبدالله!! هذا هو كل همك!! ألا ترى أنه هم صغير، صغير لا يليق برجل في مثل قامتك هذه، وفي زمن مثل زمنك هذا الذي تعيش فيه؟؟

دع هذا للأشياخ، فقد استغرقهم، واستغرقوه .. وأقبل لتتحدث عن القرآن بما يليق بك وبزمانك ..

القرآن هو همس أقدام ذات (نفس) الله وهي تتنزل من الإطلاق إلى القيد .. ولقد تركت هذه الأقدام آثارها في الزمان والمكان .. ثم جاء القرآن يقتفي هذه الآثار، ليبينها للسالكين إلى الله في إطلاقه .. قال تعالى عنه، ليفيد هذا المعنى: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟؟ * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم .. ألا إنه بكل شيء محيط ..) .. ولما كان تعالى بكل شيء محيطا فقد أصبح لا بد من لقائه، وما يتمارى بذلك إلا الغافلون .. ولزيادة توكيد هذا اللقاء جاء قوله، تبارك، وتعالى: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا، فملاقيه) .. ولا تكون ملاقاة الله بقطع المسافات .. فإنه تعالى قد قال: (ما وسعني أرضي، ولا سمائي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن) .. ولذلك فإنا إنما نلقاه فينا .. قال تعالى، في ذلك: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) .. وقال المعصوم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .. وقال أصحابنا: (سيرك منك وصولك إليك) .. وأصبح واضحا، لأرباب القلوب، أن لقاءنا الله إنما يكون بتقريب صفاتنا من صفاته .. إنما يكون بتخلقنا بأخلاقه .. إنما يكون بمحاكاته .. إنما يكون باقتفائنا آثاره .. والقرآن جاء يقتفي هذه الآثار .. وهذا هو معنى قولنا: أن القرآن هو همس أقدام الذات الإلهية، وهي تنزل منازل التدني، والتدلي، من الإطلاق إلى القيد .. وإنما السير إليها هو باقتفاء هذه الآثار: (فارتدا على آثارهما قصصا) .. وهذه الآثار لا ترى بعين الرأس، وإنما ترى بعين العقل، ولذلك فإنه، تبارك، وتعالى، قد وهبنا العقول من أجل أن نسير إليه باقتفاء آثاره .. ثم أنه قوى عقولنا برسل الملائكة، ثم أنه قواها برسل البشر ليرسموا المنهاج، ويبينوا معالم الطريق .. وقد جاء محمد المعصوم فأبان المعالم بتجسيده للقرآن، في الدم واللحم، حتى لقد صح أن تقول عنه عائشة: (كانت أخلاقه القرآن) .. ثم دعانا إلى تقليد محمد فقال: (قل إن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كنتم تحبون الله فاتبعوني، يحببكم الله) .. وقد سار محمد إلى الله سيرا يوجهه، ويهدي خطاه الله، بواسطة جبريل، وبغير واسطة .. (ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) .. فقد سار جبريل أمام محمد يقتفي آثار الحق، لا يخطئها، وسار محمد بسيره، حتى قويت أنواره، فاستقل عن جبريل، وأخذ يسير خلف الله بلا واسطة ..

ونحن، إنما نسير خلف محمد ريثما تقوى أنوارنا، فنسير خلف الله بلا واسطة .. وهذا هو لقاؤنا الله .. هو لقاء وسيلته العقل .. ولا يتخلف العقل عن هذا اللقاء إلا لغواشي الجهالات، والأوهام، والأباطيل .. وإنما أرسل الله جبريل، وأرسل محمدا، لتخليص العقول من هذه الأغلال .. قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون)..

فإذا قويت العقول بفضل الله، ثم بفضل تقليد محمد، بإتقان، في اسلوب عبادته، وفيما تيسر من أسلوب عادته، فقد تأهلت لتستقل عن التقليد، ولتعيش في أصالة، ولتتلقى عن الله كفاحا، وقد سقطت من بينها وبينه الوسائط .. والتلقي عن الله بلا واسطة يورث الاستقامة .. ولقد تحدثنا عن الاستقامة كثيرا في هذا الكتاب، وفي عدة مواضع من كتبنا .. وغاية الاستقامة ما حكى الله عن النبي الكريم، في قمة معراجه .. قال تعالى عنه: (إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى) .. وهذه حال من يكون مع الله على أدب الوقت .. وأدب الوقت مع الله أن تعيش في اللحظة الحاضرة، قائما بالواجب المباشر جهد الإتقان، ثم، بعد ذلك راضيا بما يجريه الله عليك، من غير أن تذهب نفسك حسرات عند الفشل، ومن غير أن يستبد بك الفرح عند النجاح .. (لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم) .. هذا هو نهج الحياة الكاملة التي تحررت من الخوف، واستغرقت في الأنس، والطمأنينة، والحب .. هذه هي حياة الفكر، وحياة الشعور .. وطريقها القرآن .. وما أنزل القرآن إلا من أجلها وهي، هي معجزة القرآن الباقية، والخالدة، والمستمرة البقاء، والخلود، باستمرار ترقيها، وتطورها، وتجددها، محاكية لصفة الله، تبارك، وتعالى، في قوله، عن نفسه،: (كل يوم هو في شأن) .. ثم هو لا يشغله شأن عن شأن ..

لا أجد هنا الحيز لأتحدث أكثر عن إعجاز القرآن، وموعدنا بذلك، إن شاء الله، كتابنا الذي وعدنا به القراء في هذا الكتاب، وهو عن (القرآن بين التفسير والتأويل) .. وإني لأرجو الله أن يعينني على إخراجه ..

ولكني ما أحب أن أزايل مقامي هذا قبل أن ألفت نظرك إلى أن إعجاز القرآن ليس، فحسب، في لغته، ولا هو في علميته بآيات الآفاق، من أرض أو سموات، وإنما معجزته، كلها، في آيات النفوس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الواردة إليها الإشارة في قوله تعالى: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟؟) ..

ومعلوم، عند أرباب القلوب، أن الإنسان هو الكون الأكبر، وأن العوالم، كلها، هي الكون الأصغر .. فالإنسان هو مقصود الله بالأصالة، وهو موضع نظر الله إلى مخلوقاته .. والأكوان، جميعها، هي مقصود الله بالحوالة، وهي مطية الإنسان، ووسيلة سيره إلى ربه – إلى كماله – إعجاز القرآن إنما في كونه علم النفس .. وهو في ثالوثه المحكي كثيرا في الأسماء الثلاثية: (الله الرحمن الرحيم) .. أو (العالم المريد القادر) .. أو (الخالق البارئ المصور) .. ولقد حكيت، أحكم حكاية، في قوله، تبارك وتعالى: (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف) .. أرجو أن تفكر في هذا .. وللعون أحيلك، في هذا الكتاب، إلى فصل (لا إله إلا الله) ..

خاتمة:

أما بعد فهذا هذا!!

ولقد فتح كتاب الأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى محمود أبوابا في الدين حاولت تتبعها واحدا واحدا، ولقد ختمت كل باب منها وفي النفس شيء لا يزال يتوق إلى أن يقال.. ولكن لا بد من الإيجاز، فإن لكتابي هذا حجما يحسن أن ينتهي إليه، وألا يتعداه، وذلك لاعتبارات شتى..

لم أجامل الدكتور الفاضل، ولم أتحامل عليه.. وما ينبغي لي.. ومن الجائز أن القلم قد جرى، في بعض المواطن بعبارات تشتم منها رائحة العنف.. فما أريد، هنا، أن أعتذر عن شيء منها، فقد كنت أستخدم من الكلمات ما يؤكد معنى ما أريد.. وجل ما أريد هو أن يأخذ الناس – كل الناس – أنفسهم بالسير خلف المعصوم، في إتقان، وتجويد لتقليده، في أسلوب عبادته، وفيما يطيقون من أسلوب عادته، حتى يأخذوا من سمت هذه الحياة الخصبة، المهتدية، الهادية، مفتاح مغاليق القرآن، فيتهيأوا بذلك للأخذ من الله كفاحا، ويكون ذلك سبيلهم إلى صفاء عقولهم، وإلى سلامة قلوبهم، فتتم لهم بذلك الحياة الكاملة – حياة الفكر، وحياة الشعور..

وأخشى ما أخشاه على النشء أن يظنوا أن هذا الدين دين قراءة، وتحصيل في المعاهد، على نحو ما يجري عليه العمل عندنا اليوم.. إن هذا الدين دين عمل.. والقاعدة في تحصيل العلم فيه قوله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى: (واتقوا الله، ويعلمكم الله..).. وقول المعصوم: (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم..)..

ثم ان الله، تبارك، وتعالى، يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وأن الله لمع المحسنين).. ولقد قال المعصوم لأصحابه، عقب عودتهم من غزوة من غزوات الإسلام: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر).. يريد مراغمة النفس، وحملها على السير في سبيل الله، وذلك هو السبيل الذي جسده محمد في الدم، واللحم.. ذلك هو سنة محمد.. ولقد آن الأوان لبعثها، وإحيائها بعد اندثارها.. ولقد وظف الأخوان الجمهوريون حياتهم لبعث هذه السنة المطهرة.. هم يعيشونها اليوم ويدعون الناس إلى أن يعيشوها، وأنت مرجو فينا.. وفقك الله، ورعاك، وأنجح مسعاك، وحفظ دينك، ودنياك..

السودان – أم درمان ص ب 1151

ذو الحجة 1390

يناير 1971

الفهرست

الإهداء
مقدمة
الخوض في أسرار الكون
التفسير والتأويل
أخلاق الله
التأويل
الأصول والفروع
الفصل الأول
لا إله إلا الله
المعبود بحق
الكلمة الطيبة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والكلم الطيب أيضا
الاستقامة
من مادة الفكر صنع العالم
بذرة القرآن
الفصل الثاني
مخير أم مسير
الفلسفة والدين وصميم القرآن
النظرة العلمية
النظرة الدينية
النفس السفلى
العقل
الضمير والسريرة
من خصائص القرآن
فهم القرآن
الإنسان مسير وليس مخيرا
الإنسان بين التسيير والحرية
القدر وسر القدر
الخلاصة
الفصل الثالث
قصة الخلق
بدء الخلق
آدم وحواء
الفصل الرابع
الجنة والجحيم
جهنم
الفصل الخامس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحلال والحرام
بين الشريعة والحقيقة
الفصل السادس
أسماء الله
معرفة الله
الفصل السابع
رب واحد ودين واحد
الفصل الثامن
الغيب
الفصل التاسع
الساعة
الساعة ساعتان
لقاء الإنسان ربه
الصورة البشرية صورة الإنسان
القيام لله والقيام بالله
التجلي الذاتي
إنما نعرف الله بأفعاله
الأبد زمن له نهاية
الفصل العاشر
البعث
الفصل الحادي عشر
لا كهنوت
الفصل الثاني عشر
المعمار القرآني
الفصل الثالث عشر

This file was downloaded from QuranicThought.com

لماذا إعجاز القرآن؟

خاتمة

www.alfikra.org

This file was downloaded from QuranicThought.com